لست بالغافل حتى أرى

الجزء الثاني

لـطفي مـوسى فـران

الـفهـرس

الـمقـدمة 7

توبة أحب لـيـلى وهـل لـيـلى عن حب توبة تتوب...! 11

القمر قد عـرفـنـاه؟ وأختفي وضاح...! 25

صعاليك ولصوص وعلى الهامش؟ 43

وقفة حول الزندقة 91

بـشـــــار بن بـــــرد 95

ممنوع أن تمنـع؟ 107

شعراء فترة الترقب 117

شـعـراء الأنـدلـــس 145

الأنـــدلـــسـيـــات 181

الـمقـدمة

بالعودة نحو الوراء في سبيل التذكير، لابد من أخذ معايير البيئة وطبيعة الأمور والأجواء التي كان يعيش الناس فيها، وذلك بعد أن تولى الخلافة بنو أمية بقيادة معاوية بن أبي سفيان، وتحولت الخلافة إلى ملك يتقاذفه بنو أمية، بالتوريث، فمن يزيد بن معاوية إلى عبد الملك بن مروان ومن بعده أولاده وأحفاده.

وحدثت معركة صفين ومعاهدة الصلح مع الإمام الحسن بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب، ومقتل الإمام الحسين في عهد يزيد، ومقتل عبد الله بن الزبير من بعده.

استتب الحكم واحكمت السيطرة على جميع قطاع البلاد، واتسعت مساحة الدولة من جراء الفتوحات، ولكن كانت هناك جماعة ممن كانوا مكروهين وكارهين لحكم بني أمية،.

بنو هاشم قد ابتعدوا عن المطالبة بحقهم السليب، وكانت الرقابة عليهم مشددة، لتمنع كل تحرك، وحتى ولو فكرة تحرك ضد الحكم الأموي.

وكان هنالك الخوارج، الذين كانوا يثيرون القلاقل، ويستميتون في سبيل قضيتهم، كانت الإضطرابات في بلاد الحجاز خاصة، وحول الجزيرة العربية، مصدر قلق للأمويين المتربعين على عرش دمشق، يجيشون الجيوش للفتوحات في الخارج، و لقمع اضطرابات الثورات في الداخل.

لقد إتبع الأمويون سياسة الإسترضاء في الجزيرة، وبخاصة في الحجاز، فأخذوا يتقربون من القبائل العربية المنتشرة في البادية والمدن، بالمصاهرة تارة، وبإغداق الأموال والعطايا تارة أخرى، لتقف هذه القبائل إلى جانب الخلافة.

وبذلك تميز العصر الأموي في شبه الجزيرة بأمرين: عرب الحضر، وعرب البادية.

- عرب الحضر: في الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، مدرج الرسول، ومنبع الرسالة الإسلامية، ومهبط الوحي، ومقام الصحابة والتابعين، ومركز التشريع الإسلامي.

ولا عجب إذا ما رأينا أن التيار الديني كان السائد، في تلك البقاع، وكان المقصد لكل من أراد التفقه في الدين، والأخذ بتعاليم الإسلام من منابعه الأصيلة، من تفسير لآيات القرآن الكريم، أو لحديث شريف مثبت، أم من تتبع لسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكان هناك تيار آخر مناقض له، يقوده أولئك الشباب الذين أغدق عليهم الأمويون عطاياهم بسخاء، ليبعدوهم عن السياسة وهمومها، فاجتمع لهؤلاء الشباب، الفراغ والمال، فأنصرفوا إلى اللهو والمجون والغناء، فعرف الحجاز معهم الغزل الحضري الذي كان يتزعمه عمر بن أبي ربيعة ، والأحوص وأمثالهما.

- عرب البادية: وأما عرب البادية فقد استمروا في بداوتهم رحلا يقومون على رعي الماشية، وطلب الكلأ والماء، فلم يغير الإسلام في نمط حياتهم ومعيشتهم، وإنما غير في تصرفاتهم ومعتقداتهم وعباداتهم، وأبقى على ما كان يتصف به البدوي من خلال حميدة، كعفة النفس، وصون العرض، وقرى الضيف.

وفي هذه المرحلة بالذات، كان الشعراء على صنفين: شعراء الدولة وشعراء المعارضة، ومن الطبيعي أن تكون الكثرة من شعراء البلاط الأموي، إذ أن المال والسلطة كانتا عاملين أساسيين في جلب الشعراء نحو البلاط، وإذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن السلطة الحاكمة استخدمت الشعر والشعراء لأغراضها السياسية، في دعم أركان حكومتها المهتزة، و كي تضرب المعارضة وقمعها، فبذلت الأموال الطائلة في سبيل ذلك، وحرمت الآخرين من حقوقهم المشروعة، فلا جرم أن الأكثرية الساحقة تتجه نحو قصور الملوك والولاة.

ولكن مع هذا كله، فإن الدكتورعمر فروخ، يحدثنا عن شعراء العلويين (الشريحة الأقوى في المعارضة) حيث يقول:

(إنهم كانوا كثيري العدد إلا أن بعضهم استتر ولم يظهر خوفا من بطش الأمويين، وقد تقرب بعضهم الآخر إلى الأمويين لحفظ النفس من الجوع أو القتل .

ويتابع الدكتور فروخ قوله عن الشعراء: بأنهم كانوا أفيض شاعرية وأرق عاطفة لتأثرهم بما أصاب آل البيت وشيعة الإمام علي من القتل والإضطهاد والنكبات .

بينما يصف شعراء الأمويين: بأنه كان شعرهم، شعر تكسب في الدرجة الأولى وكان لا يعبر عن عاطفة صحيحة في معظم الأحيان).

وكان إلى جانب هاتين الكتلتين كتلة أخرى مستقلة إلا أن صوتها لم يكن بمسموع لأنها كانت خارج حلبة الصراع ، كما أن صوتها كان خارج دائرة التداول في المحافل السياسية وغيرها.

لا شك أن الزبيريين والخوارج كانوا من المعارضة للحكم الأموي القائم بالقوة إلا أن الفترة الزمنية التي تواجد الزبيريون فيها كانت قليلة، وشعراءهم على حد تعبير الدكتور عمر فروخ : كانوا شعراء قليلي العدد متقلبي الهوى في الغالب.

وأما الخوارج فكان شعراءهم في الأغلب من أهل البادية بعيدين عن صروح السياسية ومراكزها.

وقد أخذ الشعر الحسيني يتطور في كل مجالاته بينما بقي الشعر الأموي، شعر تقليدي رغم العطاء الجزيل الذي بذلته السلطات الأموية، ويحدثنا عن ذلك الدكتور فروخ فيقول:

إذا استعرضنا خصائص الشعر السياسي في العصر الأموي خاصة بدا لنا أنه كان في أكثره التقليد للمعلقة الجاهلية، وبالأخص، من حيث شكل القصيدة وتعدد الأغراض في القصيدة، ثم إن الكثير من الشعر الأموي، ظلت أغراضه جاهلية في القصيدة السياسية خاصة ،

كالوقوف على الأطلال والفخر والهجاء القبلي والطرد والقنص (وصف للصيد)، والغزل التقليدي في مطالع عدد كبير من القصائد .

ولعل من أبرز شعراء مرحلة الشعر الحسيني، هم : ابن المفرغ الحميري المتوفي عام 64 هجـ، والنابغة الجعدي المتوفي 65 هجـ، ابن قيس الرقيات المتوفي 85 هـجـ، وابن المفرغ الحميري، هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن المفرغ سكن البصرة والكوفة دأب على هجاء زياد بن أبيه وابنه عبيد الله، فسجن مرات على أثر ذلك، ومات بالكوفة.
وأبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان ولد عام 16 قبل الهجرة ، وضع علم النحو وبعض العلوم الأخرى بأمر من الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأشرافه، سكن البصرة، وتوفي في عام 69 هجـ، بعد أن ولاه الإمام على البصرة، وهو أول من وضع علم النحو، وقيل أن الإمام علي بن ابي طالب، قد وضع له اسس الكلام كله على ثلاثة أضرب: إسم وفعل وحرف، وقال له: تمم على ذلك.
شعراء العصر الأموي، وإن صنفوا من حيث الإنتماء السياسي أو العقائدي إلى شعراء علويين وزبيريين وخوارج وأمويين ومحايدين، كان أكثرهم رغم انتماءاتهم قد ساهموا في النظم عن الإمام الحسين عليه السلام، أو عن قضيته بشكل عام، وذلك لأن الحسين عليه السلام لم يعد قضية شخص أو واقعة بل تسامى فوق كل الإنقسامات والإنتماءات التي فرضها الواقع السياسي المر.
وعاد شعر الخمريات والغزل الفاضح المباح، والهجاء وفيه ما فيه من كلام البذاءة والإفتراء.
ومن هؤلاء الشعراء كان عبد الرحمن بن ارطأة المتوفى بعد عام 64 هجـ، المدمن للخمر والمستهتر، الغير مبالي، حيث قال:

اصبح نديمك من صهباء صافيـة حتى يـروح كريمــا ناعم البال
واشرب هديت أبا وهب مجاهرة واختل فإنك من قوم أولي خال

فكان يشرب الخمر مع الوليد بن عثمان بن عفان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ولما حده والي المدينة، غضب لذلك معاوية؟.
ثم فتحت الأندلس، وكان فيها العديد من الشعراء، وكل منهم على هواه وسجيته، فكان منهم ابن برد، و ولادة بنت المستكفي، وابن الحباب، و ابن زيدون، والغرناطي، والمعتمد بن عباد، وابن شهيد وابن الزقاق البلنسي، وغيرهم، حتى قيل بأن عددهم وصل إلى 34 شاعر وشاعرة؟
وتابع شعراء الشام والجزيرة، كأبن الشمقمق، وابو محجن الثقفي، وحميد ثور و وضاح اليمن، وليلى الأخيلية، بالتنوع والصياغة حسب ما ترتضيه المواقف؟

وما أن انتهى العصر الأموي حتى تلاه العصر العباسي عام 132 هجـ، أخذ الشعر بشكل عام منحاه الجديد، إذ أنه بدأ بالإنقلاب على الأمويين وتبدل الولاء منهم إلى العباسيين وتحويل العاصمة من دمشق إلى غيرها لترتكز في النهاية ببغداد، ومن خلالها تحول الكثير من معالم الحياة الإجتماعية بما فيها الدينية والسياسية إلى جانب الحياة الثقافية والعلمية والأدبية منها، وتكونت حضارة إسلامية جديدة حمل لواءها إلى جانب العرب الفرس، ثم الترك، وكثرت المترجمات و المعارف من العديد من الحضارات البائدة والحاضرة كاليونانية والفارسية، وقد انعكس هذا الأمر في تكوين حياة فكرية جديدة احتوت على مذاهب فلسفية متعددة حتى أصبحت العاصمة بغداد من أعظم العواصم في العالم في ذلك الزمان؟.

وقيل بأن الشعراء لمعت شهرتهم، من بشار بن برد إلى ابن الرومي وابن الفارض، وابو نواس، والبحتري، ودعبل الخزاعي، وعلية بنت المهدي، وابو الطيب المتنبي، وابو العلاء المعري، وابو فراس الهمداني، والعكوك، ودرة الغزل عمر بن ابي ربيعة المخضرم مابين عصرين؟

وتجدر الإشارة (بشكل خاص) بأن ما اقوم به من عمل، هو توليف وليس تأليف، (ولا يمكن لي الأدعاء بسوى ذلك)، لأنني أقوم بمراجعة المصادر للمطالعة ومنها أختار ما يسترعي شغفي ولهفتي للتمتع والتسلية، لا إعتبارات أخرى سوى ذلك من أي ناحية أتت؟

الهدف والحافز الأساسي لفت النظر لذوي الإختصاص والتخصص للتعمق بهذا التراث الأدبي، على وجهه العلمي الصحيح، حتى يستفيد منه، طلاب العلم والمعرفة باللغة وآدابها.

توبة أحب ليلى وهل ليلى عن حب توبة تتوب...!

لعمرك ما الهجران أن تشحط النوى ولكنما الهجران ما غيب القبر

حياة البداوة نمط يتكرر في كل صبيحة يوم تشرق فيه الشمس، مضارب خيام متقاربة يعيش فيها أهل بطن من بطون عشيرة واحدة، أو مع غيرهم من ذوي الصلة والرحم من قبائل أخرى، في النهار رعية للمواشي والأنعام وحراستها والبحث عن الكلأ، وفي المساء قليل من التسامر والحديث بما سقط عليهم من أخبار جاء بها عابر سبيل، أو مرسال من ربع آخر، وحديث من هنا وهناك عن أمور معيشية عادية أو ولادة مهرة أو فلو ناقة أو جموح حصان، رجال يتحدثون فيما بينهم، ونساء في خبائهن تتحدثن فيما بينهن بأمور النساء.
ومن حين إلى آخر، معضلة وشجار بين جيران وأهل بيت واحد أو أفراد عشيرة وقبيلة.
أين كان دور المرأة في هذه الحياة الإجتماعية؟ فلم تكن في حالة تهميش، بل كانت محور الخدمات من جميع الجوانب، رعاية بيت وحضانة أطفال، وعليها الكثير من مهمة الإعتناء بالأنعام، إن كانت الزوجة أو الأخت البالغة التي ما زالت في كنف وسلطة رأس الهرم السيد المطاع كبير القوم والمرجع في كل القرارات والتوجيهات، وأما الفتاة والطفلة عليها وليس لها، تسرح بالماشية إن سمح لها بعد سنين قليلة من ولادتها، فيكون بذلك متنفس لها فتلهو مع أترابها من عجيات وعجيان عشيرتها، طالما ما زالت في فترة الطفولة البريئة، وعند بلوغها، يتم الحجر عليها، فتركن بين الخيام والمضارب تلبي طلبات السيد والأب والأم والجدة والأخوة الصغار والرضع، إلى أن يحين موعد رحيلها عن محيط العائلة، بعد الموافقة على تزويجها من داخل الربع وأبناء العمومة أو ذوي القربى، أو الرحيل إلى ناحية أخرى إن كان الخاطب من عشيرة القبيلة أو غيرها، فيرحل بها بين ليلة وضحاها؟.
فالطفلة في أيام الجاهلية التي يتسنى لها البقاء، هي محظوظة، لقد استثنيت من الوءد، والدفن حية عند ولادتها، فتراها بعد أن تخلصت من محنة الفناء تسرح وتلعب وترعى الماشية وتطيع وتسمع تأكل كما يأكل غيرها من أفراد العائلة، ولكن الصمت والتكتم وعدم الكلام هم فدية البقاء.

في الطفولة وبراءتها، تتمتع الفتاة الصغيرة بحرية في الخفاء، بين شرود نعجة وحديث قريب لها من نسبها أو من جيرتها المألوفة، فيتولد بين الصبي والطفلة مشاريع أوهام يسرح فيها الخيال، ويطل الحب والهيام والعشق، فيأخذ الصبي بالتعبير عنه بما يحسنه من نظم شعر وغزل، والطفلة كانت ذات مقدرة على ذلك ولكنها تكتم ولا تبوح، كي لاتجلب العار والمهانة لأهلها، وعندما تلغط الألسن بسر الوهم والتوهم، يقع الحجر والحجز، وينتج عنهما الفراق والعذاب والتحسر من تعذر اللقاء بين ما يسمى الحبيبة والعاشق الولهان، وما هي إلا شهور ويتم تزويج الطفلة (عند بلوغها البيولوجي) إلى أول خاطب تقدم لأهلها، وبالطبع هي بعيدة كل البعد عن القرار والموافقة والشروط، وحتى المشاهدة بالعين أو التعارف، فلا نعوت صفات لتلك الأمور كي يعمل بها، فلا وجود لها في قاموس اللغة البدوية، السرعة في إتخاذ القرار عملية إستباقية، للتحوط من زلة مشينة مهينة تقسم ظهر العشيرة وتلحق العار بجميع أفرادها القريب منهم والبعيد.

وكلما تلاسنت الناس بشعر التشبب، كلما كانت السرعة على أقصاها، للملمة الوضع وإسكات الأفواه الجائعة للتحدث أو الشماتة؟

هكذا كانت عليه العادات والتقاليد في الجاهلية، وجاء الإسلام، فتكسرت بعض العادات والتقاليد، وأختفت من الفعل والقول " الموؤدة "، وآخى الإسلام بين البطون والقبائل، ولكن الحريات الشخصية الخاصة لم يتعرض لها طالما لاتقترب من العقيدة أو تسيء إليها، فبقيت بعض الرواسب من عادات الجاهلية، واستمرت (إذ لم أبالغ؟ إلى يومنا هذا، لربما هناك بعض الإستثناء القليل).

الأصمعي كان كثير التجوال، وكان في تفكيره سباقة لعصره، ففي منتصف العهد الأموي قام الأصمعي بأول عملية إستفتاء وتعرف، على ما صار بعدها يسمى بالعلوم الإجتماعية، ودراسة العادات والطباع عند الناس وذلك من خلال عملية تحري ومسائلة، وكان الأصمعي من خلال رحلات تجواله يستفتي الناس من العامة والخاصة، ويستفسر عن عاداتهم وطباعهم ونمط عيشهم الحياتي والإجتماعي.

كان يقال: أن بني عذرة من قبيلة عامر أشتهروا بالترويج للحب العفيف، فالأصمعي يروي حكاية لقاء له بواحدة من نساء تلك القبيلة بطريقة توحي أنه لم يذهب إلا ليستل على لسانها ذلك الحكم، حيث يقول:

قلت لإعرابية من بني عذرة: أنتم أكثر الناس عشقا، فما تعدون العشق فيكم؟، قالت: الغمزة والقبلة والضمة؟.

وفي كتاب " أخبار النساء " لابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية، عودة للآية الكريمة وهي من سورة النجم. يقول ابن قيم الجوزية: روى عبد الرحمن بن نافع أن أبا هريرة سئل عن قوله عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة)، فقال: هي النظرة والغمزة والقبلة، وقال مجاهد، وهو أحد الذين حدث عنهم الإمام احمد بن حنبل: هو الرجل يلم بالذنب مرة ولا يعود؟.

وبعد التفكر وإستكمال المعطيات عند الأصمعي قال:
من أراد الزواج وكان من أصحاب الكرامة والشرف الرفيع والتقى والورع، فلينكح من بني هاشم، ومن كان من أصحاب النفوذ والمال والجاه فلينكح من بني أمية، ومن كان ذو مال ويتوق لرغد العيش ويهيم بالقدود الجميلة، فلينكح من بني مخزوم، ومن أراد الزواج وكان ممن يولعون بالعشق والهيام، فلينكح من بني عذرة بني عامر؟؟
من عبلة عنترة، فبثينة ولبنى ومية وعفراء وليلى صاحبة المجنون، وليلى صاحبة قيس بن ذريح، لم يكن لهن تواجد شخصي وحسي في القول والتصريح عن شغفهن وعشقهن، بل كانت المهمة على عاتق العشاق الرجال في القصيدة والتصرف، ووصل الأمر ببعضهم حتى الجنون،(بإستثناء مر كمرور العابر وبكامل الغموض، عندما تعجبت ليلى بنت الحباب، بعد طلاقها من قيسها، فأنشدت تتسائل عن سبب مرضه، وكأنها لاتعلم).
وهؤلاء العاشقات الوالهات المتكتمات، (منهن من تزوجت من غير عاشقها)، ولكن المجالس في شرقها وغربها كانت تلهج بأخبارهن، (ومعظمها متشابهة)، وأكاد أقول: تكررت على نمط مشابه، وأثبت الأصمعي صحة ومصداقية تحاليله وإستنتاجه، فكلهن من بني عامر؟
ولكن القاعدة كان لها شواذها، فالخنساء كانت عاشقة ومحبة وصادقة في مشاعرها، وكان الحب والهيام عندها، ترجمة لرثاء صخر أخيها، فهذه عاطفة قدرية وفطرية جعلت منها الخنساء تراث تاريخ للحب والرثاء الأخوي؟.
كم أعجبتني دراسة السيدة الباحثة سهام البياضة، فلقد صورت من خلال دراستها واقع المرأة في منتصف العصر الأموي أجمل تصوير؟ ومنها تقول:
(وظهرت على صفحة التراث والتاريخ، أمرأة عربية اختبرت محنة العلاقة الصعبة في مجتمع عرف التقاليد الصارمة في ظل أعراف قبلية، استظلت بأدب الإسلام وضوابطه الأخلاقية، فمزجت عناصر الزمان والمكان، لتنعكس على الإنسان في تلك المرحلة التاريخية المتغيره ولتضيف إلى قصص العرب قصة حب عذرية في كتاب الهوى الذي اكتوى به قيس ليلى وجميل بثينه والمجنون وصاحبته العامرية وغيرهم ممن عشقوا الحب في محبوبتهم وكانت عذريتهم دروب قدرهم وحياتهم التي إمتلأت أجواءها صبابة ووجد، فيها الكثير من الحرمان والهجر والفراق، فما كان من النفس البشرية إلآ أن تخرج عن كبتها بالبوح المحرم الذي صرخت به من أعماق الشوق والحرمان لينشر صدى صوت المحبين فوق مساحات الصحراء في بوادي نجد وعلى أطراف الدولة الإسلامية وحواضرها في عصر بني امية، إنها أول امرأة تكافح عن حق المرأة في الحب العلني، وهذه ميزة ليست سهلة ولا قليلة في مجتمعات ترتكب الكثير بالسر ثم تتظاهر بعكس ما تضمر وتفعل؟
قصة حب عذري لامست الكثير من قصص الحب البدوي مع الإحتفاظ بشيء من التميز الخاص حول البطلين، ليكون الحب العذري هو عنوان هذا الرابط الذي أشهرهما بشعرهما!

وبعذرية المشاعر المعروفة أبعادها في مجتمع أقرب ما يكون الى بدايات الإسلام وقواعده الشرعية التي حكمت سلوك الأفراد وسيرت مقاصدهم وركزت على نواياهم الدفينة الغير معلنه ضمن رقابة ذاتية نوعيه، على النفس وعلى الحكم على السلوك الأخر، ضمن معايير حفظ الجانب، والإبتعاد عن الظن، وتسليم الناس من الأذى في القول، وفي ترك خواتم الأعمال التي لا حكم لها إلآ على النية التي لا يعلم بها إلآ الله.
فكانت بذلك قصة الحب نقيه لا تشوبها شائبة، ولتبقى في إطارها الشعري المخضرم بين صدر الإسلام والعصر الاموي، لتعيش حياتها بين زمن الأمويين التي تركزت سيرتها أكثر ما يكون في تلك الحقبة الزمنية).
شاعرة أم فارسة كانت، مقدامة شجاعة، جريئة، لم تفتها الفصاحة ولا البلاغة، خبرت الدنيا ونالت منها ما نالت، وبقيت كريمة النفس عزيزة، مخلصة صادقة بإخلاصها، عفيفة مصونة، أحبت وعشقت وهامت وتتيمت وبقيت الأنثى، على منهاج عقيدة زينها الشرف والشهامة، من بني عذرة عامر هي، وبقيت المثل للحب العذري الأبي الجاهر غير المختفي بلا خوف من الملامة، أشهرت حبها فصار يهتدى به كالمنارة، " ليلى " من الليالي الثلاث، وكانت لها الزعامة، فجعت وتألمت وعاشت الحسرة و الفراق، سرى عليها تطبيق العرف في حينها، ولكنها إستمرت في مسيرتها بطهارة؟
ليلى الأخيلية، هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بني عقيل من عامر بن صعصعة، ولدت مابين نهاية خلافة الفاروق وبداية خلافة ذو النورين، (15 هـ) اشتهرت بالجمال وقوة الشخصية والحنكة والذكاء، وتجمعت في شخصيتها صفات عديدة ظاهرة للعلن بلا قناع، نظرت في صغرها إلى ما حولها، فأبصرت الفارس المقدام على صهوة جواده ابن عمها **توبة بن الحمير** بن كعب بن خفاجة بن عمر بن عقيل، فوجدت فيه فتى الحلم والأحلام ، فارس مقاتل وشاعر غزل رقيق، فصيح الألفاظ سهل التراكيب وقوي العاطفة، أحبها كما أحبته، تغزل بها، فوجب العزل والفراق، فجاء توبة إلى عمه والد ليلى ليخطبها، فأبى العم أن يزوجه إياها لأن زواجه منها، إعتراف أمام الناس بهذا العشق الذي انتشرت اخباره.
فزوجها الى رجل من بني الأذلع، هو عوف بن ربيعة، غير أن زواج ليلى من إبن الاذلع لم يكن نهاية لذلك العشق، وزفت ليلى الأخيلية، والتحقت بمرابع بني الأذلع، وهي تقول:

ولا تقولن لشيء سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق

ولكن زواج ليلى، لم يمنع توبة من زيارتها، وأكثر من زياراته لها، فأكلت الغيرة من كبد الأذلعي.

من بعد ذلك، تظلم بنو الأذلع إلى الوالي الذي أهدر دم توبة، إذا عاود زيارة ليلى، فراح بني الأذلع يترصدون توبة الحمير في مكان اللقاء المعتاد، حيث كانت الأخيلية تلتقي به وعلى رأسها قناعها.

وذات يوم علمت ليلى بمجيء توبة وخرجت للقائه سافرة وجلست في طريقه فأستغرب خروجها سافرة، ولكنه فطن أنها أرادت أن تعلمه عن كمين نصب له فأخذ فرسه وركض، وكان سفور ليلى السبب في نجاته، وفي هذا الحدث يقول توبة و يكشف عن عواطفه وألمه ولهفته التي تسترجع الذكرى وترسل العبرة ومنها يقول:

يقول رجال لا يضيرك نأيها ... بلى ما شق النفوس يضيرها
أظن بها خيرا وأعلم أنها ... ستنعم يوما أو يفك أسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما ... أتت حجج من دونها وشهورها
حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا ما زال ريشك ناعما ... ولا زلت في خضراء عال بريرها
وأشرف بالفوز اليفاع لعلني ... أرى نار ليلى أو يراني بصيرها
وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها
علي دماء البدن إن كان بعلها ... يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت لها اسلمي ... وما كان في قولي اسلمي ما يضيرها

كانت حياة توبة محفوفة بالمخاطر لأنه يهوى هذا النوع من العيش، لقد كان يغير على الربوع القريبة والبعيدة، فهو يغير على بني الحارث بن كعب وخثعم وهمدان وكان يزور النساء في تلك البلاد و يقول :

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر ... غرائر من همدان بيضا نحورها

وأما الأخيلية، كانت سلواها في البعد عن توبة، في تفاخرها بقبائل قومها وذكر ما فعلوه في بني مذحج وهمدان، وتقول:

نحن الأخايل لا يزال غلامنا ... حتى يدب على العصا مشهورا
تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا ... جزعا وتعرفنا الرفاق بحورا

وبقولها بأن توبة أشجع الناس (عقيرة عاقر):

فوارس أحلى نشأها عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر

وتفاخر بقومها:

نحن منعنا بين أسفل ناعت إلى واردات بالخميس العرمرم
بحي إذا قيل اظعنوا قد أتيتم أقاموا على هول الجنان الرجم
تحمل أولاهم من الدار غدوة وتمسي بها أخراهم لم تصرم

*

أما توبة مازال يعيش في وهم الأخيلية، رغم غزواته ومخاطراته واستعداء الناس له، ومن شعر توبة الذي يصور تفانيه في حبه الذي ملك عليه وجدانه قوله:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي، ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب البر صائح
ولو أن ليلى في السماء لأصعدت بطرفي إلى ليلى العيون اللوامح

قال أبو عبيدة:
كان بين توبة بن الحمير بن حزم بن بن عامر وبين بني عامر بن عوف بن عقيل خلاف، ثم إن توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض أمورهم، عندما كان مروان بن الحكم يومئذ أميرا على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وثب ثور بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجرز وعلى توبة الدرع والبيضة فجرح أنف البيضة وجه توبة؟
فأمر همام بن مطرف، ثور بن أبي سمعان، وأقعده بين يدي توبة فقال خذ بحقك يا توبة!
فقال له توبة: ما كان هذا إلا عن أمرك وما كان ليجترىء علي عند غيرك؟
(أم همام، صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل) فاتهمه توبة الإنحياز لتلك القرابة فانصرف ولم يقتص منه وخرج.
بعدها تتبع توبة ثور بن أبي سمعان فقتله، فثارت حمية بني عوف بن عقيل، وسعوا في طلب توبة، ونصبوا له الكمائن، وتتبعوا أثره حتى قتلوه في سنة 75 هـ، في هضاب ديار بني كلاب.

وعندما علمت ليلى بمقتلة رثته بقولها :

قتيل بني عوف وأيصر دونه قتيل بني عوف قتيل يحابر
تواورده سيافهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باتر
من الهند وانيات في كل قطعة دم زل عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زغف حصينة وأسمرخطي وخوصاء ضامر
توبة أحيا من فتاة حييه وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى إن كان توبة فاجرا وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر

كأن فتى الفتيان تـوبة لـم ينـخ قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
فأقسمت أبكي بعد توبة هالكـا وأحفل مـن نالت صروف الـمقادر
أيا عـيـن أبـكى توبة بن حمير بسـح كـفيـض الـجـدول الـمـتـفـجر
ليتـك عـليه من خـفـاجة نـسوة بمـاء شــؤون الـعبـرة الـمـتـحـدر
سمعـن بهـيجا أرهقت فذكرنه ولا يـبـعـث الأحـزان مـثل التذكـر
كأن فتى الفتيان تـوبة لـم يـسر بـنجـد ولـم يـطـلـع مـع الـمـتـفـور

عاصرت ليلى الأخيلية أهم أحداث عصرها السياسية، ولكن شعرها خلا من تلك الأحداث بإستثناء رثائها للخليفة عثمان بن عفان الذي استشهد سنة 35هجـ. وبرزت ليلى بجمالها الذي سلب عقل توبة، وشجاعتها التي مكنتها من التصدي لأكبر الشخصيات، ومقدرتها على إسكات فحول الشعراء بشاعريتها والفصاحة شعرها، وعفتها، التي حافظت عليها مع من تعشقه طوال عمرها.

وقالت ترثي الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان:

أبعد عثمان ترجو الخير أمتـه وكان آمن من يمشي على ساق
خـليفـة الله أعـطـاهم وخـولهـم ما كـان مـن ذهب جـم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارض به قد قـدر الله ما كـل امـرىء لاق

دخلت الأخيلية على معاوية بن ابي سفيان وراحت تنشده عن الناقة التي اتت بها اليه، ومن خلال ذلك تمدحه:

مـعاوي لـم أكد آتـيـك تهــوي برحلي رادة الأصلاب ناب
قريـح الظهـر يفرح أن يـراها إذا وضعتـة لـيتـها الـغـراب
تجوب الأَرض نحوك ما تأنى إذا ما الأكـم قـنـعها السراب
وكنت المرتجى وبك استغاثت لتنعـشـها إذا بخـل الـسحـاب

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير فقال:

ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة؟

قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقا والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى من كانت، لقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للأقران كريم المخبر عفيف المئزر جميل المنظر وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له؟

قال: وما قلت له؟

قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه:

بـعيـد الـثـرى لا يبلـغ القوم قـعـره ألـد مـلـد يغلب الحق باطـلــه
اذا حـل ركـب فــي ذراه وظــلـــه ليمنعهم مما تخـاف نـوازلـه
حماهم بنصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائل

فقال لها معاوية: ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا؟
فقالت من ساعتها:

مـعـاذ إلـهـي كـــان والله سيـدا جوادا على العلات جما نوافله
أغر خفـاجيـا يـرى الـبخـل سبة تحلب كـفـاه الـنـدى وأنـاملـــه
عـفيـفـا بـعـيـد الـهـم صلبـا قـنـاتـه جـمـيـلا مـحـيـاه قـلـيـلا غـوائـلـه
وقد علم الجوع الذي بات ساريـا على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع يا تـوب بالقرى إذا مالـئيم الـقوم ضاقـت مـنازلـه
يبيت قرير العين من بـــات جاره ويـضحي بـخير ضـيفـه ومـنازله

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره!
فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله؟
فقال لها معاوية: من أي الرجال كان؟
قالت:

أتـتـه الـمـنـايا حـيـن تـم تـمامـه وأقصر عنه كل قرن يطاوله
وكان كليث الغاب يحمي عرينه وتـرضـى بـه أشبـاله وحلائله
غضوب حـليم حين يطلب حلمه وسم زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة عظيمة وقال: لها خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر؟
قالت: يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئا إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت:

جـزى الله خـيـرا والـجـزاء بـكفـه فتى مـن عقيل ساد غـير مكلف
فـتـى كـانت الـدنيا تـهون بأسرهـا عـليـه ولا يـنـفـك جم التصرف
يـنـال عـليـــات الأمـور بـــهـونـة إذا هي أعيت كل حرق مشرف
هو الذوب بل أري الخلايا شبيهه بـدريـاقة من خمر بيسان قرقف

ويذكر ذات يوم أنها دخلت على الحجاج، فاستؤذن لليلى فقال الحجاج من ليلى؟ قيل الأخيلية صاحبة توبة!.
فقال : ادخلوها، فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين، حسنة المشية، حسنة الثغر، وعند دخولها سلمت فرد عليها الحجاج ورحب بها .
وبعد جلوسها سألها عن سبب مجيئها فقالت السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه.
ثم قال لها: وكيف خلفت قومك؟

قالت: تركتهم في حال خصب وأمن ودعة، أما الخصب ففي الأموال والكلأ، وأما الأمن فقد أمنه الله عز وجل، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم؟
ثم قالت: ألا أنشدك؟
فقال: إذا شئت ؟
فقالت :

أحـجاج لا يفلل سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث تراها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القنا سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها إذا جمحت يوماً وخفيف أذاها
إذا سمع الحجاج صوت كتيبة أعد لها قبل النزول قراها

وبعد انتهائها قال الحجاج: لله ما أشعرها، وأمر لها بخمسمائة درهم، وخمسة أثواب وخمسة من الأبل.
وبعدعا سألها الحجاج: إن شبابك قد ذهب، واضمحل أمرك وأمر توبة، فأقسم عليك إلا صدقتني، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط؟.
فقالت: لا والله أيها الأمير، غلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له :

وذي حاجة قلنا لـه لا تبح بها فليس عليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت.
قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟
قالت: وجه أحد أصاحبه إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل اهتف بهذا البيت:

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له:

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها

كان عند الأخيلية طعم خاص في حديثها، والفطنة وحسن الجواب، وكانت لها مكانة وتقدير عند كبار الشعراء ومن الفطاحلة منهم كالفرزدق، حيث كان يشيد بها وينشد من اشعارها، وكان الشعراء يحتكمون إليها، لتحكم في التقضيل بينهم، عندما يحتدم الهجاء و التحدي فيما بينهم؟.

وقال أبو العلاء المعري: بأن شعرها حسن ظاهره.
يروى بأن الخليفة عبد الملك بن مروان دخل على زوجته، عاتكة بنت يزيد فرأى عندها أمرأة بدوية فاستغرب قائلا : من أنت ؟ فقالت : أنا الوالهة، الحرى ليلى الاخيلية. قال : أنت التي تقولين :

أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت حياض الندى زالت بهن المراتب

(ومعنى البيت هو أن الكرم قد مات بموت توبة، والخليع من اجداده) .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أبقيت لنا ؟
قالت : الذي أبقاه الله لك؟ .
فقالت عاتكة" ابنة يزيد بن معاوية " مخاطبة زوجها الخليفة: لست لأبي يزيد، إن انت قضيت لها حاجة من حاجتها، وذلك لتقديمها إعرابيا جلفا على أمير المؤمنين، فوثبت ليلى قائمة، منشدة أبيات منها :

ستحملني ورحلي ذات وخد عليها بنت آباء كرام
فليس بعائد أبدا إليهم ذوو الحاجات في غلس الظلام
أعاتك لو رأيت غداة بنا عزاء النفس عنكم واعتزامي
إذا لعلمت واستيقنت أني مشيعة ولم ترعي ذمامي
أأجعل مثل توبة في نداه أبا الذبان فوه الدهر دامي

(المعروف أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان منتن الفم، كريه رائحته، يتساقط الذباب عليه فيموت).
قال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة انك تصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب عنه؟
فقالت : أيها الرجل ! هل رأيت توبة قط ؟
قال : لا ؟
فقالت : أما، والله، لو رأيته لو وددت أن كل فتاة شابة في بيتك حامل منه، فكأنما فقيء في وجه أسماء بن خارجة، حبيبات الرمان، أي احمر وجهه من الخجل !
تزوجت ليلى الأخيلية مرتين، زواجها الأول من الأذلعي، وقيل بأنه طلقها لأنه كان شديد الغيرة من حبها لتوبة، وفي رواية أخرى بأنه مات عنها، أما زوجها الثاني فهو سوار بن أوفي القشيري والملقب بابن الحيا، وكان سوار من الشعراء المشهورين المخضرمين مابين صدر الإسلام ومنتصف العصر الأموي، ولقد قيل عنه بأنه من الصحابة، ويقال عن ليلى أنها أنجبت العديد من الأولاد (من زوجها الأول والثاني).
عن الباهلي العلامة قال: تحاكم إلى ليلى الأخيلية، شعراء هوزان: النابغة الجعدي "وحيد بن ثور" الهلالي، وتميم بن أبي بن مقبل العجلاني، والعجير السلولي فأنشأت تقول:

ألا كل ما قال الرواة وزببوا به غير ما قال السلولي بهرج

تعني: العجيرالسلولي هو افضلهم؟

فقال النابغة الجعدي:

كأنك ليلى بغلة تدمرية رأت حصنا فعارضتهن تشحج

بعدها دخل سوار بن أوفى (زوج ليلى الأخيلية) في سجال هجاء مع النابغة الجعدي، فأدلت بدلوها الأخيلية مؤازرة لزوحها سوار وقالت في الجعدي:

وما كنت لو قاذفت جل عشيرتي لأذكر قعبي حازر قد تثملا

فلما بلغ النابغة قولها هجاها بقوله :

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا فقد ركبت أمرا أغر محجلا

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي على أذلغي يملأُ استك فيشلا

بريذينة بل البراذين ثفرها وقد شربت من آخر الليل أيلا

وقد أكلت بقلا وخيما نباته وقد نكحت شر الأخايل أخيلا

وكيف أُهاجي شاعرا رمحه استه خضيب البنان لا يزال مكحلا

فلا تحسبي جري الرهان ترقشا وريطا وإعطاء الحقين مجللا

(وهلا: كلمة تقال للفرس الأنثى إذا أنزي عليها الفحل لتسكن

رأى نفسه بقلا وخيما، يقول: إنها ستسوخم هجائي.

قال: أذلعي :الأذلع بن بني عبادة بن " ربيعة البكاء " (وكان مشهور بهوسه الجنسي)

البرذينة : البغلة

استك: الأست من اعضاء الجسد؟)

فردت عليه ليلى فقالت :

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا وكنت صنيا بين صدين مجهلا

أنابغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد للؤمك إلاَّ وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله وأي حصان لا يقال لها هلا

فلما أتى بني جعدة قولها هذا، اجتمع ناس منهم، وقالوا: والله لنأتين أمير المدينة، فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة، فإنها قد قذفتنا، وبلغها ذلك فزادت في الأبيات المذكورة أعلاه و قالت :

أتاني من الأنباء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللا

يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي ساء ذلك معملا

على غير جرم غير أن قلت عمهم يعيش أبوهم في ذراه مغفلا
وأعمى أتاه بالحجاز نثاهم وكان بأطراف الجبال فأسهلا
فجاء به أصحابه يحملونه إلى خير حي آخرين وأولا
إذا صدرت ورادهم عن حياضهم تغادر نهبا للزكاة معقلا
تنافر سوارا إلى المجد والعلى وأقسم حقا إن فعلت ليفعلا
بمجد إذا المرء اللئيم أراده هوى دونه في مهيل ثم عضلا
وهل أنت إن كان الهجاء محرما وفي غيره فضل لمن كان أفضلا
لنا تامك دون السماء وأصله مقيم طوال الدهر لن يتحلحلا
وما كان مجد في أناس علمته من الناس إلاَّ مجدنا كان أولا

(وكنت صنيا بين صدين مجهلا
والصدان: جانبا سفح الجبل، والصني: الثميد يبيض بشيئ يسير قليل، يشرب منه الطير ولا شرب منه الإنسان لقتله، وصني تصغير صنو، والصنو: الشعب الصغير.
*عمهم: هو عقيل، وأبوهم هو جعدة. في ذراه: في ذرى عقيل، ويروى: نداه.
* وأعمى أتاه بالحجاز نثاهم (الأعمى): النابغة، جعلته أعمى القلب.
* تغادر نهبا للزكاة معقلا، تقول: هم لا يؤدون الصدقة عن إبلهم ويتهربون من الزكاة
* تنافر سورا إلى المجد والعلا، تسابق سوارا، وهو سوار بن أوفى بن سبرة بن سلمى بن قشير، وكان يهاجي النابغة ويفخر عليه بأيام بني جعدة.
* هوى دونه في مهيل ثم عضلا، عضل: عيا وبلد وضاق.
* وفي غيره فضل: تقول: في غير الهجاء الحسب والكرم، وليس في الهجاء خير ولا يفضل به أحد، تريد: هل لك أن تدع الهجاء وتفاخر سوار، حتى تعرف نفسك ونسبك وقدرك).
كان عند الأخيلية العديد من الولد، من زوجيها الأول والثاني، فكانت تجوب الصقاع، للسعي في تحصيل معيشتهم، فتقصد الخليفة والولاة، تمدح هذا وذاك، ومن خلال مديحها كانت تغمز إلى حاجتها، فكان أصحاب المقدرة يزيدون لها بالعطاء، وكانوا يعطونها بسخاء و الرضا يبدو على وجوههم وكأنهم هم المستفيدون من ذاك العطاء، فهي لاتستجدي بخسة أو هوان لعزة نفسها الأبية، بل كانت تقول:

إن يصدروا الأمر تطلعه موارده أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار

ولكنها كانت ماتنفك تذكر توبة وتبكيه بعنفوان بعيدة كل البعد عن استعطاف الشفقة عليها، لأن عاطفتها الصادقة، هي التي تنطق بما تجيش به أحاسيسها،حيث قالت:

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيـل بني عـوف فيا لـهفتا لـه ومـا كنت إيـاهـم عليه أحـاذر

أقبلت ليلى من سفر، وأرادت أن تزور قبر توبة في طريق عودتها، ومعها زوجها الذي كان يمنعها من ذلك، ولكنها قالت:

"والله لا أبرح حتى أسلم على توبة" فلما رأى زوجها إصرارها تركها تفعل ما تشاء؟.

ووقفت أمام قبر توبة وقالت: "السلام عليك ياتوبة" ثم قالت لمن حولها:

ما عرفت له كذبة قط قبل هذا؟

فلما سألوها عن ذلك :فقالت أليس هو القائل

ولـو أن ليـلى الأخيلية سلـمـت عـلـي ودونـــي تـــربـــة وصـفائـــح
لسلمت تسليم البشاشة أو صاح إليهـا صـدى مـن جـانب الـقبـر صائـح

فما باله لم يسلم علي كما قال ؟!

وكانت بجانب القبر بومة، فلما رأت الهودج فزعت وطارت في وجه الجمل، مما أدى إلى اضطرابه ورمى ليلى على رأسها وماتت في نفس الوقت ودفنت بجانب قبر توبة.

وكانت المنطقة تعرف بالري في العراق، وكان ذلك في سنة 85هجـ.

جزى الله شرا قابضا بصنيعه وكل امرىء يجزى بما كان ساعيا
دعـا قابضا والمرهفات يردنه فـقبـحت مـدعـوا ولـبـيك داعيا

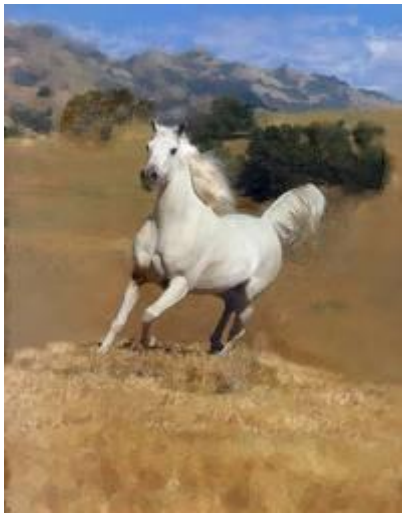

القمر قد عرفناه؟ وأختفي وضاح...!

في وسائل الأعلام الحديث، تكاثرت المحطات الفضائية والمجلات والجرائد الخاصة التابعة لمنهاج وخط سياسي أحادي أوغيره، فهذه المؤوسسات صارت أبواق تابعة، هدفها الأول والأخير ترويج الدعاية لمن يملكها ويديرها، وكل ما ينبس به الرأس الهرمي لهذا الخط والمنهاج، وكأن الأمر سلعة أو مادة أو مستحضر تجميل له حملة ترويج ودعاية.
ومن المتعارف عليه في حملات الترويج والأعلان بأن مدتها تخضع لفترة زمنية لها علاقة بالميزانية المرصودة لذلك، بعد دراسة السوق ومدى تأثير الحملة على تدجين المستهلك بعد ان تنهمر عليه تكرارات تأثير التطبيع والبرمجة لعقله الباطني، وبطريقة لا شعورية يتواجد المستهلك في محور، لاسبيل لديه وعنده، لتجاهل ما تطرق به أذنية وتشاهده عينيه بشكل مكثف بتنوع أساليب الترويج لهذه السلعة ؟
وفي الصحافة، بجميع وسائلها، وتنوع أختصاصات من يعمل في حقولها الواسعة، هناك مهمة صياد الطرائد أو الخبطات الصحافية، ومن أهمها صائد الصور، لأن عامل تأثير الصورة أقوى من عامل تأثير الكلمة، فالكلمة ينتابها التشكيك في مصداقيتها أو المبالغة في نصوصها، ولكن الصورة هي بينة ودليل حسي و فيها الإثبات المنظور، (إذا لم تلعب بها ايادي التركيب والتزوير والمونتاج المتعددة) ولكن بعد أول نظرة من المتلقي لأي صورة كانت، (صادقة أو مزورة)، تنطبع داخل ذاكرته مفاعيل التأثر بها، حتى ولو بعد أن تنفضح أمور تزويرها إن كانت كذلك، ما طبع في ذهن المتلقي من أول نظرة، يبقى هو المهيمن، فيما لو اقتنع بعدها المشاهد المتلقي بعملية التزوير، بعد تقديم براهين حسية طويلة لكشف التزوير، لأن الفترة الفاصلة ما بين المشاهدة الأولى وكشف التزوير وإظهار كيفيتة تستغرق بعض الوقت؟.
التعليق على الحدث المصور بحر واسع، فهو يأخذ الدعم من بينة حسية، ألا وهي الصورة؟ وهناك الكثير من علماء النفس، ممن يعملون كمستشارين في شركات الدعاية و الترويج، الأعلامي بشكل عام، وهناك دراسات وإحصائيات كثيرة تثبت بأن تأثير الحدث المصور هو أهم من الخبر المكتوب أو المقروىء من محطة بث اذاعية أو متلفزة، بدون الصورة الداعمة ؟، فالخبر أو الحديث أو النص المكتوب، يجري تكذيبهم أو الطعن بهم، بشكل آني بالإعتماد على وسائل الإتصال الحديثة؟
صائد الطرائد (البابارازي)، له تدريب خاص، ويملك امكانيات ومقدرة فائقة في الحرافة، و وسائل تنقل ومعدات لايستهان بها، وأجر باهظ للصيد الثمين؟.
ثلاثة مراحل: وهي وسيلة النشر، والصياد الصائد، والمتلقي، تكتمل بهم حلقة الخبر وتنتشر وتتجول من مجلس إلى آخر، وعلى شفاه المعنين والمهتمين بحيثية الخبر.

عمر بن أبي ربيعة: أختصر الوسائل الثلاثة، فجمعها في شخصيته، فهو الحدث وصانعه، وهو الصائد الصياد وهو المعني لوحده بنشر الخبر في البداية، فيصبح الحدث المفبرك عنه ومن تصوره الوهمي، هشيم ينتشر بسرعة مميزة، " عمر " يتوهم الحدث، ثم يتقن فبركته، ويبدع في ترويجه، ومما يزيد في عزم الإنتشار وقوته، في الغالب، يكون رغبة وتمني عند المتجنى عليها، وذلك بالسعي الخفي بتلفيق المشهد بكامله، ففي الكثير من الحالات تكون المتجني عليها، هي من تلاعبت بمسرح الحدث بطريقة خفية ورغبة باطنة عندها، فتدفع بواسطة غمز ولمز، فكرة الإيحاء إلى فبركة الخبر وتعميم إنتشاره!

مراحل تتداخل حلقاتها بشكل عجيب غريب، وهنا تخطر ببالي مقولة صديقي جورج حرب (أبو علي) حيث يردد بصورة مستديمة " بأن الشجرة المثمرة ذات الثمر اليانع، وحدها من بين الأشجار، يرشقها الناس بالحجارة للنيل من ثمارها ؟".

مقدرة عمر في فبركة الحدث الوهمي الخيالي، وبراعته في الوصف والتصوير، لا تأتي من فراغ، و ترشق الشجرة المثمرة لينال من ثمارها، بل هي حواء عبر التاريخ ومنذ القدم، وهي من تستدرج الرشق العمري، لترضي نزعة الإغراء المتاوجدة في داخلها، وكما يقال (بتحريف القول)، " صيت حسن وجمال خير من صيت قبح ودمامة ".

في العصر الأموي ظهر شعر الغزل وأصبح شائع على كل لسان من تأثير الفتوحات والرقيق الأجنبي، وكان من المواضيع المطلوبة من المغنين والمغنيات، وقد ابدع الشعراء في اوزانه ليتلائم مع الغناء وينال الرضا وإلإستحسان عند المعجبين و اذواق المستمعين.

وقد اختلف هذا الشعر الغزلي عن الجاهلي في اكثر من صورة، فلقد فصل الشعر الجاهلي بين الحرية والإباحية في تصويره للمرأة، حيث أصبح في صدر العصر الأموي ممتهن، تقارب إليه العبث واللهو والمجون في الشعر الجديد، لايردعه حشمة ولا وقار.

بداية العصر الأموي كانت مشاغلها ومشاكلها كثيرة، وأخذت فترة من الوقت لتستقر أمورها، ثم رفع شعار " لاصوت يعلو على صوت التوريث ليزيد " فكانت الجهود منصبة متاكتفة تحت هذا المنحى، وكل نشاط مخالف كان له التصدي العنيف الدامي، فالخطط الإستباقية كانت في أدراج صاحب القرار والسلطة معاوية، وعلى كل مولى وموالي أن يمتثل ويضع كامل إمكانياته في سبيل تحقيق الهدف؟

ولقد برز في هذه الفترة نوعية من الشعراء كانوا في مطبخ العمليات، وانصرف آخرين نحو الغزل، والبعد عن التموضع.

في البداية كان هؤلاء الشعراء يتحفظون في شعرهم ويصورونة بالعذرية والطهارة وربما بالورع والتقى، ومنهم من لايتحفظ بسره فيبوح بالعلن، بأسم حبيبته وزياراته لها مثل عمر ابن ابي ربيعة، و لربما كان أكثرها من الخيال والوهم؟

حاول ان يطرح شباك الإغراء حول المرأة وإستفزاز أهلها وعشيرتها، بحسن وجمال وسامته وغناه المادي، وعذب كلامه وسلاسة معانيه، وكان بشخصه البطل الأوحد لروايته الخيالية لربما؟

ولد عمر بن ابي ربيعة ونشأ في مكة وقد دللتة أمة بعد وفاة أبيه، وورث عنه أموال وفيرة، اتاحت له ان يعيش حياته على هواه وحسب ما تشتهيه نفسه ويطول عنان خياله؟.

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي شاعر قريش وفتاها، وهو أحد شعراء الدولة الأموية، هو أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب سنة 23 هـ، فسمي باسمه.

عن الأصفهاني قال: كان جد عمر، أبو ربيعة يلقب بـ (ذي الرمحين) لطوله، وكان يقال كأنه يمشي على رمحين، وقيل: انه قاتل يوم عكاظ برمحين، وكان والد عمر، عبد الله يسمى في الجاهلية بجير، فسماه رسول صلى الله عليه وسلم، " عبد الله "، وكانت قريش تلقبه " العدل " لأنها كانت تكسو الكعبة سنة في الجاهلية وهو يكسوها من ماله سنة.

وكانت أمه يمنية أو حضرية تسمى " مـجـد " (وهي أم ولد)، وكان أبوه عبد الله في الذورة من قومه ثراء وسخاء، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم فولاه على إقليم من اليمن يمسى " الجنـد ".

(ولربما هناك ولد عمر) وبقي عبد الله على أقليم الجند إلى عهد ذو النورين عثمان .

وكان لعمر أخ من أبيه أسمه الحارث ولقبه القباع، ولد من أم نصرانية سوداء من حبش فرسان وقد ماتت في عهد عمر بن الخطاب مما يؤكد أن الحارث أكبر من عمر.

ويروى عن الحارث أنه كان يتمتع بصفات الشرف و الكرم والتدين، وسيد من سادات قريش حتى بلغ به أن يوليه عبد الله بن الزبير على البصرة، وقد كان الحارث على خلاف مع أخيه عمر في إبتذاله وإسرافه في التشبيب والغزل ومطاردة النساء، ولقد حاول أن يثني عمر عن خطته بالإغراء والمكافأة علاوة على النصح والعدل فلم يفلح؟

وكان عمر في شعره يستخدم الأوزان الخفيفة والمجزؤة كما انه يستخدم لغة سهلة لكي يسهل الغناء بها، لم يكن يتصنع التكلف، وكان يظهر في غزله بأنه ليس هو من يرمى الشباك لكل امرأة جميلة، (لا فسوق في موسم الحج)، تمرد بن ابي ربيعة على الأعراف والعقيدة، بلا وجل ولا خجل!

يقصد الناس للطواف احتسابا وذنوبي مجموعة في الطواف

كان عمر في موسم الحج، يعتمر ويلبس الحلل والجواهر، ويركب النجائب من الخيول المخضوبة بالحناء وعليها الصهوة المرصعة، وكان يرى في موسم الحج رغبته المنشودة، قيلتقي بالعراقيات، والمدنيات، والشاميات، فيقول:

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجـــة واعتمارا

وقال فيه ابن خلكان: " كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله فى ذلك حكايات مشهورة".
وقيل: لعمر بن أبي ربيعة غزل بعضه صادق من صميم القلب، وغزل آخر رقيق ينظمه في كل حسناء من حسان المدينة ومكة، عاش حياته للغزل الصريح، فالدنيا مشرقة باسمة من حوله، والمغنون والمغنيات من أهل مكة مثل ابن سريح وابن مسجع والفريض يلزمونه ويغنون من شعره.
ويقول الرواة : إنه كان في بيته مغنيتان تغنيانه من أشعاره هما "بغوم" و "أسماء"، وسرعان ما يطير غزله إلى المدينة فإذا مغنوها ومغنياتها من مثل سعيد وجميلة يغنونه ليصبح أكبر غزل في عصره؟
كان يستخدم لغة سهلة، فيها عذوبة وحلاوة، ويعشق بسرعة كل امرأة جميلة في مكة أو في المدينة أو الطائف، ولم يكن بذاك الحريص الذي يكتفي بواحدة.

قف بالطواف ترى الغزال المحرما حـــج الحجيج فـعـاد يـقصد زمزمـا
عنـــد الطـواف رأيـتـهـا مـتلثمـــة للـركـــن والـحجـر الـمعظـم تلثمـا
أقـسمت بالبيت العـتيـق لتخبـــري ماالاســـم قـالـت مـن سلالـة آدمـــا
الاســـم ســلمـى والمنـازل مكـــة والـــدار ما بيـن الـحجـون وغـيـلمـا
قلت عديني مـوعـدا أحـظـي بـــه أقضـــي به ما قـد قضاه المحرمـا
فتبسمت خجلا و قـالت يـا فتـــى أفســـدت حجك يا محـل المحـرمـا
فتحرك الركن اليمانـي خشيـــة وبكا الحطيم وجاوبتـــــه زمزمـا
لـو أن بيـت الله كلـــــم عاشقـا من قبـــــل هـذا كـاد أن يتكـلمـا

هو المعشوق وليس العاشق، كما انه يصور في شعره مغامرات لاتتعدى اللقاء والمتعة في الحديث وهو صريح من هذه الناحية ولكنها ليست الصراحة الإباحية التي تؤدي الى إثم؟
وما شكا من هجر أو من وجع وتألم من الغرام والعشق بل محبوبته هي التي تشكو من ذلك ومن قوله:

تقول اذ ايقنت اني مفارقها ياليتني مت قبل اليوم ياعمرا

شب الفتى المخزومي الوسيم على الدلال والترف، رزق الثروة والفراغ منذ الصغر، فلهى مع اللاهين وعرفته مجالس الطرب والغناء، وتجلى ينشد الحسن في وجوه الملاح في مكة، ويطلبه في المدينة والطائف وغيرهما.
ومما يروى أن سليمان بن عبد الملك سأله: ما يمنعك من مدحنا؟.
فأجابه: أنا لا أمدح إلا النساء!.
وكان عبد الله بن عباس، من المعجبين بأشعار عمر؟

قيل: أقبل نافع بن الأزرق على ابن عباس فقال : الله يا ابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد، نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش، فينشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس كذلك قال، بل قال:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فقال ابن الأزرق : ما أراك إلا وقد حفظت البيت !

قال ابن عباس: أجل، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها؟

فأنشده القصيدة، وأردف يقول من شعر عمر:

تشط غدا دار جيراننا وللدار بعد غد أبعد

وقد نجد في شخصية عمر، لون من غطرسة الفحولة والإعتداد بالنفس ولكنها غطرسة ما تلبث أن تستسلم، وتلقي سلاحها لتصبح معلقة بكلمة رضا من أنثى مشتهاة لا تستبد مرة ولكن مرة بعد مرة، ليصبح الرجل ألعوبة بين يديها وهذه هي حكاية عمر مع كل النساء .

عمر بن أبي ربيعة، كان على جانب كثير من الإعجاب بنفسه، ويدعي بأن النساء يتهافتن عليه ويتنافسن في طلبه بل أنه يفاخر بالتحدث عن شهرته لدى نساء المدينة وكيف يعرفنه من أول نظرة، حيث يقول:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

رفع شعاره في الحياة من خلال قوله:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

ولاعجب في ذلك، ففي عصره كان الغنى ينهال على قريش من الفتوحات، فهبطت عليهم الغنائم والجواري الروميات والفارسيات المسبيات، والعاج والذهب والديباج وعطور فارس وحرير دمشق وحلب وجرار العسل والنبيذ.

اما النساء الحجازيات فبعد أن كن يلبسن أردية من وبر الجمال رحن يلبسن الأردية الفارسية، ومن الهند والشام، والاساور المرصعة بالاحجار الكريمة ويتعطرن بمياه الورد والاقحوان، فظهر في المدينة ومكة الشعراء الغواة أبناء الطبقة المترفة التي أغتنت من الفتوحات، ولاعمل لها غير الغزل والتشبيب بالحسان والغيد بثريا وسليمى وعزة وغيداء، ولم تسلم من مجون اؤلئك الشعراء الغواة بنات ونساء الطبقة الحاكمة.

عمر بن أبى ربيعة فتى زمانه وغريد عصره، تغزل بالكثيرات من النساء، حتى تخاله، بأنه لم يدع فتاة أو إمرأة جميلة في الحجاز الا شبب بها وذكرها؟
فقد شبب بزينت بنت موسى الجمحية وأبنة عمها " نعم " وبالثريا بنت علي بن عبد الله، ولم يقف عند هذا الحد، بل تعرض للزوجات (الحاجات في الطواف) وأنشد بهن الشعر والغزل، ومنهن ليلى بنت الحارث البكرية ورملة بنت عبد الله الخزاعية وفاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية، ولم تسلم منه "غزلة" زوجة شيخ النحو ابي الأسود الدؤلي.
فلا ذنب عليه؟ لأنه كان من بينهن من يرغبن ان يتشبب بهن، فكن يتعرضن له، وكن يغضبن إذا لم يشبب بهن! لأن في ذلك كان سعيهن للشهرة، والزواج من السادة؟؟

روى عن أبي معاذ القرشي قال: لم يستثني عمر، فاطمة (بنت عبدالملك بن مروان، زوجة عمر بن عبد العزيز)، لما قدمت، فاطمة، إلى مكة، راح عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر، ولا يذكرها بأسمها مخافة من عبدالملك بن مروان ومن الحجاج، لأنهما كتبا إليه يتوعدانه إن ذكرها أو عرض بإسمها، فلما قضت حجها، وارتحلت أنشد يقول:

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي وكلانا يلقي بلب أصيل
لو خلت خلتي أصبت نوالا أو حديثا يشفي من التنويل
ولظل الخلخال فوق الحشايا مثل أثناء حية مقتول
فلقد قالت الحبيبة لولا كثرة الناس جدت بالتقبيل

*

بنت الخليفة والخليفة جدها أخت الخلائف والخليفة زوجها

*

وناهدة الثديين قلت لها: اتكي على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت: على اسم الله أمرك طاعة وإن كنت قد كلفت ما لم أعود
فما زلت في ليل طويل ملثما لذيذ رضاب المسك كالمتشهد
فلما دنا الإصباح قالت: فضحتني فقم غير مطرود وإن شئت فازدد
فما ازددت منها غير مص لثاتها وتقبيل فيها والحديث المردد
تزودت منها واتشحت بمرطها وقلت لعيني: اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفي بالرداء مكانها وتطلب شذرا من جمان مبدد

هنـد المرية :

قالت لجارتها انظري ها من أولى وتـأملـي مـن راكـب الأدمـاء
قـالت أبـو الخطـاب أعـرف زيـه وركـوبه لا شـك غيـر خفـاء
قـالت وهـل قالت نعم فاستبشـري ممـن يـحـب لـقيـه بـلقـاء
قـالت: لـقد جـاءت، إذا، أمـنيـتـي في غير تكلفة وغيـر عنـاء
مـا كـنت أرجـو أن يلم بأرضنـا إلا تـمـنيـه كـبيـر رجـاء
فـإذا المنى قـد قـربت بلقائـه وأجاب في سـر لـنـا وخـلاء
لـما تـواقـفنا وحـيـيـنـاهـمـا ردت تـحيتنا عـلى استحيـاء
قلن: انـزلـوا فتيمموا لـمطيكم غيبا تـغيبـه إلـى المـاء

(كني عمر بأبي الخطاب)

أم يعمر:

حـيـيـا أم يـعـمـرا قبل شحط من النوى
قلت: لا تعجلوا الرواح فـقـالوا: ألا بـلـى
أجـمـع الـحـي رحـلة فـفؤادي كذي الأسى

العتاب المشروط:

حـي الـربـاب، وتربها أسمـاء، قبل ذهـابهـا
إرجـع إلـيها بـالـذي قـالت بـرجـع جوابهـا
عرضـت عـلـيـنـا خطة مـشـروقـة بـرضابهـا
وتـدلـلـت عـنـد العتـا ب فـمـرحـبا بعتـابهـا
تـبـدي مـواعـد جـمـة وتـضـن عـنـد ثـوابهـا
ما نـلـتـقـي إلا إذا نـزلـت منـى بـقبابهـا

حراسة ومواكبة في مهمة:

خـليلـي عـوجا حـيـيـا اليـوم زينبـا ولا تـتـركـاني صاحـبـي وتذهبـا
إذا مـا قـضـيـنـا ذات نـفس مهـمـة إليها وقرت بالهوى العين فاركبـا
أقـول لـواش سـالني وهـو شـامـت سـعـى بيننا بالصرم حـينا وأجلبـا
سؤال امرىء يبدي لنا النصح ظاهرا يـجن خـلال النصـح غشـا مغيبـا

النوايا المبيتة:

يـا مـن لـقـلـب مـيـتـم كـلـف يـهـذى بخـود مـلـيـحـة النظـر
قـالـت لـتـرب لـهـا تـحـدثها لنـفسـدن الـطـواف فى عمـر
قالـت تـصـدي لـه ليعـرفـنـا ثم اغـمزيه يا أخت فى خفر

تقدم لخطبة الثريا بنت علي بن عبدالله، فلم يوافق أهلها، فراح يتغزل بها:

يا ثـريـا الـفـؤاد ردي الـسـلامـا صـلـيـنـا ولا تـبـتـي الزمامـا
واذكـري ليلـة الـمطـارف والوبـل وإرسـالنـا إلـيـك الـغـلامـا
بـحـديـث إن أنـت لـم تـقـبـليـه لـم أنـازعـك مـا حـييت الكـلامـا
واذكـري مـجلسـا لـدى جـانـب القصر عشيا ومقسمي أقاسـما
فـي لـيـال مـنـهـن لـيـلـة بـاتـت ناقتـي ولـهـى تـجـر الـزمامـا
مـن يـكـن نـاسيا فـلـم أنـس مـنـهـا وهي تذري لذاك دمعـا سجاما
يـوم قـالـت ودمـعـهـا يغسـل الكحل أردت الـغـداة مـنـا انصرامـا
قلـت لم تصرمي ولم نطـع الواشي وقـد زدت ذا الـفـؤاد غـرامـا

سيان عنده فلا يبالي:

سلام عليها ما أحبت سلامنـا فإن كرهته فالسلام على أخرى

هوالمعشوق وعليه أن يختار:

حييـا أثـلـة إذ جـد رواح وسـلاهـا هـل لـعـان مـن سـراح
هل لـمـبـتـول بـهـا مستقبـل دنـف الـقـلـب عـمـيـد غـيـر صاح
كان والـود الذي يشكـو بها كمريق الماء في الأرض الشحاح
أيهـا السائـلنـا عـن حـبـهـا تـكـثـر المنطـق في غـيـر اتضاح
خـلقت ذكرتها من شـيـمتي ما أضاء الأرض تـبـلـيـج الصباح
ما لها عندي من هجـر ولا سـرها عـنـدي بـالفـاشـي المباح
تـسـأل الـود وددت انـنـي بيـن أسيـاف الأَعـادي والـرمـاح
قـادت الـعـيـن إليها قـلـبـه عـقـب التشريق من يـوم الأَضاح

هند بنت الحارث المرية؟ كان لها الرونق والهيام والعشق العطر، والغزل الصادق:

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد
واستبددت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جاراتها وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها وقديما كان في الناس الحسد
غادة تفتتر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو برد
ولها عينان في طرفيهما حور منها وفي الجيد غيد
طفلة باردة الفيظ إذا معمعان الصيف أضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى تحت ليل حين يغشاه الصرد
ولقد أذكر إذ قلت لها ودموعي فوق خدي تطرد
قلت من أنت فقالت أنا من شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قود
قلت أهلا أنتم بغيتنا فتسمين فقالت أنا هند
إنما خبل قلبي فاجتوى صعدة في سابري تطرد
إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شيء أحد
حدثوني أنها لي نفثت عقدا يا حبذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

هند ثم هند؟

قل لهند وتربها قبل شحط النوى غدا
إن تجودي فطالما بت ليلي مسهدا
أنت في ود بيننا خير ما عندنا يدا
حين تدلي مضفرا حالك اللون أسودا

يا حبذا؟

ألا حبذا، حبذا، حبذا حبيب تحملت منه الأَذى
ويا حبذا برد أنيابه إذا اظلم الليل واجلوذا

أما عمر فقد تمكنت امرأة من بني جمح كان أبوها قد فر بها (خوف تعرض عمر لها) من مكة إلى البصرة)، وبعد وفاة والدها عادت إلى مكة وتمكنت من الإيقاع بعمر في شرك الزواج،

فتزوجها وانجبت له، و روى بأنه قد تزوج بكلثم بنت سعد المخزومية التي استأسر لها عمر و أنجبت له ولده جوان بن عمر، وكانت لعمر بنت سماها " أمة الواحد " لم يعرف أكانت من زوجته كلثم أو من بنت جمح، أومن غيرهن والله أعلم؟

و قال :

خبروها بأنني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي أخال فيهن فترا
من حديث نمى إلى فظيع خلت في القلب من تلظيه جمرا

وقيل: أنه تاب بعد أن جاوز الأربعين عام، فقيل عنه (فتك عمر أربعين و نسك أربعين) وليس من الثابت أن عمر عاش ثمانين سنة،(لكن القول أراد أن يوازن بين حياتي الشاعر)، و روى عنه أنه بعدما تاب نذر أن يعتق عبدا كلما قال بيت غزل من الشعر.

اختلفت الروايات في سبب موت عمر اذ قيل ما قيل:

إنه مات وقد قارب السبعين أو تجاوزها، وإذا صح ذلك يكون قد توفي حوالي سنة 93 هـ وقد تضاربت الروايات في سبب موت عمر، فقيل إنه غزا في البحر، فأحرقت سفينته ومات، وقيل إن امرأة دعت عليه لأنه ذكرها في شعره، وهي في الطواف وقال فيها :

الريح تسحب أذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

فقالت: اللهم إن كان نوه بإسمي، وظلمني، فأجعله طعاما للريح؟

فعدا يوما على فرس، فهبت ريح، ونزل فأستتر بشجرة فعصفت الريح فخدشه غصن منها فمات من ذلك، وقيل إنه خدشه الغصن فدمي وورم به و مات من ذلك ؟

من أشعاره غنت سفيرة النجوم فيروز ما يلي :

و لا قرب نعم إن دنت لك نافع ولا نأيها يثني ولا أنت تصبر
إذا جئت فأمنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر)

قد عرفناه وهل يخفى القمر؟ كان عمر متعدد الأوجه والصفات: اللهو، الإستهتار بالمقدسات، تعدد المعشوقات، النرجسية (الإعتداد بالذات والغرور)، محبوب النساء، حب الإستجابة، التمنع، المغامرة، الجرأة، الخبرة بنفسية النساء، اللهو، التحرر الإجتماعي، الجمال المادي والمعنوي، الرفاهية، التحضر، التنعم، العبث، الإنكشاف، الأسلوب القصصي الممتع، التصوير المادي للمرأة، غلبة النزعة الإباحية، اقتراب اللغة من النثر ولغة الحياة اليومية، غلبة الحوار والوصف، تعدد أسماء الحبيبات؟؟؟؟

وضـاح اليمن، هو عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني، يمني من خولان بالقرب من صنعاء التي لا تزال تحمل هذا الاسم حتى اليوم ينتهي نسبه إلى حمير وقحطان، لقب بالوضاح لوسامته، فغلب اللقب الإسم، كان من شعراء الغزل في العصر الأموي.
و يقال: بأنه أحد الثلاثة، وهم " وضاح " و" المقنع الكندي " و" أبو زبيد الطائي " كانوا لا يدخلون أسواق العرب الا مقنعين خشية العين وقد كان جماله شبيها بجمال عمر ابن أبي ربيعة، ولعل وسامة وضاح هي التي جعلته العاشق المتيم المدلل.
في حياة وضاح نساء عاش معهن حياة عاطفية لمسنا آثارها في شعره، أولهن أمرأة يمنية هي روضة بنت عمرو من كندة وقد نظم فيها شعرا كثيرا ولم يتزوجها.
ولكنه اشتهر بتلك العلاقة التي كانت بينه مع أم البنين زوجة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، والتي قتل بسببها حيث أبلغ أحد الخدم، الخليفة أن وضاح في غرفة أم البنين وكانت قد وضعته في صندوق لتخفية فأخذ الخليفة الصندوق ودفنه ووضاح في داخله.
وأختفى وضاح؟.
" ما ورد ذكره مصدره الموقع الأ لكتروني للموسوعة العالمية"

يذ كر الدكتور طه حسين، في كتابة حديث الاربعاء، بأنة يشك في وجود هذ الشاعر، شكا قويا فرواة القصة مرة يذ كرون أنه عربي حميري ومنهم من يقول بأنة من سلالة فارسية من الفرس الذين أتو اليمن مع سيف بن ذي يزن والبعض يذ كر أنه عربي ولكن أبوه مات وهو طفل، فتزوجت أمه برجل من سلالة الفرس أشرف على تربيتة وأدعى أبوته وعندما حضر عمومتة لأخذه، حصلت خصومة ورفع الامر للحاكم وكان وضاح جميلا جدا، حتى أن الحاكم أو الوالي، أعجب به، فمسح بيده على رأسه وقال: أنت وضاح اليمن؟
فغلب علية هذا اللقب وأخذته عمومتة.
ويذكر الدكتور طه حسين: أن أبو الفرج الاصفهاني، في كتابة الاغاني، روى قصيدة لوضاح، وردت له وهو في الشام اثر خبر موت أبوه وأخيه في اليمن؟ (وبهذا يستدل بأن وضاح، لم يكن بذاك الطفل اليتيم عندما كان في الشام بل كان في عداد الرجال؟)
وان الرواة (حتى) اختلفوا في أمر حبيبتة الاولى أكانت عربية أم من أصل فارسي وإن هذا الإضطراب في الروايات يؤدي إلى الشك في وجود وضاح أساسا؟
إضافة كما يقول الدكتور ان كل الشعراء الغزليين في القرن الاول والثاني للهجرة مضريون سواء في البادية او الحضر(المدن) أي من قريش.
خاصة وانه لم يكن هناك شاعرا غزليا يمنيا واحدا فأخترع اليمنيون قصة وضاح نتيجة للعصبية والتعصب الذي كان سائدا كقاعدة في ذلك العصر بدليل أن اليمنيين حاولوا الإدعاء بأن جميل بثينة منهم ولم يوفقوا لإختلاف نسب قبيلة قضاعة قبيلة جميل، ثم إن جميل كان يؤكد انه من معد وكانت العصبية بين المضرية واليمانية قد عظم أمرها وكانت المضرية لا

تفتخر بشيء إلا حاول اليمنيون أن يفتخرو بما يساويه أو يزيد عليه، وكان المؤكد أن الغزل يماني بحكم أن امرؤالقيس هو من مهد شعر الغزل، ولكن ذلك كان في الجاهلية وليس في القرن الاول والثاني من عصر الإسلام ولم يكن يسيرا على اليمنيين الخذلان وأن تسلم للمضريين بهذا التفوق الشعري، اذ لابد من أن يكون لليمانية شعراء غزليين يتفوقون على الشعراء الغزليين من المضرية فأخترعوا قصة وضاح اليمن حتى لا يقال انها، أي اليمن، خلت من شعر الغزل في الإسلام؟

قال وضاح الشعر، واتصل بالخلفاء، واضافوا له شعر لم يقله أحد من قبله ولكن فاتهم أن شعر الغزل أغلبه بدوي فية خشونة وليس فية ليونة او نعومة كالشعر المنسوب لوضاح؟ والذي تكثر فية الشنشنة (قافية الشين) مثل قصيد ته التي يقول فيها:

طرب الفؤاد لطيف روضة غاشي والقوم بين أباطح وعشاش
اني اهتديت ودون ارضك سبسب قفر وحزن في دجى ورشاش
قالت تكاليف المحب وكلفتها ان المحب إذا اخيف لماشي
ادعوك روضة رحب واسمك غيرة شفقا وأخشى ان يشي بك واشي
قالت فزرنا قلت كيف ازوركم وانا امرؤ لخروج سرك خاشي
قالت كن لعمومي سلما معا والطف لأخوتي الذين تماشي
فتزورنا معهم زيارة آمن والسر يا وضاح ليس بفاشي
ولقيتها تمشي بأبطح مرة بخلاخيل وبحلأة اكباشي
فظللت معمودا وبت مسهدا ودموع عيني في الرداء غواشي
ياروض حبك سل جسمي وانتحى في العظم حتى قد بلغت مشاشي

وأنتقد الدكتور طه حسين، هذة الابيات بقوله: إن هذة المرأة تريد وضاح أن يزورها بأي طريقة، فاذا ذ كر لها عسر يسرته له، أغرتة أن يتلطف لأعمامها وأخوتها حتى ان هذه الصداقة تسهل له زيارتها دون أن يتعرض لخطر أو يذاع سره، وهذا التصرف موجود في الطبقات المنحلة وليس فيها أخلاق البادية وما فيها، وهي أقرب (أي القصيدة)، إلى الفجور؟ وهي تشبة قصص الفجور التي حصلت في بغداد في القرن الثالث والرابع الهجري ومن المرجح أنه تم أختراعها في تلك الفترة (فترة العصر العباسي الكاره للأمويين)

وأبوفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني يذ كر أن كتابا غثا مصنوعا كان في أيدي الناس عن الوضاح وانه كره ان ينقل منه شيئ! فوضاح بطل غرامي من أبطال العامة أي من القصص الشعبية؟؟

لوضاح قصائد شعر غزلي، وفيها تأثر بقصائد امرئ القيس و منها قول وضاح:

سموت إليها بعدما نام بعلها وقد وسدتة الكف في ليلة الصرد
أشارت بطرف العين أهلا ومرحبا ستعطى الذي تهوى على رغم من حسد
ألست ترى من حولنا من عدونا وكل غلام شامخ الأنف قد مرد
فقلت لها إن امرؤ فأعلمنه إذا ما أخذ السيف لم أحفل العدد

وهي شبيهة بقول امريء القيس:

سموت إليها بـعـدما نام اهلها سمـو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله انك فاضحي الست ترى السمار والناس حولي
ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسـنـونـة زرق كـأنياب أغـوال

وله في روضة، قصيدته الحوارية الجميلة التي قال فيها الدكتور طه حسين في كتابة حديث الاربعاء،هي أول قصيدة حوارية:

قالـت الا لا تـلجـن دارنـا إن ابـانـا رجـــل غـائـر
قلت فاني طالب غرة منة وسـيـفـي صـــارم بـاتـر
قالت فان القصرمن دوننا قلت فاني فـوقـــه ظاهـر
قالت فان البحر من دوننا قلت فاني سـابـــح ماهـر
قالت فـحولي أخـوة سبعة قلت فاني غـالـب قـاهـر
قالت فـليـث رابـض بيننا قلت فـاني اســـد عـاقـر
قالت لـقـد اعـيـيـتنا حجة فأت اذا ما هجـع السامـر
واسـقـط عـلـينـا كـسقوط الندى ليلة لا ناة ولازاجر

عاش وضاح في عصر الدولة الأموية وهو عصر ازدهر فيه الأدب بصورة تعددت فيها مواضيعه واختلفت فيها اتجاهاته ومدارسه وكان فيه شعراء السياسة والهجاء مثل جرير والفرزدق والأخطل وعدي بن الرقاع وغيرهم كما ظهر فيه الشعراء الغزليون والعذريون أمثال عمرو بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات والعرجي وجميل بثينة وكثير عزة وغيرهم الكثير.

بين الأسطورة والخيال عاش وضاح، حياة أحاط بها الغموض من مولده حتى ظروف مماته، ولاتكاد تجد وضوحا لحياته في سير الأدب كالبقية من زملائه الشعراء ولعل مرد ذلك إلى العصبية القديمة بين القيسية واليمانية، بحيث يجد شاعر الحجاز ما لا يجده شاعر اليمن من العناية، أضف أن اليمن كانت تتبع مذهب شيعة علي بن ابي طالب والعداوة للبيت الأموي، وقصته المشهورة مع أم البنين مما جعل الرواة يتحفضون في نقل شعره وأعماله خوفا من البيت الأموي، حتى إن قصته مع أم البنين لم تكتب إلا في العصر العباسي ويبدو أن موجة الفتح دفعت بوضاح إلى الشام ولكنه ضل يحن إلى " روضة " حبيبته الأولى!

الإشكال والإلتباس في تعدد الرواة، والعلاقة بين وضاح وأم البنين، زوجة الوليد بن عبد الملك، وبنت عبد العزيز بن مروان (وزوجته فاطمة أخت الوليد بن عبد الملك).

أم البنين ذهبت للقيام بفريضة الحج، وعلى هذا شبه تقاطع بين الجميع، فتوعد الوليد بن عبد الملك الشعراء وهددهم إن هم تغزلوا أو أنشدوا وتشببوا بزوجته؟

الدكتور طه حسين، بقي على نفيه لحقيقة وجود شاعر أسمه وضاح اليمن، ولكنه يقول:
بأن أم البنين، كانت ترغب وتريد أن يتغزل بها الشعراء كما تغزل عمر بن أبي ربيعة بفاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز وأخت الوليد، (وكذلك كما تغزل من قبل أبن الرقيات بعاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان قد سبقهم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وتغزل برملة بنت معاوية بن ابي سفيان).
" وكأنها صارت عادة عند شعراء العصر الأموي، فكانوا يتغزلون بكل مليحة وجميلة تحط برحالها في أرض مكة؟".
ويقول الدكتور طه حسين: بأن أم البنين طلبت إلى كثير عزة وإلى وضاح اليمن أن يذكراها، فأما كثير فخاف من الوليد، ولكنه تغزل وذكر جارية أم البنين وتدعى " غاضرة " ولكن وضاح تغزل بأم البنين، فحبته وأحبها وطلبت منه أن يتبعها إلى الشام؟.
و في ذكر الدكتور طه حسين لذلك تبرز علامة استفهام كبيرة، لأنه قد نفى (من قبل) وجود وضاح بالأساس؟
ولقد ذكر ذلك الأستاذ أكرم الرافعي في قصة وضاح تحت سلسلة آفاق عربية طبعة 1960 وأضاف: تبعها وضاح ومدح زوجها أميرالمؤمنين الوليد بن عبد الملك حسب نصيحة حبيبته أم البنين ووعدته أنها ستعمل على حمايته ورفعة شأنه، فقربه زوجها، وأكرمه علية القوم، وكان يتردد على مخدع (غرفة نوم) أم البنين وكان جميلا حتى تعلقت به وتعلق بها وشعر بنات ونساء رجال الديوان بذلك وبدأوا يتربصون به.
ويقول الدكتور طه حسين: أن الوليد أهدي له جواهر أعجتبه فأرسلها مع أحد الخدم إلى غرفة أم البنين، فرأى الخادم عندها وضاح، فأسرعت ووضعت " وضاح " في الصندوق، والخادم يرى! ثم أخذت الجواهر، فطمع الخادم وطلب إحدى هذه الجواهر فأبت عليه وسبته فأنصرف، ومن شدة غضبه أخبر الخليفة بما رأى؟
فأظهر الخليفة تكذيبه وأمر بقتله، ثم نهض من فوره ودخل على زوجته أم البنين، فإذا بها تتمشط فجلس على الصندوق الذي وصفه له الخادم وطلب منها أن تعطيه إياه فلم تستطع الرفض فأخذه إلى مجلسه وأمر بحفر بئر في هذا المجلس وألقى الصندوق في البئر ثم دفنه بالتراب وسوى بها الأرض ورد البساط فوقها كما كان واختفى وضاح.
وفي رواية أخرى:
كان وضاح اليمن كما يقول الرواة قد نشأ منذ الصغر مع أم البنين فأحبها وأحبته، فلما جاء الوليد بن عبد الملك الحجاز رأى أم البنين فأعجبته، فتزوجها فأخذها إلى قصره في الشام.
على أثر هذا جن وضاح وشرد منه العقل، فتبعها إلى الشام وراح يدور حول قصرها يبحث عن وسيلة للوصول إليها، ثم استطاع التعرف على إحدى وصيفاتها، فقال لها:
إنها ابنة عمي، وإنها ستسر بمكاني وموضعي لوأخبرتها؟
قالت: إني أخبرها فمضت الجارية، فأخبرت أم البنين؟

فتساءلت أم البنين (اوما يزال وضاح على قيد الحياة).
ثم أمرت الخادمة قولي له كن مكانك حتى يأتيك الخبر، ثم أدخلته القصر، فكانت تقضي معه ماشاءت من المتعة ولكن عيون الرقباء كانت يقظة تراقبها وعندما شعرت بالخطر خبأته داخل صندوق في مضجعها، وفي حينها بعث الوليد غلامه يحمل لها جوهرة فريدة في دعوى لإدخال الفرحة إلى قلب أم البنين، فدخل الغلام على أم البنين من غير إستئذان وكانت أم البنين تقوم بإدخال وضاح في الصندوق، رأى الخادم ماصنعته، وخرج الخادم فأخبر الوليد بذلك، فدخل الوليد على زوجته وطلب منها أن تعطيه ذلك الصندوق!
فقالت: إن فيه شيئ يخص النساء فأختر غيره؟، قال: لا أريد غيره!
أجابته على مضض هو لك، فأمر الوليد غلامين فحملاه ثم أمرهما حفر حفيرة حتى اذا بلغا موضع الماء، إقترب الوليد من الصندوق وقال:
لقد بلغنا عنك أمر؟ فأن صح ذلك فقد دفنا سرك ودرسنا أثرك وأن كان كذب فما علينا بدفن صندوق؟.
ودفن وضاح بداخل صندوق أم البنين بين الشك واليقين؟
أما الدكتور طه حسين، لقد أنكر هذة القصة في كتابه (حديث الأربعاء) وأنكر وضاح اليمن وقال أنها مختلقة.
وأما الرواة، ومنهم الذهبي في " تأريخ الأسلام " وابن خلكان في " وفيات الأعيان " ، قالوا: وضاح اليمن، كان أسمه " عبد الرحمن بن إسماعيل "وهو يمني من صنعاء، وذكروا أنه وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرم وفادته وأحسن صلته.
ويقول هشام بن السائب الكلبي: بأن أم البنين كانت إحدى جواري يزيد بن عبد الملك وكان وضاح اليمن يتغزل بها كعادة الشعراء السائبون آنذاك حيث كانت الجواري يبعن في الأسواق.
لربما كان قد أستبق بنفسه، الرد على الدكتور طه حسين:

ضحك الناس وقالوا شعر وضاح اليماني
إنمـا شـعري قنـد خـلطت بالجـلجـلان

*

إن قلبـي معلـق بـنســـاء واضحات الخدود لسن بهجن
من بنات الكريم داذ وفي كنـ ــدة ينسبن من أبـاة اللـعن

*

يا روضــة الوضاح قد عـنيت وضــاح اليمــن
فاسقي خليلك من شرا ب لـم يكــدره الــدرن
الريح ريح سفـرجـل والطعم طعم سلاف دن
إنــي تـهيجنــي إلــيـ ـك حمامتـان على فنـن
الـزوج يـدعو إلــفــه فتـطاعما حـب السكـن

وما الحب إلا لروضة فهي المحبوبة الأولى:

لا خير في نث الحديـ ـث ولا الجليس إذا فطن
فاعصي الوشاة فإنما فأول الوشاة هو الغبن
إن الوشاة إذا أتو ك تنصحوا ونهوك عن
دست حبيبة موهنا إني وعيشك يا سكن
أبلغت عنك تبدلا وأتى بذلك مؤتمن
وظننت أنك قد فعلـ ـت فكدت من حزن أُجن
ذرفت دموعي ثم قلـ ـت بمن يبادلني بمن
أسكت فلست مصدقا ما كان يفعل ذا أظن
إني وجدك لو رأيـ ـت خليلنا ذاك الحسن
يجفوه ثم يحبنا والله مت من الحزن
أخبره إما جئته أن الفؤاد به يجن
أبغضت فيه أحبتي وقليت أهلي والوطن
أتركتني حتى إذا علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيعت اللبن
لو قيل يا وضاح قم فأختر لنفسك أو تمن
لم أعد روضة والذي ساق الحجيج له البدن

حسرة الوداع:

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن ومنوا على مستشعر الهم والحزن
تذكر سلمى وهي نازحة فحن وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن
ألم ترها صفراء رؤدا شبابها أسيلة مجرى الدمع كالشادن الأغن
وأبصرت سلمى بين بردي مراجل وأبراد عصب من مهلهلة اليمن
فقلت لها ترتقي السطح إنني أخاف عليكم كل ذي لمة حسن

يقينا ما نخاف وإن ظننا به خيرا أراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا إذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرما ولينا

كذب العاذل ولو صدق؟

بنت الخليفة والخليفة جدها أخت الخليفة والخليفة بعلها
فرحت قوابلها بها وتباشرت وكذاك كانوا في المسرة أهلها

وما نيل المطالب بالتمني

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكم

نشوة اللقاء وعذوبة الترحاب بالمتنكر!

يا مرحبا ألفا وألفا بالكاسرات إلي طرفا
رجح الروادف كالظبا ء تعرضت حوا ووطفا
أنكرن مركبي الحما ر وكن لا ينكرن طرفا
وسألنني أين الشبا ب فقلت بان وكان حلفا
أفنى شبابي فأنقضى حلف النساء تبعن حلفا
أعطيتهن مودتي فجزينني كذبا وخلفا
وقصائد مثل الرقى أرسلتهن فكن شغتتفا
أوجعن كل مغازل وعصفن بالغيران عصفا
من كل لذات الفتى قد نلت نائلة وعرفا
صدت الأوانس كالدمى وسقيتهن الخمر صرفا

*

أتعرف أطلالا بميسرة اللوى إلى أرعب قد حالفتك به الصبا
فأهلا وسهلا بالتي حل حبها فؤادي وحلت دار شحط من النوى
أبادر درنوك الأمير وقربه لأذكر في أهل الكرامة والنهى
وأتبع القصاص كل عشية رجاء ثواب الله في عدد الخطا
وأمست بقصر يضرب الماء سوره وأصبحت في صنعاء ألتمس الندى
فمن مبلغ عني سماعة ناهيا فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السلى
وإن شئت وصل الرحم في غير حيلة فعلنا وقلنا للذي تشتهي بلى
وإن شئت صرما للتفرق والنوى فبعدا أدام الله تفرقة النوى

*

في الحب وبالقلب، اليمن؟

أبى القلب اليماني الـ ذي تحمد أخلاقه
ويرفض له اللحن فما تفتق أرتاقه
غزال أدعج العين ربيب خدلج ساقه
رماني فسبى قلبي وأرميه فأشتاقه

العاشق الحائر الغيور؟

حـتـام نـكـتم حـزننا حـتـامـا وعـلام نستبقي الدموع عـلامـا
إن الـذي بـي قـد تـفـاقـم واعـتـلـى ونـمـا وزاد وأورث الأسـقـامـا
قـد أصـبحـت أم البنين مـريـضـة نخشى ونشفق أن يكون حماما
يا رب مـتـعـنـي بـطـول بـقـائـها واجـبـر بها الأرمـال والأيتاما
واجبر بها الرجل الغريب بأرضها قـد فـارق الأحـوال والأعماما
كـم راغـبـين وراهـبـين وبـؤس عصموا بقرب جنابها إعصاما
بـجـنـاب ظاهرة الـثـنـا مـحـمـودة لا يستطـاع كـلامـهـا إعظاما

*

يا قلب ويحك لا تذهب بك الخرق إن الأُلى كـنت تهواهـم قـد انـطـلقوا
ما بـالهم لـم يـبـالـوا إذ هجـرتهـم وأنت من هجرهـم قد كـدت تحترق
قـد كـنت أشفـق مما قـد فجعت به إن كان يدفع عن ذي اللوعة الشفق

*

السر بالصندوق؟

مـا بـال عـيـنـك لا تـنـام كـأنـمـا طـلب الطبيب بها قذى فأضله
بـل مـا لـقـلـبـك لا يـزال كـأنـه نـشـوان أنـهـلـه النديم وعله
مـا كـنت أحـسـب أن أبـيـت بـبـلـدة وأخـي بـأخـرى لا أحل محله
كـنا لـعـمـرك نـاعـمـيـن بـغـبـطـة مـع ما نـحـب مـبـيـته ومظـله
فـأرى الـذي كـنا وكـان بـغـرة نلهو بغـرته ونهـوى دلـه
كالـطـيـف وافـق ذا هـوى فلها بـه حتـى إذا ذهـب الـرقـاد أضـله
قـل للـذي شـعـف الـبـلاء فـؤاده لا تهـلـكـن أخـا فـرب أخ لـه
والـق ابـن مـروان الـذي قـد هـزه عـرق المـكـارم والندى فأقـله
واشـك الـذي لاقـيـتـه مـن دونـه وانشر إلـيـه داء قـلبـك كـله
فعلى ابن مروان السلام من امرىء أمـسى يـذوق مـن الرقاد أقـله
شـوقـا إلـيـك فـمـا تـنـالك حـالـه وإذا يـحـل الـباب لـم يؤذن لـه
فـإلـيـك أعـلـمـت الـمـطـايـا ضمـرا وقطعـت أرواح الشتاء وظلـه
ولـيـاليـا لـو أن حـاضـر بـثـهـا طـرف القضيب أصابه لأشـله

**

صعاليك ولصوص وعلى الهامش؟

العرب أمة الكلام والشعر، الشعر مادة التأريخ وسرد الوقائع، الحقيقية منها والخرافية، قبل التدوين وسجلات الوثائق، كان الشعر ديوان المحفوضات والوثائق، منذ العصور الجاهلية الأولى، وجاءت بعدها " إقراء " ، و" علم بالقلم"، و" علم الأنسان ما لم يعلم؟ ".

وانتقلت الأمة العربية في مسار العصور والحداثة، فتواجدت أطنان من الكتب ومليارات من المعلومات والملايين من الحوادث بين طياتها، وأختلط الحابل بالنابل و رواة الثقة والتحريف، وعندما نتصفح كتب التاريخ، تخرج علينا ما صارت تسميته في يومنا هذا: تعتيم إعلامي، مراقبة المطبوعات، الكتب الممنوعة، مناظر مخلة بالأخلاق العامة، الفكر الهدام، السم بالدسم، ترويج إستعماري معادي لقضية الأمة، ويكفيك شعار لا "صوت يعلو فوق صوت المعركة " وشعارات على نمط " خسرنا الحرب وبقي النظام؟"، وتصدح أم زياد، تترنم بكلام الشاعر هارون هاشم رشيد " سنرجع يوما إلى حينا "، ونحن (جميع أبناء الأمة) بحت حناجرنا من الهتاف " بالروح بالدم نفديك يا زعيم "؟
بصيص من الأمل على طريق الكرامة لايحق لأحد، كائن من كان، أن ينكره أو أن يتنكر له، ألا وهو نقطة التحول في مسار هذه الأمة بعد إجتياح بيروت عام 1982، فالإعتراف والتقدير حق وواجب على كل من ينطق بلغة الضاد، ليس لأجل من استشهد فقط، بل لتقديم الشكر والإمتنان لمن عمل على إستعادة الكرامة، وبفضله تحولت الأمة جمعاء من صفر إلى رقم صعب بين الأرقام؟.
تحول وتغيير فيه الأمل، لسنا من أهله، لأننا لم نقراء التاريخ، ولم نأخذ العبر من تجارب الماضي البعيد والقريب، فكل ما جرى ذكره من التسميات التي تطرق مسامعنا في عصرنا هذا، هي تسميات وأفعال تسميات عبرت في حياة هذه الأمة، قولها اليوم، لايزيد عن كونه " التناص " من شعارات الماضي؟.
بكل فخر،(ومعرفة تامة بأنني لست، ولا يحق لي فرض رغبتي على أحد، فلا مقدرة لدي لذلك، ولست ممن يسعى ويرغب إليها)، أنا من أنصار الدولة المدنية والنظام العلماني، وتطبيق جميع الشرائع السماوية من داخل نظام الدولة التي أنشدها وأحلم بها، لأكون في ظلها وتحت سقف قوانينها، وأهلا وألف مرحبا بتطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها الصحيحة، فلتقطع يد السارق، و يسجن المرتشي، ولكن إن تعذر ذلك، أتمنى أن يسري على الجميع، ما أعتقده غير منافي للشريعة الإسلامية، كلمة روح الله، السيد المسيح عيسى بن مريم!: " من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر ".

الحكم والقضاء وتصنيف الناس، من شروطهم الشرعية (شريعة السماء) الحق والعدالة.
نزاهة القاضي المجردة الصافية بلا موارية، يجب أن تكون قاطعة كحد السيف.
وكما قال الإمام علي بن ابي طالب: الحق لايستعين بالباطل، فإذا استعان فسد الحق!.

في لغتنا الجميلة، ترجمة صفة،" الصعلوك ": هو الفقير، ويقال تصعلك أي: صار فقير، اللص وجمعها اللصوص هي صفة السارق، أي من أخذ خلسة، من غيره ما ليس له.
فمنذ الجاهلية الأولى كانت هذه النعوت مستعملة، وكثرة التوصيف بها كانت عند الجميع، تعريف الشعراء، وتسميتهم بالصعاليك واللصوص، التسمية التاريخية القديمة الإصطلاحية كانت تعتمد على هذا الأصل اللغوي، حيث قال أحد جهابذة اللغة: الشعراء الصعاليك واللصوص هم جماعة من شذاد العرب خرجوا على قومهم، ولجئوا إلى القفار والجبال والمغارات، وعاشوا على النهب والسلب، فكانوا من قطاع الطرق ويغيرون على القوافل، ومن كان منهم أسود البشرة كان يطلق عليه " أغربة العرب "، وكان يطلق على الصعاليك نعت آخر وهو " الخلعاء " وهم الذين تخلعهم قبائلهم، على سبيل المثال أن يرتكب شاعر جريمة قتل أو سلب ونهب، فيأتي شيخ القبيلة سوق عكاظ أو غيرها من محافل التجمع، ويعلن بأن القبيلة تخلع هذا الشاذ، ولا تتحمل مسؤولية جرائمه، ولا تطالب بدمه إن قتل؟.
وبينما كنت أبحث عن الموضوع المتعلق بالصعاليك، وردت أمام ناظري في كتب الأدب، من ابن الأثير إلى ابن كثير إلى الأصفهاني إلى ابن قتيبة، حتى ابن جلدون وابن زيدون، والحافظ الذهبي، وعن الكثير من الرواة، ومن بعدهم من أشتغل بالنقل والتدوين في نهاية العصر الأموي و في العصر العباسي، فرحت أتصفح السيرة الذاتية لمن سماهم الجميع، (لربما بدون أستثنأ أحد ممن ذكرت)، " الصعاليك "، فوجدت العجب؟
عروة بن الورد، هوعروة بن الورد بن زيد العبسي (توفي 30 ق.هـ)، شاعر من غطفان من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجاود، كان يسرق ليطعم الفقراء ويحسن إليهم، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، فلم يكن لهم مصدر عيش غير ذلك.
وقيل بل لقب عروة الصعاليك لقوله:

لحى الله صعلوكا اذا جن ليلـه مصافي المشاش آلفا كـل مجزر
يـعـد الـغنى من دهره كل ليلـة اصاب قـراها مـن صديق ميسر
ينام عشـاء ثـم يـصبـح قـاعـدا يحث الحصى عن جنبه المتعفر
ولله صـعلوكا صـفيـحة وجهـه كـضوء شـهاب القابس المتنور
مـطـل على اعـدائه يزجـرونـه بساحتهم زجـر المنيح المـشـهر

وقال بعدها:

لا تلم شيخي فما أدري بـه غير أن شارك نهدا في النسب
كان في قيس حسيبا ماجدا فأتت نهـد على ذاك الـحسـب

يصف نفسه بصراحة:

إني امرؤ عافي انائي شـــركة وأنت امرؤ عافي اناؤك واحـد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد
أتهزأ مني ان سمعت وان ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد

حيث لانجد من خلال قوله سوى إنسانية المشاعر، وتمسكه بالحق وإفاضته بالكرم والمكارم؟
عروة الورد من قبيلة عبس من أكبر القبائل في الجاهلية ومنها كان عنترة بن شداد، ولكنه لم يكن يفاخر بقبيلته كما فعل الكثيرين غيره، ولكن سمة التواضع وليس المسكنة هي المهيمنة على شخصيته وأفعاله:

وسائلـــة أين السبيل وسائـــل ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مذاهبه أن الفجاج عريضة إذا ضن عنه بالفعال أقاربه
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربه
ولا يستضام الدهر جاري ولا أرى كمن بات تسري للصديق عقاربه
وإن جارتي ألوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه

كان عروة خليط من حسن وقبح في الفعل والتصرف، مفعم بالتناقضات في المنهاج والسلوك، ويقال بأنه قد اختطف امرأة من ضمن ما كان يسلب ويخطف، فيستبيحها، ثم يذهب بمعيتها إلى مكة البيت العتيق لتأدية مراسم الحج على الطريقة الجاهلية، كما كان يفعل أهالي الجاهلية.
وهو في مكة ومعه رفيقته، تقدم منه قومها وقالوا: رد علينا صاحبتنا فإنا نكره أن تكون سبية عندك؟
فوافق وقال: شريطة موافقتها ولها الخيار؟
فأختارت المرأة اللحاق بقومها بعد أن قالت له: أما إني لا أعرف إمرأة، القت سترها على خير منك، أغفل عين وأقل فحش، ومضت مع قومها وهي تقول له:
لقد أقمت معك وما بيوم يمضي الا والموت أحب الي من الحياة فيه، وذلك أني كنت أسمع المرأة من قومك تقول عني " أمة عروة " فعلت كذا و" أمة عروة " قالت كذا، فكان ذلك يغيضني، فارجع وأحسن الى ولدك (وقد كانت أما لبعض اولاده).
بدون التعليق والتبرير! لقد أعطى عروة المرأة المسلوبة حريتها وأحترم خيارها، حيث كان العرف السائد في ذلك الزمن " لا خيار لمسلوب ومستعبد "؟

مواقف الكرامة والعنفوان والكرم والشهامة عند عروة، طرحت من مزايا تلك الصفات على البقية من الصعاليك، وغيرت من ملامح التوصيف لهم باللصوص، مع العلم بأن الأغلبية الساحقة منهم هم بالفعل قتلة ولصوص.
الغزو والسلب والإغارة والنهب كان من النمط اليومي عند بدوي الجزيرة، فإن لم يكن أحدهم هو الغازي كان هو المغزي والمنهوب، وفي كثير من الحالات جمع التوصيفين، فيغزيه غيره في فترة غيابه عن مضاربه ، لغزو أحد آخر؟
وفي" الأغاني " قال الأصفهاني: كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة، ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم، ومن قوي منهم، أو من كان به مرض ويبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته، خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك حصة و نصيب، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة، ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سمي عروة الصعاليك".

الحاجة الملحة:

قالت تماضر إذ رأت ما لي خوى ... وجفا الأقارب فالفؤاد قريح
ما لي رأيتك في الندي منكسا ... وصبا كأنك في الندي نطيح
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إن القعود مع العيال قبيح
المال فيه مهابة وتجلة ... والفقر فيه مذلة وفضوح

رد الجميل والأعتراف بالفضل؟

جزى الله خيرا كلما ذكر اسمه ... أبا مالك إن ذلك الحي أصعدوا
وزود خيرا مالكا إن مالكا ... له ردة فينا إذا القوم زهد
فهل يطربن في إثركم من تركتكم ... إذا قام يعلوه حلال فيقعد
تولى بنو زبان عنا بفضلهم ... وود شريك لو نسير فنبعد
ليهنىء شريكا وطبه ولقاحه ... وذوو العس بعد نومة المتبرد
وما كان منا مسكنا قد علمتم ... مدافع ذي رضوى فعظم فصندد
ولكنها والدهر يوم وليلة ... بلاد بها الأجناء والمتصيد
وقلت لأصحاب الكنيف ترحلوا ... فليس لكم في ساحة الدار مقعد

قال معاوية بن أبي سفيان: لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم.
وعن الحطيئة، في جوابه على سؤال عمر بن الخطاب كيف كانت حروبكم؟ قال:
كنا نأتم في الحرب بشعر عروة بن الورد؟.
قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتم الطائي أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد؟.
فهل ما قيل عنه؟ أحسن مما قاله هو بلسانه؟ ويوصف الصعلوك الخامل:

أقلي علي اللوم يا ابنة منذر ... ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أُم حسان إنني ... بها قبل أن لا أملك البيع مشتري
أحاديث تبقى والفتى غير خالد ... إذا هو أمسى هامة فوق صير
تجاوب أحجار الكناس وتشتكي ... إلى كل معروف تراه ومنكر
ذريني أطوف في البلاد لعلني ... أخليك أو أغنيك عن سوء محضر
فإن فاز سهم للمنية لم أكن ... جزوعا وهل عن ذاك من متأخر
وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد ... لكم خلف أدبار البيوت ومنظر
تقول لك الويلات هل أنت تارك ... ضبوء برجل تارة وبمنسر
ومستثبت في مالك العام إنني ... أراك على أقتاد صرماء مذكر
فجوع بها للصالحين مزلة ... مخوف رداها أن تصيبك فاحذر
أبى الخفض من يغشاك من ذي قرابة ... ومن كل سوداء المعاصم تعتري
ومستهنيء زيد أبوه فلا أرى ... له مدفعا فاقني حياءك واصبري
لحى الله صعلوكا إذا جن ليله ... مصافي المشاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة ... أَصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح ناعسا ... يحت الحصى عن جنبه المتعفر
قليل إلتماس الزاد إلا لنفسه ... إذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساء الحي ما يستعنه ... ويمسي طليحا كالبعير المسحر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر
وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظر
فذلك إن يلق المنية يلقها ... حميدا وإن يستغن يوما فأجدر
أيهلك معتم وزيد ولم أقم ... على ندب يوما ولي نفس مخطر
ستفزع بعد اليأس من لا يخافنا ... كواسع في أخرى السوام المنفر
يطاعن عنها أول القوم بالقنا ... وبيض خفاف ذات لون مشهر
فيوما على نجد وغارات أهلها ... ويوما بأرض ذات شت وعرعر
يناقلن بالشمط الكرام أولي القوى ... نقاب الحجاز في السريح المسير
يريح علي الليل أضياف ماجد ... كريم ومالي سارحا مال مقتر

عروة بن الورد ولد في الجاهلية و مات قبل الدعوة والدين الجديد، وبعد فترة تزيد عن مئة عام من الزمن، كان معاوية بن ابي سفيان يتحدث عنه في مجلسه، ثم من بعد معاوية، جاء عبد الملك بن مروان ليقول: من قال إن حاتم الطائي أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد؟ مما استعار إهتمامي؟ هو مقارنة عروة بن الورد وحاتم الطائي ملك الكرم والجود، فرحت أبحث من خارج هدف الموضوع الذي كنت في صدده، (وهو الشعر والشعراء في العصور الغابرة منذ الجاهلية)، فعرجت على السيرة الذاتية لحاتم الطائي للتعرف والمعرفة، فكانت المفاجاءة؟.

حاتم الطائي، مجهول تاريخ مولده وكانت وفاته في عام 46 ق. هـ.

شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء)، من قبيلة طيء يعتبر أشهر العرب بالكرم والشهامة ويعد مضرب المثل في الجود والكرم، سكن وقومه في بلاد الجبلين (أجا وسلمى) التي تسمى الآن منطقة حائل، وتقع شمال السعودية، توجد بقايا أطلال قصره وقبره وموقدته الشهيرة في بلدة توارن في حائل، له ديوان واحد في الشعر ويكنى حاتم "أبا سفانة" و"أبا عدي" وقد أدرك سفانة وعدي الإسلام فأسلما، وامه عتبة بنت عفيف بن عمرو بن أخزم، وكانت ذا يسار وسخاء، حجر عليها أخوتها ومنعوها مالها خوفا من التبذير، نشأ ابنها حاتم على غرارها بالجود والكرم.

كان حاتم من شعراء العرب وكان جواد يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله مظفر، وإذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق، وكانت مضر تعظمه في الجاهلية، وكان ينحر في كل يوم عشرا من الأبل، فيطعم الناس ممن اجتمع اليه.

ومن المواقف لحاتم الطائي، أن قالت له امرأة من عنزة بن ربيعه :

قم إفصد لنا هذه الناقة! (بما معناه: الفصد وهو أحداث جرح في الجسد لمعالجة تورم واستخراج ما بداخل هذا التورم من دم فاسد فيه إلتهاب ويقال: خراج أو بالعامية " دملة " ، ولكن المقصود من فصد الناقة هو حجامة الناقة من جراء التهاب بمنخارها، من أثر شد اللجام،)

فقام حاتم ونحر الناقة بدلا من فصدها، فذهلت المرأة وأسمها عالية العنزيه التي تزوجها فيما بعد، وأنجبت له شبيب كما ذكر ابن الاثير، فقال حاتم الابيات التالية بعد نحره للناقة:

إن ابن أسمـاء لكم ضامن حتى يـؤدي آنـس ناويـه
لا أفصد النـاقة في أنـفهـا لكننـــي أوجـرهـا العاليـه
إني عن الفصد لفي مفخر يكره مني المفصد الآليه

أقترن الكرم والجود والسخاء بحاتم الطائى، ونرى ذلك عند نقاشه مع والده عندما قدم لضيوفه كل الأبل التي كان يرعاها وهو يجهل هويتهم وعندما تعرف عليهم و كانوا شعراء ثلاثة عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وكانت وجهتهم النعمان فسألوه القرى فنحر لهم حاتم ثلاثه من الأبل فقال عبيد: أنما أردنا بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكره، إذ كنت لابد متكلفا لنا شيئ.
فقال حاتم: قد عرفت ولكنى رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها وذكروا فضله فقال حاتم:
أردت أن أحسن اليكم فصار لكم الفضل علي وأنا أعاهد أن أضرب عراقيب إبلى عن أخرها أوتقوموا إليها فتقسموها ففعلوا، فأصاب الرجل تسعه وثلاثون ومضوا إلى النعمان.
وان أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له اين الأبل ؟
فقال حاتم : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر وكرما لا يزال الرجل يحمل بيت شعر اثنى به علينا عوضا من إبلك!
فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلى فعلت ذلك؟
قال: نعم؟
قال: والله لا أساكنك أبدا؟، فخرج أبوه بأهله وترك حاتما ومعه جاريته وفرسه وفلوها.
فقال حاتم في ذلك:

انى لـعـف الـفـقـر مشتـــرك الغنـى وتـــارك شـكـل لا يـوافـقـــه شـكـلـى
وشـكـلـى شـكـــل لا يـقـوم لـمثـلـــه مـن الناس الا كـل ذى نـيـقـه مـثـلـى
وأجـعـل مالى دون عـرضـى جـنـــة لنفسى وأستغنى بما كـان مـن فـضل
ومـا ضرنـى أن سار سـعـد بـأهـلـــه وأفردنى في الـدار ليـس معـي أهلـى
سيكفى ابتنائى المجد سعد بن حشرج وأحـمل عنكـم كـل ماضاع مـن نفـل
ولى مع بذل المـال في المجد صـولة اذا الحرب أبتدت من نواجذها العصل

حادثة مشهورة: قيل ان أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود حاتم، فأستغربها فبلغه أن لحاتم فرس من كرام الخيل عزيزة عنده، فأرسل إليه بعض حجابه يطلبون الفرس فلما دخل الحاجب دار حاتم، أستقبله أحسن أستقبال ورحب به وهو لايعلم أنه حاجب القيصر وكانت المواشى في المرعى فلم يجد إليها سبيلا لقرى ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار ثم دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستميحه الفرس فساء ذلك حاتم وقال:

هل أعلمتني قبل الآن فأنى فد نحرتها لك إذا لم أجد جزورا غيرها!
فعجب الرسول من سخائه وقال:
والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا؟
(ما سبق منقول عن موقع الموسوعة الحرة الألكتروني)
معلومات قيمة، لم تشفي غليلي، فما زلت أبحث عن المقاربة التي عمل بها الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى أن توصلت للحصول على ما يلي:
حاتم الطائي ملك الكرم، كان من المعجبين بالصعاليك، وطريقة عيشهم وتصرفاتهم من الناحية الإنسانية،(بغض النظر عن الناحية الأخلاقية فالسرقة هي السرقة، حتى ولو تم توزيع المسروقات على الفقراء والمحتاجين، فإنني أضعها ضمن إطارها السائد في تلك الفترة وهو الإغارة والغزو والسلب والسبي).
وبعد التمعن بما ورد في مراجع كثيرة، ترسخ في باطن تفكيري بأن حاتم الطائي كان لربما من تلك الفئة لكثرة إعجابه بهم، وسبب ما جال في خاطري بعض المواقف الطائية التي أنشأ الشعر فيها، فتراه يقول لزوجته " ماوية ":

أماوي أن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
عنينا زمانا بالتصعلك والغنى كما الدهر في أيامه العسر واليسر
كسينا صروف الدهر لينا وغلظة وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

وأجمل وصف لهؤلاء الصعاليك ما وصفهم به أيضا حاتم الطائي الذي جاء شعره وكأنه يعيش معهم حيث يصف شجاعتهم وصبرهم وزهدهم الدنيوي وإقدامهم وكرمهم وإيثارهم الجوع لأنفسهم وإطعام الآخرين فيقول فيهم:

لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ينام الضحى حتى إذا ليله استوى ويمضي على الأحداث والدهرمقدما
ولله صعلوك يساوره همه تنبه مثلوج الفؤاد مورما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شبعة إن نالها عد مغنما
ترى رمحه ونبله ومجنه وذا شطب عضب الضريبة مخذما
وإحناء سرج فاتر ولجامه عتاد فتى هيجا وطرفا مسوما

إن لم يكن حاتم الطائي قد مارس الصعلكة أو بعض اشكالها، فما سر إعجابه بهم، والقلق الشديد الذي كان يبديه، في وصف همومهم، والتلميح بفكرة مبادئهم حين يقول:

وليل بهيم قد تسربلت هوله إذا الليل بالنكس الضعيف تجهما
ولن يكسب الصعلوك حمدا ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظما
يرى الخمص تعذيبا وإن يلق شبعة يبت قلبه من قله الهم مبهما

وكان الصعاليك على درجات وفئات في مستوى التسلسل الإجتماعي الجاهلي:
ـ طبقة الصرحاء: وهم أبناء القبيلة ممن يتمتعون بنقاء الدم الذي لا تشوبه شائبة، أي أن هؤلاء هم الأبناء المنحدرون من أم حرة، وأب سيد، وفي مثل هذه الطبقة تكمن الطبقة القبلية الأصيلة.
ـ طبقة العبيد: وتتألف من عنصرين: العنصر العربي، ويمثلهم الأسرى الذين يقعون في قبضة قبيلة أخرى خلال الحروب التي تخوضها القبائل العربية فيما بينها، أما العنصر الثاني: فهم الذين كانوا يجلبون من البلدان المجاورة للجزيرة العربية.
ـ ثم تأتي طبقة الموالي، وتتألف هذه الطبقة من بعض العرب الأحرار الذين لجؤوا بتأثير ظرف من الظروف إلى قبيلة أخرى طالبين النجدة من ضيم لحقهم، أو ظلم أصابهم، وكانوا يسمون الخلعاء، ثم العبيد الذين أعتقهم سادتهم ولكنهم ظلوا موالين لهؤلاء السادة.
فهذه الشريحة من رجال الجاهلية، تعرضت لمظالم إجتماعية جائرة، بالإضافة إلى المظالم الإقتصادية القسرية، التضامن والتكافل الإجتماعي لم يكن بشامل للجميع، وكان هناك شرخ وفوارق معيشية إجتماعية على قدر شاسع واسع؟
فصبت تلك الفئة جام غضبها على الأثرياء، وجردت السيوف للدفاع عن نفسها، والثأر ممن تسببوا في تشريدها وحرمانها، وتتألف هذه الفئة من الخلعاء والشذاذ والأغاربة الذين تنكرت لهم قبائلهم وتخلت عنهم، وبسبب التفاوت الطبقي، راحت تغزو وتسلب، ولكن ليس بهدف الغزو للغزو، والتمتع بمكاسبه ولكنها جعلت من ذلك وسيلة وليس غاية، لتقديم ما تغنمه للفقراء والمعوزين والضعفاء، بإعتقادها بأنها تسعى لتصحيح الأوضاع، وإعادة توزيع الثروات.
فلم يكن أمام الفقير المعدم و المخلوع من قبيلته، إلا الصعلكة أو اللجوء إلى قبيلة تأويه وتحميه ممن يلاحقونه، ويحدث في الكثير من عمليات اللجوء هذه الخضوع لقوانين القبيلة من جديد، وعندما يتمرد اللأجيء، على الظلم وعدم التقدير، يرتمي في أعماق الصحراء، ويحمل سيفه وسيلته المثلى في الذود عن نفسه، ومواجهة الموت الذي يهدد حياته في كل لحظة، ومن ثم قد يجد من هم على شاكلته، فلا يتردد في الإنضمام إليهم والإشتراك معهم في تكوين مجموعة من الصعاليك.
وبعد البحث والتمحيص، توصلت إلى إقتناع شخصي، لا دليل حسي فيه، بأن حاتم الطائي لم يكن من بين الصعاليك، لأسباب كثيرة ومنها عزة نفسه وكرامته وشهامته، أما إذا حظرت " لربما والله أعلم " فتلك الطامة الإجتماعية الكبرى، وعندها وجب ترديد القول المأثور لرسول الأمة ونبيها " ارحموا عزيز قوم ذل "؟.
والسبب بذلك يكون: عدم الوفاء ممن جاد عليهم بماله وأنعامه من أغنام وجمال، وإنعدام التقوي بالتيمن بالقول:

ولـو لم يكـن في كفـه غير روحــه لجـاد بـــها فليتـق الله سائلـه

قيس بن منقذ بن عمرو المعروف بابن الحدادية الخزاعي شاعر جاهلي من الصعاليك، ينسب إلى أمه الحدادية وهي من بني حداد من كنانة، نسبه أصلا من بني سلول بن كعب من خزاعة، وصف بالشجاع الفاتك، كثير الغارات، تبرأت منه خزاعة في سوق عكاظ وأخبرت أنها لا تحمل جريرة له أو تطالب بجريرة عليه، كان يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعية وله فيها شعر بديع، قتله بنو مزينة في غارة لهم.

قالت وعيناها تفيضان عبرة بنفسي بين لي، متى أنت راجع
فقلت لها والله يدري مسافر إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

وكان "صعلوك خليع"، ساهم مع جماعة من أهله في قتل رجل من قبيلتهم، وعجز قومه من دفع ديته، فولوا هاربين، فنزلوا في "فراس بن غنم" ثم لم يلبثوا أن قتلوا أحدهم، فهربوا، ونزلوا على "أسد بن كرز" من "بجيلة"، فأحسن اليهم وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس.
القليل القليل عن أخبار قيس بن الحدادية، ولكن المرزباني أطلق عليه لقب " كثير الشعر " ويقال بين سطور المراجع وبعض كتب التاريخ، بأن "قيس بن الحدادية"، ألف عصابة من الصعاليك، وراح يغزي عشيرته بسبب خلعها له.
وكانت له قصائد في الفخر والحماسة والغزل ومنها:

قضيت القضاء من قسيمة فأذهب وجانبتها يا ليت أن لم تجنب
وأعقبتها هجرا وشفك دونها مناطق رهط في قسيمة خيب
إذا استحلفوني في قسيمة أجنحت يداي إلى جوف الرتاج المضبب
يمينا برب الراقصات عشية وإلا فأنصاب يمرن بغبغب
فويل بها لمن تكون ضجيعة إذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب
إذا اشتد إرهام الندى فهو ساقط خضول كظهرالبرجد المتصبب
مبتلة بيضاء تؤتيك شيمة على حصر في صدرها وتهيب

*

فأقسم لولا أسهم ابن محرق مع الله ما أكثرت عد الأقارب
تركت ابن عش يرفعون برأسه ينوء بساق كعبها غير راتب
وأنهاهم خلعي على غير ميرة من اللحم حتى غيبوا في الغوائب

*

غزل:

هل الأدم كالآرام والزهر كالدمى معاودتي أيامهن الصوالح
زمان سلاحي بينهن شبيبتي لها شائف في سيبهن ورامح
فأقسمن لا يسقينني قطر مزنة لشيبي ولو سالت بهن الأباطح

*

الحماسة والفخر رغم الخلع:

لقد سمت نفسك يا ابن الظرب وجشمتهم منزلا قد صعب
وحملتهم مركبا باهظا من العبء إذ سقتهم للشغب
بحرب خزاعة أهل العلا وأهل الثناء وأهل الحسب
هم المانعو البيت والذائدون عن الحرمات جميع العرب
نفوا جرهما ونفوا بعدهم كنانة غصبا ببيض القضب
وسمر الرماح وجرد الجياد عليها فوارس صدق نجب
وهم ألحقوا أسدا عنوة بأحياء طي وحازوا السلب
خزاعة قومي فإن أفتخر بهم يزك معتصري والنسب
هم الرأس والناس من بعدهم ذنابى وما الرأس مثل الذنب
يواسي لدى المحل مولاهم وتكشف عنه غموم الكرب
فجارهم آمن دهره بهم أن يضام وأن يغتصب
يلبون في الحرب خوف الهجاء ويبرون أعداءهم بالحرب
ولو لم ينجك من كيدهم أمين الفصوص شديد العصب
لزرت المنايا فلا تكفرن جوادك نعماه يا ابن الظرب
فإن يلتقوك يزرك الحما م أو تنج ثانية بالهرب

حماسية

فدى لبني قيس وأفناء مالك لدى الشسع من رجلي إلى الفرق صاعدا
غداة أتى قوم الضريس كأنهم قطا الكدر من ودان أصبح واردا
فلم أر جمعا كان أكرم غالبا وأحمى غلاما يوم ذلك أطردا
رميناهم بالحو والكمت والقنا وبيض خفاف يختلين السواعدا

*

أنا الذي تخلعه مواليه وكلهم بعد الصفاء قاليه
وكلهم يقسم لا يباليه أنا إذا الموت ينوب غاليه
مختلط أسفله بعاليه قد يعلم الفتيان أني صاليه
إذا الحديد رفعت عواليه

وصف:

إن الفـؤاد قد أمسى هائما كلفـا ... قد شفه ذكر سلمى اليوم انتكسا
عناه ما قد عناه من تذكـرها ... بعد السلو فأمسى القلب مختلسا
وبعدما لاح شيب في مفارقـه ... وبان عنه الصبا والجهل فانملسا
تذكر الوصل منها بعدما شحطت ... بها الديار فأمسى القلب ملتبسا
فعد عنك هموم النفس إذ طرقت ... واشدد برحلك مذعان السرى سدسا
عيرانة عنتريسا ذات معجمة ... إذا الضعيف ونى في السيرأو رجسا
تجتاب كل مطا ناء مسافته ... ومهمه ما به حبس لمن حبسا
إذا تردى السراب القور فالتمعت ... أشباه بيض ملاء لم تصب دنسا
خاضت بنا غوله والعيس ... وانية وقد تخبى بها اليعفو فاكتنسا
كأنها بعدما طال النجاء بها ... محاذر ظل يحدو ذبلا عجسا
أو مفرد أسفع الخدين ذو جدد ... جادت له من جمادى ليلة رجسا
وبات ضيفا لأرطاة يلوذ بها ... في مرجحن مرته الريح فانبجسا
حتى إذا لاح ضوء الصبح باكره ... معاود الصيد يشلي أكلبا غبسا
فانصاع وانصعن أمثال القداح معا ... تخال أكرعها بالبيد مرتعسا

*

بانت سعاد وأمسى القلب مشتاقا ... وأقلقتها نوى الأزماع إقلاقا
وهاج بالبين منها مهجس فجع ... قد كان قدما بفجع البين نعاقا
أضحت منازلها بالقاع دارسة ... إلا نئيا كوشم الجفن أخلاقا
أدنى الإماء جمالات قراسية ... كوم الذرى مور الأعضاد أفناقا
أنى أتيح لها حرباء تنضبة ... لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

*

يا جامع الشمل؟

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري ... أن يجمع الله شملا طالما افترقا
إن شتت الدهر شملا بين جيرتكم ... فطال في نعمة يا سلم ما اتفقا
وقد حللنا بقسري أخي ثقة ... كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا
لايجبرالناس شيئا هاضه أسد ... يوما ولا يرتقون الدهر ما فتقا
كم من ثناء عظيم قد تداركه ... وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا

في عام 1844م، نشر " الكسندر دوما " القصصي الفرنسي الشهير، روايته " الفرسان الثلاثة"، وتحدث فيها عن ثلاثة فرسان كانوا يؤلفون مع جماعة من أنصارهم، ما يشبه عصابة للسطو على الأغنياء وتوزيع المغانم المنهوبة على الفقراء، لإيجاد تعادل إجتماعي، يستعين به ذوي الحاجات التي لا يستغنى عنها وهي الطعام والملبس، فرسان " دوما " كانوا من قطاع الطرق وكان شعارهم " ثلاثة من أجل واحد وواحد من أجل ثلاثة " وذلك عنوان التضامن والتكافل فيما بينهم، فلقد سماهم الكاتب في روايته " الفرسان الثلاثة "، ومن المتعارف عليه بأن الفارس صفة تطلق على الشجاع الشهم المقدام الكريم النبيل المعطاء، وعلى كل من يمتلك هذه الصفة، كان بطبيعته من مناصري الضعفاء والمظلومين والمغلوب على أمرهم، ومن خلال الرواية يتوجه الكاتب إلى المجتمع ويلفت نظره الإهتمام والرعاية والعدالة، وإعانة المحتاج للعيش بكرامة، ولو بحد أدنى، بأن لاينام على جوع وضيم؟

الإنسان هو الإنسان وعلى أي أرض وجد وعاش، الظلم والإستئثار والطمع والإذلال، هي من الأمور التي واكبت المجتمعات بدون إستثناء وعلى مر العصور، وكذلك النفحة الإنسانية والشعور بمساندة الضعفاء ما غابت عن هذه المجتمعات إينما تواجدت، الطبقية والحرمان والقهر والسيطرة لاحدود جغرافية لها، منذ ما كان التاريخ قبل أن يبداء التأريخ؟ الصعاليك في الجاهلية، هم كذلك فرسان (بحسب توصيف الكسندر دوما، لمن كان يقوم بأعمال مماثلة).
الصعاليك، ليست شتيمة أو صفة نعت سيئة، بل هي مرآة المجتمع الذي دفع بهؤلاء نحو هذا المنحى والسلوك (مع التكرار بأن ذلك لا يبرر ولا يشرع السرقة والنهب والغزو والسلب)، بل أضعه تحت عنوان إسترداد الحقوق المشروعة للضعيف والمحتاج والمظلوم؟، تقوم به جماعة أو عصابة خارجة على القانون، في حالة غياب القانون العادل وعدم تواجد الساهرين على تطبيقه، فكيف إذ كان حاميها حراميها؟.
إن تكاثرت عمليات النهب والسرقة وتعاظم التسلط من فئة على أخرى، فتلك من دلائل فساد المجتمع وغياب السلطة الحاكمة بتقاعسها عن ما يجب أن تقوم به، أو هي سلطة مشاركة تعمل في الخفاء بأيدي ممن كانت عندهم حالات إجتماعية دفعت بهم بإتجاه أعمال كهذه؟، وصاروا من رجال السلطة بطريقة مباشرة وغيرها!.
وفي الجاهلية كان الفرسان الثلاثة على أرض الواقع بالروح والجسد، وليس من خلال تنويه خيال روائي بارع.
الصعاليك الأربعة (مع حفظ ألقاب الفروسية وفوارسها) وهم:

عروة بن الورد،الشنفري وتأبط شرا والسليك بن السلكة

عروة بن الورد، الشنفري، تأبط شراوالسليك بن السلكة
رعيل واحد وهدف مشترك
(رسم وهم خيال، مستوحى من رواية الكسندر دوما، عبر بها التاريخ إلى ما قبل تاريخها)

الشنفرى هو ثابت بن أوس الأزدي، توفي في عام 70 ق.هجـ، جاهلي المولد مجهول والنشأة، مشهور من قبيلة الأزد اليمنية، ويعني أسمه (غليظ الشفاه)، ويدل أن دماء حبشية كانت تجري فيه، ترعرع في قبيلة " فهم " بعد أن تحولت إليها أمه بعد أن قتل الأزد والده، ويرجح أنه خص بغزواته بني سلامان الأزديين ليثأر لوالده وينتقم منهم.
وكان الشنفرى سريع العدو لا تدركه الخيل حتى قيل: (أعدى من الشنفرى)، وكان يغير على أعدائه من بني سلامان برفقة صعلوك فتاك هو (تأبط شرا) وهو الذي علمه الصعلكة، حيث يقال بأنه لربما كان خاله؟
عاش الشنفرى في البراري والجبال، حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه قبل 70 سنة من الهجرة النبوية.
تنسب له لامية العرب وهي من أهم قطع الشعر العربي وإن لم تكن من المعلقات إلا أنها توازيها في البناء والثراء اللغوي.
يقول في مطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

لقد صار من المؤكد بأن السير الذاتية للعديد من أهالي الجاهلية قبل الإسلام، ليست من الثوابت، فالتدوين لها ولحوادثها جاء بعد ما يزيد عن مئة سنة، فتواريخ الميلاد وتواريخ الوفاة فيها الكثير من عدم الدقة، وكذلك بعض الحوادث، حيث تجد التباين والتناقض من مرجع إلى آخر، ولربما كان ذلك لأسباب بعيدة عن معرفة الأمور على حقيقتها، ولربما كان ذلك قصد متعمد، لسبب من الأسباب التي تتعارض مع توجهات السلطات الحاكمة المتتالية، فكان يصدر الأمر من الوالي أو الخليفة أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة، بالتعتيم عليها وعدم ذكرها، وفي بعض الحالات تزويرها أو الطعن بمصداقيتها؟.

حتى في النسب والقرابة أو الإنتماء إلى عشيرة وقبيلة، فمنهم من يقول بأن الشنفري كان من بني الحارث بن ربيعة الأزدي، ومنهم من يقول بأنه كان أخو الحارث بن ربيعة الأزدي ومنهم من يقول بأنه من الأواس بن الحجر، ولربما كان الدافع إلى هذا التردد والتناقض، سببه، سلوك ومسلك الشنفري، فهذا لايريد أن ينسبه لقبيلته، وذاك لايريد أن يلحقوه به؟. ولكن صاحب الشأن المعني يقول فيما يزيد الشك، فتارة يتكلم عن نسب والده وأخرى عن نسب أمه فنراه هنا ينتسب إلى " حجر "

انا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا وامي ابنة الأحرار لو تعلمينها

وفي قول آخر ينتسب إلى الأوس؟

اليس أبي خير الأواس وغيرها وأمي ابنة الاحرار لو تعلمينها

ولكن الجزم بأنه ينتمي إلى طريق الحجر بن النهو الأزدي، أو الأواس بن الحجر الأزدي، أو لربما كان الشك بمصدر القولين؟.

وفي وفاته، الغموض التام المقرون بالخرافة والمبالغة!

بعد حوالي أكثر من ثلاثمئة عام، يقول المؤرخ محمد بن حبيب، بأنه قتل سنة 70 ق.هـ، وأبن حبيب كان من كبار قدماء علم النسب (في فترة ما يقارب 245 هـ)، ويضيف بن حبيب بأنه قتل في عملية مخابراتية أبطالها من بني الرمد من غامد، بعد أن قتل من بني سلامان تسعة وتسعين رجل في إغاراته عليهم؟.

ويقول بن حبيب في ذلك:

أن بني سلامان أقعدت له جماعة من بني الرمد من غامد يرصدونه، فجاءهم للغارة فأفلتهم، فأرسلوا عليه كلب يسمونه "حبيش "، فقتل الشنفري " حبيش " وهو عنصر من عناصر المطاردة، ثم لحق به رجلان من بني سلامان، فلم يستطيعا اللحاق به، فنصبت بني سلامان له كمين، وأقعدوا عليه أسيد بن جابر السلاماني من قبيلة زهران، وحازم البقمي من قبيلة البقوم وهم من حوالة بن الهنو بن الأزد، فكمن هؤلاء للشنفري في وادي الناصف، ولما أقبل الليل جاء الشفنري وقد نزع إحدى نعليه، فيضرب برجله، فقال حازم هذا الضبع، فقال أسيد بل هو الخبيث، فلما دنا منهم الشنفري توجس ثم رجع، وبعد قليل عاد إلى الماء ليشرب، فوثبوا عليه فأخذوه وربطوه وأصبحوا في بني سلامان، فربطوه إلي شجرة، فقام رجل من بني سلامان ورماه في سهم في عينه فقتله؟

بعد رواية بن حبيب، بما يقارب المئة سنة (365 هـ) يقول الأصفهاني: (عن أبي هاشم محمد بن هاشم النميري، بأن أسيد بن جابر السلاماني وحازم البقمي كمنوا للشنفري بالناصف من أبيدة (أسم الوادي)، فمر عليهم الشنفري، فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لايرى سوادا إلا رماه (مايقصد بالسواد: خيال غير واضح المعالم)، عندها زاع أبن أخ أسيد إلى عضدة، فلم يتكلم فقال الشنفري: إن كنت شيئ فقد أصبتك وأن لم تكن شيئ فقد امنتك، وكان حازم منبطحا بالطريق يرصده فنادى أسيد يا حازم أسلل سيفك، فقال الشنفري: لكل أصلت(سللت) فأصلت، فقطع أصبعين من أصابع حازم " بالتحديد " الخنصر والبنصر، وضبطه حازم وابن أخ أسيد ينجده ويساعده، فأخذ أسيد بسلاح الشنفري، وقد صرع الشنفري حازم وابن أخ أسيد فضبطاه وهما تحته، وأخذ أسيد رجل أبن أخيه فقال أسيد رجل من هذه؟ فقال الشنفري رجلي، فقال ابن أخ أسيد بل هي رجلي ياعم، فأسروا الشنفري وأدوه إلى أهلهم).

النهاية لقصة من قصص أبريق الزيت وأبو زيد الهلالي،(وحيا الله التاريخ ورواته)، وهذه التفاصيل التحقيقية الجنائية الدقيقة ومثلها في مجلدات المؤرخين، التي وقفت على أدق التفاصيل والشروحات اللوجستية المخبرية، تجهل تاريخ ميلاد الشنفري؟.

(أنا شخصيا أعجبني الفيلم والسيناريو والإخراج، واتمنى لكم أن تكونوا كذلك،؟!!!).

وروعة الموضوع وجماله هو ما جاء في "كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام" حيث ورد، بأنهم بعد أن ربطوه على الشجرة قالوا له أنشدنا؟ فقال مقولته المشهورة:

" الإنشاد على حين المسرة ".

وفي نفس الموضوع روى الأصفهاني في كتابه "الأغاني":

أن الشنفري وهو غلام صغير، أسرته بنو شبابة، وهم حي من أحياء فهم بن عمرو بن قيس عيلان، وبقي بينهم إلا أن أسرت بنو سلامان، بن مفرج رجل من بني شبانة، فقايضت قبيلة بنو شبانة الشنفري بأبن مفرج؟

(وبناء عليه) قد عاش الشنفري في بني سلامان وكان يعتقد أنه منهم وأحدهم، إلى أن حدث نزاع بينه وبين إبنة الرجل الذي كان حجره، وكان الشنفري قد اتخذه أبا له، وسبب (النزاع الصبياني) وهو أن الشنفري قال للفتاة: إغسلي رأسي يا أخية، فأنكرت أن يكون أخاها، ولطمته فذهب مغاضبا إلى الذي هو في حجره فقال له: أخبرني من أنا؟

فقال له الرجل: أنت من الأواس بن الحجر

فقال الشنفري: أما إني سأقتل منكم مئة رجل بما استعبدتموني؟

وبعدها عاد إلى مضارب آل فهم، ولما كبر راح يغير على بني سلامان، على رجليه، ثم صارت تصاحبه في غاراته شلة من أترابه من آل فهم، ويقتل منهم حتى بلغ عدد من قتلهم تسعة وتسعون رجل؟.

وفي رواية أخرى ذكرت بأنه تزوج من الفتاة التي تنازعت معه من بني سلامان، بعد أن قال له أبوها بأنه يخاف إن زوجه إياها لسوف يقتله قومه، فطمئنه الشنفري وقال له إن قتلوك فلسوف أقتلن منهم مائة رجل؟
ولقد ورد ذلك بما يقاربه في كتاب "شرح المفضليات"لأبن الأنباري!
ولقد تقاطع الجميع في رواية الكمين وربطه إلى الشجرة وقتله؟ بعد أن سألوه أين ندفنك فقال:

لاتـقـبـرونـي إن قـبـري مـحـــــرم عليكم ولكن أبـشـري أم عامر
اذاحتملت رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنـــالك لا أرجـــو حـيـــاة تـســرني سجيس الليالي مبسلاً بالجرائر

(أم عامر: كنية الضبع)، والمعروف عن الضبع بأنها تأكل الجيف المنتنة؟
ولكن الخيال السارح بهلوسة المخدرات قبل الأدمان عليها، حين ذكر أحدهم :
ذرعت المسافة التي قطعها الشنفري، بنزوتين (بقفزتين) في محاولة هربه من راصديه، فبلغت القفزة الأولى إحدى وعشرين خطوة والقفزة الثانية سبع عشرة خطوة!
الشنفري أول من حطم الرقم العالمي للقفز، وما زال يتربع على عرش البطولة العالمية، ونشكر الرواة والمؤرخين؟، لإستخفافهم بعقول الناس عبر التاريخ؟
ولنختم موضوع الإستهتار في محمل الجد عند الرواة والمؤرخين، قال أحدهم:
بأن الشنفري كان قد قتل قبل مقتله تسعة وتسعين رجل من قبيلة سلامان، وبعد موته وإهتراء جسده بقيت جمجمة رأسه ملقاة على الأرض بعد أن تعفنت فمر رجل من بني سلامان وقذف الجمجة، برجله، فعقرته عقرب كانت بداخلها، فمات بعقرتها، وبهذا وفى الشنفري بوعده لوالد الفتاة وقتل مئة رجل من سلامان بالتمام والكمال!!!؟؟؟؟.

شروط الصعلكة كما حددها الشنفرى الأزدي: الصعلكة بثلاثة أبعاد هي: أن يكون له قلب شجاع وسيف حاد وركوبة جسورة فيقول:

ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع أبيض إصليت وصفراء عيطل

وهاهو الشنفرى يحدد صفاته الخاصة من حيث الأخلاق والتصرفات النبيلة الحكيمة والمرادفة للرجولة فيقول عنها:

ولست بمهياف يعيش سوامــه مـجدعـة سقبانهـا وهـي بهل
ولا جباء أكهى مرب بعرســه يطالعها في شأنه كيف يفعل
ولا خـرق هيــق كـأن فـؤاده يظـل به المكـاء يعلو ويسفل
ولا خـــالف داريــة متـغـزل يروح ويغدو داهنـــا يتكحل

الشنفرى الأزدي، يصف ليل الصعاليك فيقول:

وكيف ينام الليل من جل مـــاله حسام كلون الملح أبيض صارم
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخلي المسالم
إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه وصاح من الإفراط هام جواثم
ومال بأصحاب الكرى غلباته فإني على أمر الغواية حازم

*

وليلة نحس يصطلي القوس ربها وأقطعه اللاتي بها يتنبل
دعست على غطش وبغش وصحبتي سعار وإرزيز ووجر وأفكل

بلاغة الوصف في تصوير الليل بكل ما فيه من قساوة البرد والظلمة والمطر، وإرتعاد أحشائه، وأختياره الألفاظ الجافة المرعبة.

ثم يصف نومه فيقول:

وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سناسن قحل
تنام إذا ما نام يقظى عيونها حثاثا إلى مكروهة تتغلغل

*

نهاية المطاف، الشنفري، جثة أكلتها الضباع، بلا أكتراث ولا حسرة، بل كان ينظر وينتظر منيته المتوقعة في هذه الأجواء القاسية بما فيها من جسارة ومخاطرة وما يتعرض له من قسوة لكثرة الأعداء وما ينتظره من المتربصين به من وحوش الصحراء الضارية وفرسانها العتاة فيقول الشنفرى:

إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي

ولكن الشنفري ترك تراث على مر العصور سمي " لامية العرب " ومنها أبيات قليلة، وذكرفيما سبق ثلاثة أبيات من مطلع القصيدة (أقيموا بني أمي صدور مطيكم):

لعمرك ما بالأرض ضيق على أمرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولي دونكم أهلون : سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
وكل أبي باسل غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم وكان الأفضل المتفضل
وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى ولا في قربه متعلل

كان الشنفري من مشاهير عدائي عصره، ولربما كان من أسرعهم في الجري؟.

تأبط شرا، هو ثابت بن جابر الفهمي، أحد شعراء الجاهلية (الصعاليك الفرسان) الذين عاشوا في بادية الحجاز بديار قبيلة "بني فهم" مع الشنفرى والسليك بن السليكة وعروة ابن الورد العبسي.

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، وأمه امرأة يقال لها: أميمة، من بني القين، بطن من بطون قبيلة "بني فهم" أنجبت خمسة أبناء هم : تأبط شرا، وريش بلغب، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له!.

وقيل: إنها ولدت سادسا اسمه عمرو؟

تأبط بي؟ ما يشبه الندم والحسرة، وأنا أفتش عن مصادر معلومات لهذا الرجل، فالمواقع الألكترونية، إن لم تكن متطابقة فهي متشابهة، فرحت أبحث في أطروحات الأساتذة طلاب الدكتوراة، فوجدت فيها ما هو عن اللغة والتاريخ، وعن أغاني وسيرة السيدة فيروز، والشعر الجاهلي وشعرائه، ولكن ما لفت نظري هو التناسخ في بعض ما أطلعت عليه في مكتبة معهد العالم العربي في باريس، حتى وصلت بي الوقاحة لمقاربة نصوص أطروحة لأحدهم، مع ما كنت قد اطلعت عليه في كتاب الأغاني، فيا ليتني لم افعل؟ حيث وقفت ليس على تفسير الماء بأنه ماء أو سائل بل هو الماء بعينه، فنص الأطروحة نسخ منسوخ بما فيه الأغلاط المطبعية المتواجدة في كتاب الأصفهاني، لاحرج عندي لذلك ولا أعمم ذلك على جميع ما يوجد من اطروحات، السبب الأول بأنني لم أطلع على الكثير منها، والسبب الثاني هذا أمر لايعنيني من قريب أو بعيد!.

ما دام هذا الأمر لايعنيني فلماذا التطرق إليه، لأن الدافع لذكره هو وجهة نظر شخصية لربما كنت فيها على خطاء وتجني، لن أقوم بالدفاع عنها بل سأحاول توضيحها:

فلا يخفى على أحد بأن التراث الفرعوني، لربما وصلت الدقة في علومه والتعرف عليه بتواريخ ثابتة تعود إلى أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وكل أثر إن كان من حجر أوغيره نجد له الشرح والمعلومات الكافية التي ترضي غرور المعرفة ويتولد منها الرغبة للتعرف إلى ما هو دقيق التفاصيل عنها، وكذلك من المهين أن نجد بعض المعروضات في متاحف العالم وإلى جانبها لوحة صغيرة تشير إلى حقبة زمانها، وفيها بعض التفاصيل العامة، وإلى جانبها نجد الكتب والمجلدات بأدق التفاصيل والتواريخ والعادات والتقاليد التابعة لهذ الأثر التاريخي، فهذا ما يندر وجوده بالقرب من الأثار الفينيقية و العربية والإسلامية (التعميم مستبعد ولكن الحالة التي ذكرت كثيرة التواجد).

رحت أفكر بأسباب ذلك، فلربما كان من جراء عدم توافر البحوث المعمقة التي تنقب بين طيات التاريخ ودهاليزه المتشابكة، وبما أنني على إقتناع تام بأن معرفة الماضي فيها دروس المستقبل، ومعرفة التكوين الإجتماعي في مرحلة عابرة من الزمن فيها العبر، ومنها الإستفادة في شتى المجالات، مثل العلوم الإجتماعية، والعلوم الأدبية والثقافية وعلم النفس

وعلوم الحقوق والشرائع وكذلك علوم البيئة والتاريخ والجغرافيا، حتى علوم مكافحة الجريمة ومسبباتها في السابق، وتأثيرها المباشر على نمط المجتمع وغيرها؟
مراكز الأبحاث ليست فقط مختبرات التحاليل الطبية، بل يجب أن تشمل العلوم الإجتماعية وهموم المجتمع، وفي هذا ومنه تنطلق خدمة الإنسان، فالكثير من الأمراض الجسدية سببها هموم عيش وهموم حياة يومية.
وعملية التعرف على حضارات الماضي تكون بالبحث المتواصل وليس التوقف عند ما قاله ابن الأثير وابن كثير والأصفهاني، فكما أنه من الممكن إكتشاف تاريخ مومياء وتحليل الحامض النووي قد ساهم في تطور علوم الطب والعلاج والجريمة، البحث والتدقيق في خفايا الأمور المعيشية والطباع والعادات التي كانت سارية في مجتمعات سابقة هو من الممكن، إن تواجد الباحث، الباحث المتخصص، وليس الناسخ المتلصص؟
فرص العمل كثيرة، وكذلك المنفعة، من أبحاث الثقافة والأدب وعلم الإجتماع وفيها الخير للمجتمع الذي يسعى أهلوه نحو التقدم والرقي!
عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، قد أختار أفضل مئة قصيدة من الشعر العربي، وكانت من ضمنها قصيدة " تأبط شرا ":

يـا عـيـد يـالـك مـن هـم وإيـــراق ومر طيف على الأهوال طراق
يمشي على الأين والحيات محتفيا نفسي فداؤك من سارعلى ساق
ولا أقـول إذا مـا خـلــة صرمت يا ويح نفسي من شوق وإشفاق
لكـنمـا عـولي إن كـنـت ذا عـول على بصير بكسب الحمد سباق
سـبـاق غـايات مجـد في عشيـرته مرجع الصوت هدا بين أرفـاق
عـاري الضنابـيب ممـتد نـواشره مدلاج أدهم واهي الماء غساق
حـمال ألـــويـــة شـهـــاد أنـديـة قـوال محكـمة جـواب آفـــاق

*

ففي قريتي حيث ولدت، كان بالقرب من حينا عائلة، بارك الله فيهم أحياء وأموات، كانت اسماؤهم على أسماء الحيوانات الكاسرة، وكان بينهم: نمر وأسد وسبع ونمرة، وكان لذلك سبب! وهو أنه كلما بلغ عمر طفل من أطفال هذه العائلة بما يزيد عن سن الرضاعة كانت المنية تخطفه، فأشاروا على الوالدة بتسمية مولودها على أسماء الوحوش، وهكذا فعلت، وأنعم الله عليها بما رغبته.
تأبط الشر، أسم غير مألوف، وينعت به، كصفة كل مخلوق بشري يحمل الشر تحت إبطه، بطل مسرحيتنا هو " تأبط شرا "، هكذا كانت تسميته وكذلك تسميات أخوته كانت غريبة مثل غرابة تسميته، يوم مولده سمي " ثابت بن جابر الفهمي "، وبعدها بفترة أختفى الأسم و الشهرة، وتوفي في سنة 88 ق.هـ، تحت أسم " تأبط شرا ".

تعددت الروايات حول التسمية الجديدة لذلك المولود تحت أسم ثابت وهو ثابت، وطغت التسمية " اللقب " ولحقت به حتى بعد أن صار ذلك الرجل بلحده، والسبب كانت الوالدة؟.
إحدى الروايات تقول:
لأنه كان كلما خرج للغزو وضع سيفه تحت إبطه فقالت أمه مرة: تأبط شرا، فلقب بهذا اللقب.
وفي رواية أخرى:
أنه أتى لأمه بجراب مليء بالأفاعي بعد أن لامته أنه لا يأتيها بشيء مثلما تأتي به فتية الحي أمهاتهم، ثم ألقى الأفاعي أمامها وهي تسعى.
فلما روت تلك الواقعة لنساء الحي حين سألتها: كيف حملها؟ قالت: تأبطها، فقلن: لقد تأبط شرا، فصار يدعى بذلك.
و ذكرت الرواية الثالثة:
أنه رأى "كبش" في الصحراء فأحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فرمى به فإذا هو الغول!
فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟
قال: الغول؟
قالوا: لقد تأبطت شرا
فسمي بذلك.
وحدث علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها:
أن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة فيروحون بها؟
فقال: أعطيني جرابك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته فملأه لها أفاعي، وذكر باقي الخبر مثل ما سبق ذكره.

فلربما حصل الخلط ما بين الأفاعي داخل الجراب، والغول، من قوله:

فأصبحت الغول لي جـارة فيـا جارتـا لك ما أهـولا
فطالـبتها بـضعها فالـتـوت علي وحاولت أن أفعـلا
فمن كان يسأل عن جارتي فـإن لها باللـوى مـنـزلا

عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم، إخوة بني عدوان من قيس، فسألتهم عن خبر " تأبط شرا "
فقال لي بعضهم: وما سؤالك عنه، أتريد أن تكون لص؟
قلت: لا، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين، فأتحدث بها!
فقالوا: نحدثك بخبره:
إن " تأبط شرا " كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه

فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله، وفيما حكي لنا، بأنه لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بطان في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه
فقالوا له: لقد تأبطت شرا
فقال في ذلك:

تأبط شرا ثم راح أو اغتدى يوائم غنما أو يشيف على ذحل

(يوائم: يوافق ويشيف: يقتدر).

وأضاف في ذلك:

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان
وأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها: كلانا نضوأين أخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فأهوى لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران
فقالت: عد فقلت لها: رويدا مكانك إنني ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا عليها لأنظر مصبحا ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء أو شنان

قيل لتأبط شرا: هذه الرجال غلبتها، فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟

فقال: إني لأسرى البردين؟ (يعني أول الليل، لأنها تمور خارجة من حجرتها، وآخر الليل تمور مقبلة إليها).
لا يهاب الغول ولا الأفاعي، شجاع مقدام، لكنه شديد الحرص والحذر على أن يؤخذ بالغدر والحيلة، فكان من أصحاب الحيطة والفطنة، ويحسب لكل موقف حساب، ذكي مخطط، ماكر في خداعه، لايحب المباغتة بل كان هو من يبادر، حيكت حول شخصيته الأساطير التي فاقت حد المعقول وانتحت نحو الخرافة والمبالغة، فكان البطل الذي لا يقهر الغالب لا المغلوب.

خرج تأبط لغزو، يريد الإغارة على الأزد، و كان يغير عليهم وحده!
فتنبهت الأزد لقدوموه، فأهملوا أبلهم وتركوها بلا حراسة، وأمروا ثلاثة من ذوي بأسهم وهم: حاجز بن أبي، وسواد بن عمرو بن مالك، وعوف بن عبد الله، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه عنوة، فكمنوا له، وأقبل " تأبط شرا " فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه، ثم تركها وجال في الشعب لينظر إن كان يراقبه أحد، وكان الثلاثة في كمينهم يرونه ولا يراهم، فلما تيقن بأن لاأحد يراه، ولا من يتبع أثره، عاود الإبل فشلها يومه وليلته؟ والغد حتى أمسى، ثم عقلها، وصنع لنفسه الطعام فأكله، والقوم ينظرون إليه في الخفاء، ثم هيأ مضطجعه بالقرب من النار، وبخفة ورشاقة أخمد النار وزحف على بطنه ومعه قوسه، حتى دخل بين الإبل،

وخشية من أن يراه أحد، ولشدة الحذر من أن يؤخذ على مباغتة، مكث ساعة وقد أعد سهمه على كبد قوسه، فلما أحسو نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمون المهاد الذي رأوه يقوم بتحضيره قرب النار، فإذا به يرمي أحدهم فيقتله وجال الآخران، فرمى أحدهم فقتله وأفلت حاجز ولاذ بالهرب، وخرج " تأبط شرا " من بين الإبل وأخذ سلب الرجلين وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه، وقال في ذلك:

ترجي نساء الأزد طلعة ثابت ... أسيرا ولم يدرين كيف حويلي
فإن الألى أوصيتم بين هارب ... طريد ومسفوح الدماء قتيل
وخدت بهم حتى إذا طال وخدهم ... وراب عليهم مضجعي ومقيلي
مهدت لهم حتى إذا طاب روعهم ... إلى المهد خاتلت الضيا بختيل
فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم ... سباع أصابت هجمة بسليل
فقلدت سوار بن عمرو بن مالك ... بأسمر جسر القدتين طميل
فخر كأن الفيل ألقى جرانه ... عليه بريان القواء أسيل
وظل رعاع المتن من وقع حاجز ... يخر ولونهنهت غير قليل
لأبت كما آبا ولو كنت قارنا ... لجئت وما مالكت طول ذميلي
فسرك ندمانك لما تتابعا ... وأنك لم ترجع بعوص قتيل
ستأتي إلى فهم غنيمة خسلة ... وفي الأزد نوح ويلة بعويل

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه: " سألت فلم تكلمني الرسوم " (وهذا مصطلح عدم الإكتراث والتهديد والوعيد عند الأزد).

فأجابه تأبط شراً:

لقد قال الخلي وقال خلسا ... بظهر الليل شد به العكوم
لطيف من سعاد عناك منها ... مراعاة النجوم ومن يهيم
وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم
نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم
ولكن فات صاحب بطن وهو ... وصاحبه فأنت به زعيم
أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم
ثأرت به وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم
تحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم
وإن تقع النسور علي يوما ... فلحم المعتفي لحم كريم
وذي رحم أحال الدهر عنه ... فليس له لذي رحم حريم
أصاب الدهر آمن مروتيه ... فألقاه المصاحب والحميم
مددت له يمينا من جناحي ... لها وفر وكافية رحوم
أواسيه على الأيام إني ... إذا قعدت به اللؤما ألوم

غزا " تأبط شراً " بني حرة بن جتنم، وبني نهية، وبني حبس الفتكي، وقتل منهم؟

وكان عمرو بن براق (ويقال له البراق لأنه كان أفضل عداء في قومه)، من فتيانهم الشجعان، فحلف عمرو وقال: والله لأغزونهم وإن ظفرنا " بتأبط شرا " لنقتلنه، فخرج حتى ورد ارض فهم بن عدوان، فهرب " تأبط شرا " واخوته إلى مخباء لهم في الجبال، فلحق بهم البراق يتتبع أثرهم، فلما امسى نزل وطاف بالجبال.
وتأبط شرا داخل المخباء، وهم يشربون فقال تأبط شرا:
لقد أنكرت من أمر هذه الليلة وأخاف إن يكون بقربي طالب الثأر عمرو، فحاول أحد اخوته وهم بالخروج من المخباء فقام " تأبط شرا " وقال:
اقعد فقعد، وتوحش " تأبط شرا " مرة ثانية فقام أحد رجاله وقال: لأعرفن حقيقة الخبر فخرج من المخباء!
فضربه عمرو فقتله، وسمع تأبط شرا الصوت فخرج ولا سلاح معه فضربه عمرو، و أصابه، فصاح تأبط شرا بأخوته دونكم الرجل، فعدا عمرو وعدا خلفه أخوة تأبط شرا ورجاله، فلم يدركوه، فرجعوا إلى تأبط شرا فضمدوا جراحه وعصبوه، فلم يزل كذلك حتى برئ.
بعدها بفترة التقى تأبط شرا، بعمرو بن براق فقال له: يا عمرو انت الذي ضربتني وقتلت حليفي؟
قال: نعم، ولا معذرة إليه.
وكان مع تأبط شرا جماعة، وكان عمرو لوحده. فقال له تأبط شرا: فما ترى؟
قال: أرى الذي تراه، وأحب الأمور إلي المناصفة، ولا نصفة عندك!.
فقال له: وما المناصفة التي هي أحب إليك ؟
قال: إن تبرز لي وحدك، فأبرز لك، ويموت أعجزنا!
قال: ذلك لك فأبرز؟.
قال عمرو: فأني لا بأصحابي ولا أنت بأصحابك.
قال: فكيف تحب ؟
فقال إن تعدو فأعدو إلى أصحابي، وتعدو بأصحابك معك، فإن سبقت أصحابك وابتعدوا عنك، ولحقتني نازلتك؟
قال: قد انصفت!
فراح البراق بعدوه وتبعه تأبط شرا، وكلما طالت المسافة يزداد قوة وعزم، بعدها صاح عمرو:
يا ثابت أفيك مسكنة لنزال، فأنازلك؟ أم تحب الراحة، فأمهلك!
فقال له ثابت: لا راحة بعد دون المجتلد؟
فهجم عليه عمرو، وضربه بسيفه ضربة منكرة!
فنبا عنه السيف، وإذا به علا يحف لحمه على عظمه حتى يصير أشد من الحديد ولا تحيك فيه السيوف، فلما رأى عمرو بأن سلاحه لا يحيك فيه، ترك الإشتغال بسيفه وأنكشف عنه، فرجع تأبط شرا يجر ذيله،(البراق كان ينوي حين خروجه في المرة الأولى الفتك والقتل، فنجده أمام غريمه المنهك الجريح، وما أهون القضاء عليه، ولكنه يتركه، لأن نزعة الشهامة والفروسية تتحكم بقراره، فنراه يمتثل لها ويطيعها؟).

كان للعرب سوق تجتمع إليها يسمونها " المستغل "، وهي موسمية، فلما انصرفوا عنها قال عمرو بن جابر بن سفيان، أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه:
لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل، (ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما)، فأطردوا إبل بني عتير فأتبعهم أرباب الإبل، ثم قال عمرو:
أنا أكر على القوم وأمنعنهم عنكما، عندها فامضيا بالإبل.
فكر على بني عتير، واشتبك معهم، فأصيب بعدها بسهم فقتل، فقال رجل من بني عتير:
هذا عمرو بن جابر، ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه؟
فقالوا:
أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه، وكانوا يظنون أن معه صحبة كثيرة
فقال " تأبط شرا " لما بلغه قتل أخيه:

وحرمت النساء وإن أحلت بشور أو بمزج أو لصاب
حياتي أو أزور بني عتير وكاهلها بجمع ذي ضباب
إذا وقعت لكعب أو خثيم وسيار يسوغ لها شرابي
أظني ميتا كمدا ولما أطالع طلعة أهل الكراب
ودمت مسيرا أهدي رعيلا أؤم سواد طود ذي نقاب

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي:

لعلك أن تجيء بك المنايا تساق لفتية منا غضاب
فتنزل في مكرهم صريعا وتنزل طرقة الضبع السغاب
تأبط سوأة وحملت شرا لعلك أن تكون من المصاب

ثم أن السمع بن جابر أخو " تأبط شرا " الأخر خرج في صعاليك من قومه يريد الإغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل التقى براعي أبل وماشية لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاق مع من معه أموالهم
فقال في ذلك السمع بن جابر:

بأعلى ذي جماجم أهل دار إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا
طرقتهم بفتيان كرام مساعير إذا حمي المقام
متى ما أدع من فهم تجبني وعدوان الحماة لهم نظام

ذكروا، أن " تأبط شرا " خرج ومعه مرة بن خليف، يريدان الإغارة على الأزد؟
وكان معه الهداية، (دليل الأثر وكان أسمه "مرة") ، فضاع الدليل عن الطريق الصحيح، ومضى الجميع حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهورالأكم، فقال " تأبط شرا ":
هلكنا واللات يا مرة، ما وطئ هذا المكان إنس قبلنا، ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض، فاختر أية القنتين شئت، وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما

وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب، وإن رأيت الموت، فألح بالسيف، فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين.
ثم إن " تأبط شرا " ألاح بالثوب، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة:
ما رأيت يا ثابت؟
قال: دخان أو جراد!.
قال مرة: إنك إن جزعت منه هلكنا؟
فقال " تأبط شراً ": أما أنا فإني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح، فمكثا بذلك يومين وليلتين ثم تبعا الصوت.
فقال " تأبط شراً ": النعم والناس، أما والله لئن عرفنا لنقتلن ولئن أغرنا لندركن، فأت الحي من طرف وأنا من الآخر، ثم كن ضيفاً ثلاثا، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع، ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة وموعدك الطريق.
ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقوا النعم والغنم حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا الشعب فنحرا، قلوص، فبينما هما يشويان إذا سمعا حسيس على باب الشعب، فقال " تأبط شرا ":
الطلب يا مرة، إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون وإن دخل فهو الطلب؟
فلم يلبث أن سمع الحسيس يدخل!
فقال مرة: هلكنا؟
فوضع " تأبط شرا " يده على عضد مرة فإذا هي ترعد
فقال: ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هذيل، خذ بظهري فإن نجوت نجوت وإن قتلت وقيتك.
فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر" تأبط شرا "، وحمل " تأبط شرا " على الرجل فقتله وأفلتا بأنفسهما، فلما أمنا وكان من آخر الليل قال مرة: ما رأيت كاليوم غنيمة!
وحين أقبلا على أهلهم، عض مرة عضده، (وكان الحي الذين أغاروا عليه: بجيلة)
وأتى " تأبط شرا " إمرأته، فلما رأت جراحته من إقتتال جرى حين الإغارة، ولولت؟
فقال " تأبط شرا " في ذلك:

وبالشعب إذ سدت بجيلة فجه ... ومن خلفه هضب صغار وجامل
شددت لنفس المرء مرة حزمه ... وقد نصب دون النجاء الحبائل
وقلت له: كن خلف ظهري فإنني ... سأفديك وانظر بعد ما أنت فاعل
فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم ... وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا
وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل
واخطأ غنم الحي مرة بعدما ... حوته إليه كفه والأنامل
بعض على أطرافه كيف زوله ... ودون الملا سهل من الأرض مائل
فقلت له: هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمنا من نفسه ما يزاول
تولول سعدى أن أتيت مجرحا ... إليها وقد منت علي المقاتل
وكائن أتاها هاربا قبل هذه ... ومن غانم فأين منك الولاول

وفي مرة خرج "تأبط شرا " و معه المسيت بن كلاب في ستة نفر يريدون الإغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس.
و كان من بنهم عمرو بن براق ومرة بن خليف، والشنفري بن مالك، والسمع وكعب أخوة تأبط شرا، فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسين وراجل وطردوا لهم الإبل، وأخذوا منهم إمرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم أعترضتهم جماعة من بني خثعم في نحو بما يقارب أربعين رجل، فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم!
فقال " تأبط شرا ": يا قوم، لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا العذر
وقال عامر بن الأخنس: عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم؟
وقال المسيب: اصدقوا القوم الحملة وإياكم والفشل!
وقال عمرو بن براق: ابذلوا مهجكم ساعة فإن النصر عند الصبر
وقال الشنفري:

نحن الصعاليك الحماة البزل إذا لقينا لا نرى نـهـلـل

وقال مرة بن خليف:

يـا ثـابت الخيـر ويـا بـن الأخـنـس ويا بن بـراق الـكـريم الأشـــوس
والـشـنـفري عـــند حـيـود الأنـفـس أنا ابن حامي السرب في المغمس
نحن مساعير الحروب الضرس

وقال كعب حدار بن جابر أخو " تأبط شرا ": يا قوم أما إذ لقيتم فاصبروا ولا تخيموا الجزع فتدبروا؟
وقال السمع أخو" تأبط شرا ":

يا قوم كونوا عندها أحرارا لا تسلموا العون ولا البكارا
ولا القناعيس ولا العشـارا لـخـثـعـم وقـد دعـوا غـرارا
ساقوهم الموت معا أحرارا وافتخروا الدهر بها افتخارا

فلما سمع " تأبط شرا " مقالتهم قال: بأبي أنتم وأمي، نعم الحماة إذا جد الجد، أما إذا أجمع رأييكم على قتال القوم فأحملوا ولا تتفرقوا فإن القوم أكثر منكم فحملوا عليهم، فقتلوا منهم ثم كروا الثانية فقتلوا ثم كروا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم، وتفرقت في رؤوس الجبال، ومضى " تأبط شرا " وأصحابه بما غنموا وأسلاب من قتلوا!
فقال تأبط في ذلك:

جزى الله فتيانا على العوص أشرقت سيوفهم تحت العـجـاجة بـالـدم

وقال الشنفري في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني سيفدي بنفسي مرة فـأغـيب

وثم أضاف عامر بن الأخنس الفهمي:

ألا هـل أتى عـنـا سـعـاد ودونـهـا مهـامه بيـد تعتـلي بالصعالـيك
بأنا صبحنا القوم في حر دارهم حمام المنايا بالسيوف البواتـك
قـتلنا بـعمرو مـنهم خـير فـارس يزيد وسعدا وابن عوف بمالك
ظـللنا نفـري بالسيوف رؤوسهم ونرشقهـم بالنبل بيـن الـدكـادك

غزا " تأبط شرا " في نفر، جماعة من عشرين رجل، فيهم عامر بن الأخنس، وكان السيد فيهم، وكان إذا خرج في غزو يكون على رأس الغزوة، وكان يقال له سيد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على " بني نفاثة بن عدي بن الديل " ممسين، ينتظرون أن ينام الحي، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راعي من الحي قد أغدر(يتوجه نحو الغدير) ومعه غديرته يسوقها، فبصر بهم وبمكانهم، فخلى الغديرة وتبع الضراء (ضراء الوادي)، حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم، فقاموا فاختاروا: فتيان الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من بني نفاثة: والله ما قوسي بموترة؟
فقالوا: فأوتر قوسك، فوضع قوسه فأوترها!
فقال " تأبط شرا " لأصحابه: اسكتوا، واستمع أتيتم والله؟
فناقضوه و قالوا: وما ذلك؟
قال: أنا والله أسمع حطيط وتر قوس؟
قالوا: والله ما نسمع شيئ!
قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النجاء؟
قالوا: لا والله ما سمعت شيئ!
فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبعدها هاجمهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان!
وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس.
فلما رجع " تأبط شرا " قالت له إمرأته: تركت أصحابك!
فقال حينئذ:

ألا عجب الفتيان من أم مالك تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

قال أبو عمر الشيباني: لا بل كان من شأن " تأبط شرا " وهو ثابت بن جابر بن سفيان، أنه خرج من أهله بغارة مع جماعة من قومه، يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل، وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية، حتى هبط صدر أدم، وخفض عن جماعة بني صاهلة، فاستقبل التلاعة، فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي، ليس فيها إلا النساء، غير رجل واحد، فبصر الرجل " بتأبط شرا " وخشيه، وذلك في الضحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمم وجعلن دروعهن أردية، وأخذن من بيوتهن أعمدة كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم، وأرمهن أن لا يبرزن لهن خد، وجعل هو يبرز للقوم ليروه، وطفق يغري ويصيح على القوم، حتى أفزع " تأبط شرا " وأصحابه وهو على ذلك يغري، في بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام، فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل، و" تأبط شرا " ينهض في الشعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء!
فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انج أدركك القوم؟
وتأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى عنهم
فقال " تأبط شرا " في ذلك:

أبعد النفاثيين أزجر طائرا وآسى على شيء إذا هو أدبرا
أنهنه رجلي عنهم وإخالهم من الذل يعرا بالتلاعة أعفرا
ولو نالت الكفان أصحاب نوفل بمهمهة من بين ظئرء وعرعرا

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال: والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثأر بهم!
فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بتبع من هذيل بين صوى جبل، فقال:
اغنموا هذا البيت بأول الأمر!
قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرب، ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها؟
فقال: إني أتفاءل أن أنزل، ووقف، وأتت به ضبع من يساره، فكرهها!
وعاف على الذي رأى، فقال: أبشري أشبعك من القوم في الغد؟
فقال له أصحابه:
ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها!
قال: لا والله لا أريم حتى أصبح في الغد بكم؟
وأتت إليه بضبع عن يمينه فقال: أشبعك من القوم الغد؟
فقال أحد القوم: والله إني أرى هاتين في الغد إلا بك!
فقال: لا والله لا أريم حتى أصبح، فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار، فأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم؟
وغدوا على القوم، فقتلوا رجل شيخ وامرأة عجوز، وحازوا جاريتين و بعض الإبل
ثم قال " تأبط شرا ": إني قد رأيت معهم غلام أسود، فأين الغلام الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتبعه.
فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيء، لتتبعه، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة، وأقبل " تأبط شرا " يتقصي أثره، و كان في يد الغلام سهم، فحين رأى أنه لا ينجيه شيء، أمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، وأرسل السهم، فلم يسمع تأبط شرا إلا الحبضة!
فرفع رأسه، فانتظم السهم قلبه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس؟
فقال الغلام: لا بأس، والله لقد وضعته حيث تكره، فغشيه " تأبط شرا " بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة، ويضربه بها بحشاشته، فيأخذ ما أصابت الضربة منها، حتى خلص إلى الغلام فقتله، ثم نزل إلى أصحابه يجر رجله، فلما رأوه وثبوا، ولم يدروا ما أصابه؟
فقالوا: مالك؟
فلم ينطق، ومات في أيديهم،
فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رخمان.
فقالت ريطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الديل:

نعم الفتى غادرتم برخمان ثابت بن جابر بن سفيان

وقال مرة بن خليف يرثيه:

إن العزيمة والعزاء قد ثويا أكفان ميت غدا في غار رخمان
إلا يكن كرسف كفنت جيده ولا يكن كفن من ثوب كتان
فإن حرا من الأنساب ألبسه ريش الندى، والندى من خير أكفان
وليلة رأس أفعاها إلى حجر ويوم أور من الجوزاء رنان
أمضيت أول رهط عند آخره في إثر عادية أو إثر فتيان

ترنم بأنشاده قبل موته بفترة وقال:

لعلي ميت كمدا ولما أطالع أهل ضيم فالكراب
وإن لم آت جمع بني خثيم وكاهلها برجل كالضباب
إذا وقعت بكعب أو قريم وسيار فيا سوغ الشراب

فأجابه شاعر من بني قريم:

تأبط سوأة وحملت شرا لعلك أن تكون من المصاب
لعلك أن تجيء بك المنايا تساق لفتية منا غضاب
فتصبح في مكرهم صريعا وتصبح طرفة الضبع السغاب
فزلتم تهربون لو كرهتم تسوقون الحرائم بالنقاب
وزال بأرضكم منا غلام طليعة فتية غلب الرقاب

فرد عليه" تأبط شرا " وقال :

ولقد علمت لتعدون علي شتمي كالحساكل
يأكلن أوصالا ولحما كالشكاعي غير جاذل
يا طير كلن فإنني سم لكن وذو دغاول

وصف ذاتي أم ثقة بالنفس سرح بها الخيال؟

تقول سليمى لجاراتها أرى ثابت يفنا حوقلا
لها الويل ما وجدت ثابت ألف اليدين ولا زملا
ولا رعش الساق عند الراء إذا بادر الحملة الهيضلا
يفوت الجياد بتقريبه ويكسو هواديها القسطلا
وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيعلا
إلى أن حدا الصبح أثناءه ومزق جلبابه الأليلا
على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا
فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت بوجه تهول فاستغولا
فقلت لها يا انظري كي تري فولت فكنت لها أغولا
فطار بقحف ابنة الجن ذو سفاسق قد أخلق المحملا
إذا كل أمهيته بالصفا فحد ولم أره صيقلا
غظاءة قفر لها حلتا ن من ورق الطلحِ لم تغزلا
فمن سال أين ثوت جارتي فإن لها باللوى منزلا
وكنت إذا ما هممت اعتزمت وأحر إذا قلت أن أفعلا

تأبط الشك في مخيلتي، وأسترسلت بالبحث في المصادر، ساعيا لتجميع القدر الكافي لتكوين فكرة حول شخصية ثابت بن جابر بن سفيان الفهري المضري، فتوقفت عند روايتين، وأمام شرح وتزكية وتصنيف من قبل الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، لم يتطرق العميد في شرحه إلى الخرافات والمغالات التي أحاطت وطوقت سيرة " تأبط شرا "، ولكنه جعله من الشعراء المئة الأوائل، وأثنى على مقدرته الشعرية وشجاعته، ولكن الرواتين كان فيهما تباين وآراء مختلفة، وتوصيف جديد وشروحات قيمة حول شخصية الرجل، بما لم تذكره كتب التاريخ القديمة، الأصفهاني والحافظ الذهبي وأبن كثير وأبن الأثير، وكتاب " الشعر والشعراء "، لابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة، بيروت، 1969م، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادرفي بيروت.(حيث منها كان توليف ما تم ذكره)
الدراسة الرواية الأولى هي للدكتور شريف بشير أحمد، حيث يقول:
(وأنت تستذكر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي يستوقفك (تأبط شرا) بلقب تركب جملة تعتصر السلبية والقتامة في الفعل والصفة، تحول به من السكونية إلى الحركية، ومن الصمت إلى المغالبة، ومن القبول والخنوع إلى الرفض والمواجهة، ومن الخفاء القميء إلى العلن الصاخب، بدلالتين: دلالة مادية تشير إلى الشخص إشارة يفتخر بها، ودلالة معنوية يشعر معها الآخرون بالرهبة المرجفة، في سياق محاورة ذهنية بين ذاتين: ذات واعية تدرك دور الكائن في توجيه مفهوم اللقب بالحدوث المتكرر، وذات مكبوتة واهنة لا تعي وظيفة الفرد المتمرد الذي يمنح اللقب كينونة واقعية بشخصية لها القدرة على المجاهرة والمصاولة.
وتعرف أن (تأبط شرا) قد نشأ في بيئة مرهقة لشاعر شرود يعشق الحرية فكرة ومنهج، ولا يستقر على نسق حياتي رتيب الأنماط فخرج عن المنظومة القبلية التي تشكل الفرد برؤية الجماعة، بقوة جسدية ونفسية، ووعي شعري، لم ينسجم بهما مع الأعراف والنظم السوسيولوجية، رغبة منه في تحقيق ذاته ووجوده، ففارق القبلية التي سنت نظمها الهيكليَة التي لا تقبل المخالفة والمعارضة، فارقها إلى أعماق الصحراء حيث يعيش الوحش، ينتخب لنفسه مجتمعا بديلا يختاره بإرادته، ويتحرر فيه من سلطوية الآخر، وتتفاعل فيه الذات مع البيئة تفاعلا يخلق عالما تتذاوب فيه المتناقضات).

الدراسة الثانية للأستاذ محمد السنوسى الغزالى، حيث يقول في روايته:
(تأبط شرا، فى غير زمانه ومكانه، ذرب اللسان، قصير القامة، قبيح وقميء حد الكره، ينبذ كل من حوله، يموت فى السباب، يعيش كأنه لوحده، يرمى الناس بالطوب وبيته من زجاج! بل بيته بدون سقف وبدون ستر، وبدون أبواب، يتهم الناس بالعهر والقوادة، وهوشيخ القوادين ؟

فى دنياه زوجة وطفل واحد، لايعرفه جيرانه ولايعرفه غير الذي يريد أن يعرفه! ديدنه المسالمون والنساء، ولايشتم نفسه ابدا، شتام لغيره، يستأسد على المحصنات.

يهتز فى مشيته ، يتعثر فى الرمال، تلفحه رياح الشرور، مكتظ بحقد لايفكك، وبجوانح من طين فج، لزج فى الملمس، رخوى الهيئة، حصانى الرأس ذليل، تمتلىء ذاته بإنفساح لا يرى وفوضى فى أركانه، كمن لمسه إله حرب لم يمر على زمن وقد لايمر، سجله معبأ

بالأسماء وفى راسه تكتظ القصائد، كان الوقت قيظا والصحراء يدلهم سرابها عندما تحس بوطأة الغرباء على رمالها النقية، أخذته الرياح الى واحة اعتاد أن يرتادها، انزل صرته اللعينه من على ظهره وشرع يفترشها على الرمال فيما بدأ يبحث عن حصى لتمسك بأطراف الصرة الأربعه حتى لاتقلبها الريح، ووضع بضاعته، حروف من قرون وعين غزال وقالب ملح وفحم حجرى وقطعة من جلد تيس وصدفات وحلى مزيفة وفك كلب ميت وأسنان حمار وشعر ثعلب تفوح منه روائحه النتنة، وكل الأيقونات الأخرى، وزعها بإنتظام فوق الصرة المفروشه، وكل أيقونة بحرف لاتخطئه العين، ينطق بذاته، ونادى بأعلى عقيرته: هنا بيوت الحروف المفككة لملمها واعلقها قصائد على جدران الواحة، هى إمرأة (قال) كانت تموت فى أسمالى وتجثو عند إصبع قدمى، تزوجها ذلك الذى كان يعرف ما بيننا يقرض القصيد الردىء، كنت سأتغاضى عن الديوث لو أنه دفع الدراهم.
لكن هنا أيقونته التى ستقول كل ما لا يقال، اجتمع حوله الناس والتفوا، فتأبط شرا، لديه مع هبوب العواصف مايقول، اليوم سيحاسب الذى تزوج محبوبته السابقة الذى كان يريد منها أن تحمل صورة وجهه القمىء معها الى سريرها، وهذا يوم القصائد المباعة بأى ثمن فى مهرجان الواحة، من ميزاته أنه رخيص رخيص، حتى تكره اقتناء بضاعته ومعلقاته اللعينة هذه حروف مفككه لملمها بعد أن مر على" ولادة " فكان جرابها خاويا فى هذا اليوم، وقد كانت تعطف على تأبط شرا، ببعض الدراهم أحيانا، لكنه الغول الذى يلتهم ولايحمد، قال: هذه ولادة ايها السادة ألملم حروفها لأعرى تلابيبها، فأنا عدو المحصنات اذا تمنعن، وكاد أن يبدأ، لولاأن قطع عقيرته إيعازها الحنون: تعال يا تأبط شرا؟ ما الذى الم بك تجاهى ؟ الم نكن على وفاق!
قال: كنا على وفاق عندما كانت دراهمك تشخشخ فى جيبى، اليوم وقد قلبت لى ظهر المجن فانت ضيف القصيد واقول فيك ما لم يقله مالك فى الدن؟؟
عجبا قالت ولادة، يا تأبط شرا، ألا تعرف أنى إمرأة من الحرائر وقولك هذا كمن يسقط حبة فحم فى كوب لبن شعاعه يرى من بعيد؟
فقال لها: لا أعرف غير دراهمك، خشخشيها ولكل حادث حديث!
خلعت سوار فضى من يدها اليمنى ومدته له، أختطفه بسرعة الملهوف وشرع يعظه باسنانه كالكلب اللاهث، وقال: نعم فضة أصيلة، نعم ! اليوم يحلو الكلام حولك يا ولاده، فانفضوا أيها الناس، هذه كالحرة تموت ولاتأكل بثدييها ؟
لاتذكرنى بخير او بسوء، قالت ولادة، ابعد عنى شرك المستطير وحقدك الذى لايرحم، وايقوناتك اللعينه؟
انتم معشر الاغنياء، قال تأبط شرا، لاتستكينوا ولاتذعنوا الا بالعين الحمراء، جبناء تخافون على اسماءكم ولاترحمون صعلوك مثلى لديه عيال جياع؟
فى الليلة ذاتها باع السوار وذهب الى حانة الواحة، أرتمى بين الغوانى يعب زير النبيذ حتى غشى عليه، وذهب إلى عياله الذين باتوا جياع؟
اليوم خمر وغد أمر، قال تأبط شرا: اليوم سهر وسكر وغد سوق ولعنات، كانت الحانة ملوء مكتظة بالطبالين والتنابلة والصيارفة والمرابين وتجار الكلمات، بعضهم كان يصادق تأبط شرا خشية لسانه، يعطونه الدراهم الليلة يمدحهم وهو فى قمة السكروالإنتشاء،

وفى الصباح عندما يتكاسل، يشتم سنسفيلهم من العروق ويعلق قصائده حولهم على جدار الحانه ويذهب، وعند الليل يعود اليهم، يسكرونه حتى يرى الفأر حمارا، فيبدأ فى انشادالهجاء، يكتبونه فى رقع عديدة ويعلقونه على جدران الواحة فى اليوم التالى يبدأ الشجار بين السبابين والمعلقين من ناحية وبين تأبط شرا، فإما أن يدفعوا له وينقلب الهجاء إلى مدح ويعلقه، فيجمعون الدراهم ويمدونها له، فيسكر حتى الثمالة ثم يعود إلى بيته وقد كتبوا له معلقات اخرى، وهكذا يتجمع حوله المرابين يدفعون له ويعلقون كل يوم وفى الليل يصفقون له، لانهم بمنأى عن أيقوناته، وحتى إشعار آخر؟

فتأبط شرا، لا آل له ولاذمة ولايعرف الخبز والملح، خبزه وملحه الخمر والغوانى، ثم طفله الذى يستدر به العطف من الناس، لكنه يذعن احيانا لتحريضات الأقرع الذى يدس فى جرابه بعض الدراهم ليدفعه إلى بذاءة اللسان فى كل من يكرهه.

ذات يوم من أيام هجير الصحراء كان تأبط شرا قد إنتحى جانبا في الحانه وكان الجو مكفهرا ينذر بشيء ما؟ قال فى نفسه : هذا يوم سيء فيما يبدو لي ؟.

فى الأثناء دخل رجل تبدو على هيئته الهيبة والإحترام، قلب عيناه فى الحانة حتى وقعتا على تأبط شرا! دنا منه وقال له: أنت من يسمونه تأبط شرا؟

بإستعلاء قال نعم هو أنا هل تريد أن تدفع مقابل السكوت عنك ثلاثون درهما فقط واذهب راشدا؟

لابأس، قال الرجل، لنخرج من الحانة حتى نتفق فلدى ما أقوله لك وسأجعلها مضاعفة!

قال تابط شرا: إذا أصريت على زحزحتى من هنا فى هذا اليوم الذى كنت أظن أنه سيء؟

قال الرجل: سادفع لك ما تريد؟

قال تأبط شرا: حسنا!

انتأ الرجل به جانبا خارج الحانة، ثم أخرج خازوقا طويلا أمسكه بيد وباليد الاخرى أمسك تأبط شرا وألبسه الخازوق حتى كاد أن يخرج من حنجرته، وتركه وذهب!

فى اليوم التالي خرج تابط شرا كسيرا متعبا، لكنه بعد شهر واحد عاد للبحث عن المحصنات اللاتى يعطيهن من طرف اللسان حلاوة، ثم يكشرعن انيابه حتى يشعر بألم من وخزات مكان الخازوق..).

الموضوع بذاته ليس قضية قومية مصيرية، وليس بمستوى ما هو محيط بنا من تنكيل ونقد وكراهية وإهانة وإذلال، وإحتلال وحصار، فلا بد أن يبقى ضمن إطار حوار أدبي لربما صار له تفاعلات سلبية في المستقبل؟

الدكتور طه حسين، تحدث عن حياة ومسار " تأبط شرا " تناول المعلومات العامة التي قام بإستنتاجها من خلال دراسته المعمقة لتصرفات الشاعر، مستندا فيها على أشعاره والقصص والروايات التي رويت عنه في كتب التاريخ، مقدرة الدكتور طه حسين في التحليل والإستنتاج، لا نقاش في قوة ثباتها ومعالجاتها، فمر مرور الكرام عليها، بعد التنويه عن حوادث جزم فيها الدكتور طه حسين بأنها خرافة من نسج خيال، وبالطبع بعد التدقيق والدراسة والمقاربة كانت إحدى قصائد " تأبط شرا " في مئة التصنيف والتفضيل عن غيرها من مئات ألوف القصائد في العصر الجاهلي، الموضوعية العلمية والبحث الدقيق عند الدكتور طه حسين لم يأتي عن عبث أو خيال قد جمح؟

ثم نأتي على دراسة الدكتورشريف بشير أحمد، فتستقبلنا الموضوعية ومتانة النص ومقدرة فائقة لوصف البيئة التي عاش فيها " تأبط شرا "، ويضع الدكتور فيها إصبعه على الجرح، وما سلوك، صاحب البحث المعني، الشاعر واللص والصعلوك، بادرة فردية بل هي من تفاعلات مجتمع كانت تسير أموره على هذا النحو، الوالد كان من قبله، والوالدة من المحرضين الدافعين، فسار " تأبط شرا " في مساره الحتمي، وكان ما كان عليه؟
الأستاذ محمد السنوسي الغزالي، و كان عنوان مقالته أو مدونته " تأبط شرا حكاية قديمة" تنقل بها الأستاذ السنوسي من موقع إلى آخر، موقع مجلة أنهار الأدبية، وموقع مدد وغيرها الكثير، وكان في نص ما كتبه تسمية أشخاص وهم تأبط شرا و ولادة، والرواية بكاملها من نسج خيال قديم أتى على ذكرها المؤرخ النمساوي " شلوتزر " في عام 1873م، في كتابه " معجم الحضارات السامية " المترجم للعربية من عدد من دور النشر الشهيرة والمعروفة، فالباحث النمساوي كانت مراجعه من مصدر التراث التوراتي، وفي سياق دراسته وتحليلاته، تطرق إلى تكاثر الأساطير الخيالية من روايات أبي هلال و أبو خلدون الخرساني وأبن رصاصة و لوهق بن عرفج.
أما إن الحق لا يثبت بالدعوى ولكن بالدليل، وإن العبرة بالمسميات لا بالأسماء فحسب، وبالأفعال لا بالأقوال فقط، ولو أن كل من سمته أمه صالح كان صالح على الحقيقة، ولا كل من سمي عادل كان العدل شعاره، ولو أن كل من سمى حسن لا يأتي إلا الفعل الحسن، ولكن وراء هذه الأسماء والألقاب الجميلة أفق لواقع تتهاوى فيه كثير من هذه الأسماء والألقاب، وتنفلق فلا تجد إلا الحقيقة من فعل يصدق ذلك أو يكذبه؟

ومن يقل الغراب أبو القمارى يكـذبه إذا نـعـب الغراب

وللسيد الدكتور خليل أحمد خليل، دراسات معمقة في الأسطورة وتعدد مجالاتها، وكذلك للباحث الفرنسي المفكر كلود ليفي ستراوس، قائمة بتعدد الأساطير الخرافية النابعة من نسج الخيال المبدع الذي كان يتمتع به وبالفطرة والبديهة أهالي الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، دراسات ومقالات ستراوس نشر الكثير منها في الصفحات الثقافية لجريدة العرب، ومنها مقالته الرائعة تحت عنوان " الخرافي الأسطوري إلى الواقعي التقدمي ".
ما جاء به الأستاذ السنوسي الغزالي، هو نسج خيال في نص وهمي جميل يشبه أفلام الكوبوي الأمريكي، وروايات المسلسلات التلفزونية التركية المدبلجة، الرواية جميلة والسرد رائع، ولكن لا رابط بينها وبين السيرة الذاتية الخاصة بشخصية " تأبط شرا " ولا وجود لأمرأة أسمها ولادة، فكان بالأحرى تسمية أبطال الرواية بأسماء غير تلك، كما فعل الكسندر دوما و أرنست همنغواي و نجيب محفوظ إلى احسان عبد القدوس، وما أكثرهم من كتاب الرواية والقصة، لأن المشهد التصويري الذي أتقنه الأستاذ السنوسي كان دقيق الوصف والتفاصيل (إن كان هو من كتب النص)؟
مع كامل الإعجاب والتقدير بمقدرة الأستاذ السنوسي في كتابة الرواية وسرعة التنقل بين المواقع الألكترونية، وعملية التعميم الشاملة، فهذه من الطرافة بمكان!
ولكن لننظر إلى المستقبل، فلسوف تصير هذه الأسطورة مستند لجيل يبحث في ماضيه، وينقل الرواية ويعتمد على بنيانها في بحثه ودراسته، فالأستاذ السنوسي وضع نصه تحت

عنوان رنان " تأبط شرا، قصة قديمة " ولم يذكر مراجع مصادرها، فإما أن يكون قد تقمص عكس التيار وعاش في زمن الجاهلية، فصار بذلك المصدر الشاهد على وقائع روايته لأنه ذكر تسمية أشخاص تواجدوا بالروح والجسد في تلك المرحلة، ولو بأشكال بسيط حول" ولادة "، وهو بسيط لا بل يزيد عن أكثر من كذا مئة سنة لأن ولادة كانت في نهاية العصر الأموي وكان أسمها: ولادة بنت المستكفي (ولدت في قرطبة) أميرة عربية وشاعرة من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، ابنة الخليفة المستكفي بالله الأموي؟.
خطرت ببالي فكرة، أنقلها للأستاذ السنوسي بكل تقدير واحترام، أن يستمر في كتابة رواياته الرائعة، ولكن بتسمية أبطالها على سبيل المثال: معيمر القاذف، وهنيبعل بن معيمر الذي يقود سيارة الفراري بعكس السير في جادة الشانزليزيه، فتوفقه شرطة نابليون ويتم الحجر عليه لمدة حتى تختفي عنه مضاعفات السكر والتعتعه، ثم يطلق سراحه فيذهب إلى جنيف ويرمي برفيقته من الطابق الثالث من على شرفة فندق فخم سويسري، أو أن يكتب في الرواية البوليسية وأسم بطلة روايته " سرمزان بنت المعتوق التميمي البيروتي وأسماء الأبطال الرجال طليع بن هشام بن المبارك، وغلامه السكري بن خنجر؟
ومن ثم نتشدق ونقول هناك هجمة علينا لتشويه التاريخ في عصورنا الغابرة، وننشر الشك والخرافة في مجرى أمورها وأحداثها وتحويرها بما يرضى به حمد وحميد وزيد ومهران، ونصرخ " المؤامرة علينا مستمرة "، تشويه الحقيقة، هو والحق يقال من صنع إيدينا واستهتارنا بصدق الخبر وتفاعلاته المستقبلية !

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من الذي منهما قد احـــرز الشرفا
فالعلم قال : أنا أحـرزت غايتـه والعقل قال : أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقـال لـه بأينـــا الله فـي فـرقـــــانـه اتصفا
فبـان للـعقـل أن العلـم سيـــــده فقبل العقل رأس العلم وانـصرفـا

*

وبعض الداء ليس له شفاء وداء الحمق ليس له دواء

ما يحز في نفسي، وأنا اتنقل بين معهد العالم العربي في باريس ومكتبته المتواضعة، وبين المكتبة العامة التي تسمى " مكتبة فرنسوا ميتران " فالمسافة متقاربة فيما بينهما ولكن البعد شاسع، ففي قسم الحضارة الشرقية العربية والإسلامية في مكتبة فرنسوا ميتران، يكثر عدد القراء والمهتمين، من رواد هذا الصرح الحضاري الهائل، بتلك الثقافة الشرقية وبشتى فروعها، وكذلك كثرة المراجع والنسخ الأصلية لكبار المؤرخين والأدباء، من عصور مختلفة وقديمة، فتجد الدراسات حول الشعر والشعراء في شتى العصور وتجد ترجماتها إلى اللغة الفرنسية وسهولة الحصول عليها والوسائل المتعددة لذلك ومن أحدث التقنيات المتطورة، رحابة المكان وروعة تصميمه، وتأمين الوسائل المريحة للقارىء المطالع، وسكون الصمت المفعم وإحترام قدسية الموجودات، وترتيبها وتصنيفها وطريقة التوصل إليها، فمكتبة معهد العالم العربي تتمتع ببعض تلك الموصفات بمعادلة نسبية متفاوته، ولكن النقص الفاضح للكثير من المراجع، تظهر معالمه واضحة للعلن؟.

السليك بن السلكة:
السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي أحد شعراء العصر الجاهلي الصعاليك، توفي عام 17 ق.هـ، ومما يروي عن هذا الشاعر الصعلوك الذي ينسب إلى أمه السلكة، عجيبتان:
الأولى: أنه كان أسرعَ العدائين، حتى أنه إذا جرى لم تدركه أسرع الخيل!.
(السلكة: الأنثى من أولاد الحجل، والذكر سلك، وبهما سمي سليك بن السلكة)

نسبة إلى أمه "السلكة" وهي أمة سوداء ورث منها سواد اللون، و كانت شاعرة متمكنة، هو أحد شعراء الصعاليك، تقرب من الشنفري وتأبط شرا وعمرو بن براق، وكان من أشد رجال العرب وأشعرهم ومن أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمعالمها وأشدهم بالعدو، فلقب بالرئبال.
كأي صعلوك آخر، كان فاتكا عداء يضرب المثل به لسرعة عدوه حتى أن الخيل لا تلحقه لسرعته فيقال "أعدى من السليك "، له وقائع وأخبار كثيرة ولم يكن يغير على مضر وإنما يغير على اليمن فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.
وجاء من أخباره في الأغاني " كان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم، وكانت العرب تدعوه (سليك المقانب) وكان أدل الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها "
توصلت للحصول على القليل من شعر السليك، رغم أن البعض يعتبره من أشعر شعراء الصعاليك في الجاهلية، والمقطوعات القليلة التي تمكنت من الحصول عليها، تظهر بأن شعره كان أقرب الى النثر الفصيح منه الى الشعر المبدع، كما أنها تكشف عن جانب مهم من شخصيته التي تميزت بالفردية واقتناص اللذائذ والغنائم ولا تظهره كصاحب فكرة او مبدأ.
وهو من صعاليك العرب العدائين في الجاهلية الذين كانوا لا يلحقون، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا، وهم: السليك بن السلكة، والشنفري، وتأبط شرا، وعمرو بن براق، ونفيل بن براقة.
وقال أبو عبيدة، حدثني المنتجع بن نبهان قال: كان السليك بن عمير السعدي إذا كان الشتاء استودع ببيض النعام ماء السماء ثم يدفنه، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل وأغار، وكان أدل من قطاة، يجيء حتى يقف على البيضة.
وقال المفضل في روايته: كان السليك يقول: اللهم إنك تهيء ما شئت لما شئت إذا شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفا كنت عبدا، ولو كنت إمرأة أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة؟.
ذكروا أنه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه، رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء الباردة المقمرة اشتمل الصماء

ثم نام (واشتمال الصماء: أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى، ثم ينام عليها) فبينما هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه فقال: استأسر؟.
فرفع السليك إليه رأسه، وقال: الليل طويل وأنت مقمر!.
فجعل الرجل يلكزه ويقول: يا خبيث استأسر؟.
فلما آذاه بذلك أخرج السليك بعده، فضم الرجل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه، فقال السليك: أضرطت وأنت الأعلى؟ ثم قال: من أنت؟
فقال: أنا رجل افتقرت، فقلت لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني فآتيتهم وأنا غني، أنطلق معي؟ فانطلقا، فألتقيا برجل قصته مثل قصتهما، فاصطحبوه حتى أتوا جوف مراد.
فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم قد ملأ كل شيء من كثرته، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها، فيلحقهم الطلب.
فقال لهما السليك: كونا بالقريب مني حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي، أقريب أم بعيد، فإن كان بقريب، رجعت إليكما، وإن كان ببعيد، أشرت لكما، فأغيرا.
فأنطلق حتى أتى الرعاة، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فإذا هو بعيد.
فقال السليك للرعاة: ألا أغنيكم؟
فقالوا: بلى غننا، فرفع صوته وغنى:

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي سوى عبيد وآم بين أذواد
أتنظران قريبا ريث غفلتهم أم تغدوان فإن الريح للغادي

فلما سمعا ذلك أتيا السليك، طردوا الإبل وذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالإبل.
وفي رواية المفضل قال: زعموا أن السليك خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم وهو يريد الإغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع، والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد أنفرد من البيوت.
فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي أهل هذا البيت، فلعلي أن أصيب لكم خير، أو آتيكم بطعام؟
فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل، فإذا البيت بيت رويم، وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت.
فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن رجع ابن رويم بإبله، فلما أراحها غضب الشيخ، فقال لابنه: هلا عشيتها ساعة من الليل؟.
فقال له ابنه: إنها أبت العشاء!
فقال الشيخ: العاشية تهيج الآبية، ثم غضب الشيخ، ونفض ثوبه في وجه الإبل، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة، فرتعت، وجلس الشيخ بقرب الإبل لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد.

وتبعه السليك، فلما وجد الشيخ على حاله، هجم عليه من ورائه، فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر بذلك صاحباه، وقد تملكهم الخوف عليه، حتى إذا هم السليك بطرد الإبل وسرحت، تنبها ونهضا لمساعدته، فقال السليك في ذلك:

وعـاشيـة راحت بـطـانا ذعــرتـهـا	بـسـوط قـتيـل وسـطـهـا يتـسيف
كـأن علــيه لــون بـرد مـحـبـــر	إذا مـا أتـــاه صـارخ يـتـلـهـف
فـبـات لهـا أهــل خـلاء فـــنـاؤهـم	ومـرت بهـم طيـر فلـم يتـعيـفـوا
وبـاتوا يـظـنـون الـظنون وصحبـتـي	إذا ما علوا نشزا أهلوا وأوجفـوا
ومـا نـلتها حتـى تصعلـكـت حـقـبـة	وكـدت لأسبـاب المـنـية أعـرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني	إذا قمت تغشاني ظلال فـأسـدف

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة: خرج السليك في الشهر الحرام حتى وصل عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متفضلا مترجلا، فجعل يطوف بالناس؟
ويقول: من يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقيه قيس بن مكشوح المرادي! فقال:
أنا أصف لك منازل قومي، وصف لي منازل قومك، فتوافقا، وتعاهدا ألا يتكاذبا؟
فقال قيس بن المكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصبا، ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة؟ فإذا انقطعت المياه فسر أربعا حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخثعم!
فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة!

فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح:
ثكلتك أمك. هل تدري من لقيت؟
قال: لقيت رجلا فضلا كأنما خرج من أهله؟
فقال: هو والله السليك بن سعد!
فاستعلق واستعوى السليك قومه فخرج أحماس بني سعد وبني عبد شمس، وكان السليك في الربيع يعمد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز.
قال: فإذا غزا في الصيف مر به فاستثاره، فمر بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا: يا سليك أهلكتنا ويحك!

قال: قد بلغتم الماء، ما أقربكم منه! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه!
فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتم، وسمع ذلك، ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم، فهم السليك بقتل بعضهم، ثم أمسك.
فانصرفت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد؟ ومضى السليك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له " صرد " فلما رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السليك، حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلت ناقة صرد في جوف الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مراد وخثعم، فأسروه، ولحقه السليك فاقتتلوا قتالا شديدا.
وكان أول من لقيه قيس بن مكشوح، فأسره السليك بعد أن ضربه ضربة أشرفت على نفسه، وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أم الحارث بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ، واستنقذ صرد من أيدي خثعم، ثم انصرف بسرعة، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا، وقال السليك في ذلك:

بكى صرد لما رأى الحي أعرضت ... مهامه رمل دونهم وسهوب
وخوفه ريب الزمان وفقره ... بلاد عدو حاضر وجدوب
ونأي بعيد عن بلاد مقاعس ... وأن مخاريق الأمور تريب
سيكفيك فقد الحي لحم مغرض ... وماء قدور في الجفان مشوب
ألم تر أن الدهر لونان لونه ... وطوران بشر مرة وكذوب
فما خير من لا يرتجى خير أوبة ... ويخشى عليه مرية وحروب
رددت عليه نفسه فكأنما ... تلاقى عليه منسر وسروب
فما ذر قرن الشمس حتى أريته ... قصار المنايا والغبار يثوب
وضاربت عنه القوم حتى كأنما ... يصعد في آثارهم ويصوب
وقلت له خذ هجمة حميرية ... وأهلا ولا يبعد عليك شروب
وليلة جابان كررت عليهم ... على ساعة فيها الإياب حبيب
عشية كرت بالحرامي ناقة ... بحي هلا تدعى به فتجيب
فضاربت أولي الخيل حتى كأنما ... أميل عليها أيدع وصبيب

(الأيدع: دم الأخوين، والصبيب: الحناء).

قال أبو عبيدة: وبلغني أن السليك بن السلكة رأته طلائع جيش لبكر بن وائل، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد؟
فقالوا: إن علم السليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي، وطارداه سحابة يومه!

ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصر عن العدو، فنأخذه؟
فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالأرض
فقالا: ما له، أخزاه الله؟ ما أشده!
وهما بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاج قد بال فرغا في الأرض وخدها
فقالا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متنه! والله لا نتبعه أبدا، فانصرفا.
ونمى إلى قومه وأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فأنشأ يقول:

يكذبني العمران عمرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
لعمرك ما ساعيت من سعى عاجز ولا أنا بالواني ففيم أكذب
ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها كراديس يهديها إلى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وقومه فوارس همام متى يدع يركبوا
تفاقدتم هل أنكرن مغيرة مع الصبح يهديهن أشقر مغرب

(الحوفزان: بن شريك الشيباني. تفاقدتم: يدعو عليهم بالتفاقد).
وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.
وكان يقال للسليك سليك المقانب، وقد قال في ذلك فرار الأسدي: وكان قد وجد قوما يتحدثون إلى إمرأته، وهم من بني عمها، فعقرها بالسيف، فطلبه بنوعمها فهرب ولم يقدروا عليه، فقال في ذلك:

لزوار ليلى منكم آل برثن على الهول أمضي من سليك المقانب
يزورونها ولا أزور نساءهم ألهفى لأولد الإماء الحواطب

وقال أبو عبيدة: أغار السليك على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مساورته.
فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يتعلق به، فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب وثقل لم يستطع العدو، وظفرتم به، فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على إمرأة منهم يقال لها "فكيهة "، فاستجار بها، فمنعته، وجعلته تحت درعها، واخترطت السيف، وقامت دونه، فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها، وصاحت بإخوتها فجاءوا، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، فقال السليك في ذلك:

لعمر أبيك والأنباء تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أباها ولم ترفع لإخوتها شنارا
كأن مجامع الأرداف منها نقا درجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا

(" فكيهة "وهي واحدة من ثلاث نسوة يسمون بالوافيات وهم:
وكان الذي ذكر من وفاء فكيهة من قيس بن ثعلبة، استجار بها السليك ابن السلكة وخماعة بنت عوف الشيباني، استجار بها مروان بن زنباع بن جذيمة العبسي، بعد أن أغار على إبل عمرو بن هند وكان من الملوك في الجاهلية
و أم جميل من دوس رهط أبي هريرة من أهل السراة، وما حصل في حينها، قتل هشام بن المغيرة، أبا أزيهر الزهراني من الأزد، وكان صهر أبي سفيان بن حرب، فقام رجال من السراة ووثبوا على ضرار بن الخطاب ابن مرداس الفهري، فهرب منهم حتى دخل بيت أم جميل واستجار بها، فنادت قومها فمنعوه لها، إلى أن تولى الفاروق عمر الخلافة فظنت أم جميل أن ضرار بن الخطاب هو أخو الخليفة، فأتته المدينة، فلما انتسبت، وأعلمته بالخبر وعرف بالقصة، قال لها بأنه هناك إلتباس فهو ليس بأخيه، ثم أعطاها على أنها أبنة سبيل؟)

بالعودة إلى السليك، قال عنه " أبن قتيبة " بأنه التقى بالغول وجاورها، حيث قال:

وأدهم قد جبت جلبابه كما احتابت الكاعب الخيعلا
إلى أنسحدا الصبح اثناءه ومزق جلبابه الألــيلا
على شيم نــار تنورتها فبت لها مدبــرا مقبلا
فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتــا أنت ما أهولا
وطالبتها بعضها فالتوت بوجه تهول فاستهولا

جنحة وإلتباس حول هذه القصيدة، هنا أبن قتيبة بنسبها للسليك، والأصفهاني نسبها لتأبط شرا، السهو والغلط جائز في كل عمل، وجل من لا يخطىء، ومهما كان من خطاء في ذلك، فله حكم مخفف بل لا يتدعى الذكر دون سواه، بالأول من الأسباب هو قول القصيدة في عصر الجاهلية، حيث لم يكن هناك تدوين، ثم حصل اللغط لكثرة الرواة حين كتابة النسب لهذه القصيدة، وهناك جرائم ارتكبت وتغاضى الكثير عنها على سبيل التنويه فقط، الجريمة المرتكبة في أنساب إشخاص كبرت وصار لها دور فعال في المجتمع، وهي كثيرة فعلى سبيل المثال، ما ذكره الكاتب الكاتب المصرى أسامة أنور عكاشة:
- حمامة أم أبي سفيان وهي زوجة حرب ابن أمية بن عبد شمس وهي جدة معاوية كانت بغية، صاحبة راية في الجاهلية.
- سمية بنت المعطل النوبية، وهي من البغايا ذوات الأعلام وكانت أمة للحارث بن كلدة وتنسب أولادها ومنهم زياد مرة لزوجها عبيد بن ابي سرح الثقفي فيقال زياد بن عبيد ومرة يقال زياد ابن سمية ومرة زياد ابن ابيه، حتى استلحقه معاوية بأن احضر شهود على ان ابو سفيان قد واقع سمية وهي تحت عبيد بن ابي سرح وبعد تسعة اشهر ولدت صبيا اسموه

"زياد"، ولم يستلحقه معاوية حبا وكرامة ولكن لأن زياد بن أبيه كان عامل الامام علي (ع) على فارس والأهواز فاراد إستمالته.
- الزرقاء بنت وهب، وهي من البغايا وذوات الأعلام أيام الجاهلية وتلقب بالزرقاء لشدة سوادها المائل للزرقة وكانت أقل البغايا أجرة، ويعرف بنوها " بنو الزرقاء " وهي زوجة أبي العاص بن أمية، أم الحكم بن ابي العاص(طرده الرسول من المدينة)، و جدة مروان بن الحكم، حيث يقال أن الامام الحسين(ع) رد على رسول مروان بن الحكم قائلا " يابن الزرقاء الداعية الى نفسها بسوق عكاظ".
- أمنة بنت علقمة بن صفوان، أم مروان بن الحكم جدة عبد الملك بن مروان وكانت تمارس البغاء سرا مع ابي سفيان بن الحارث بن كلدة، وهذا مروان هو الذي أتوا به بعد ولادته الى رسول الله(ص) فقال الرسول " ابعدوه عني، هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون "
- النابغة سلمى بنت حرملة، وقد اشتهرت بالبغاء العلني ومن ذوات الأعلام وهي أم عمرو بن العاص بن وائل كانت أمة لعبد اللة بن جدعان فأعتقها فوقع عليها في يوم واحد أبو لهب بن عبد المطلب وامية بن خلف وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي، فولدت عمرو، فإدعاه كلهم، لكن سلمى الحقته بالعاص بن وائل لانه كان ينفق عليها الكثير.
- مرجانة بنت نوف وهي أمة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يصلها سفاحا العديد من الرجال من بينهم زياد ابن ابيه، فباعها عبد الرحمن وهي حامل من الزنا، فولدت عبدين هما عباد وعبيد الله ابنا مرجانة لا يعرف لهما أب، فاستدعاهما زياد واستلحقهما به، وبعد أن كان عبيد الله ابن زياد واليا على البصرة زمن معاوية ولاه يزيد الكوفة حيث قاتل الامام الحسين (ع)حفيد نبي الأمة، حيث خاطبه الإمام: بالدعي أبن الدعي.
وقيل للحسن البصري : يا أبا سعيد قتل الحسين بن علي، فبكى حتى اختلج جنباه، ثم قال:
(واذلاه لأمة قتل أبن دعيها أبن بنت نبيها).
واللائحة طويلة؟
هذا تاريخ، فواقع النعامة لامكان له فيه؟، وكل من تكلم به وعنه أتهم بالإلحاد والتكفير، الجريمة هي في التغاضي عنه، وتشويه الحقيقة، أما الجنحة تحت بند السهو والخطاء عند بني البشر، في نسب أبيات من الشعر، لايليق التعليق عليها، فلا خطورة منها على سير أمور المجتمع وتركيبته و سياسته؟.

وقال السكري: إلتقى السليك برجل من خثعم في أرض يقال لها " فخة "، بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل: مالك بن عمير بن أبي ذراع بن جشم بن عوف، ومعه إمرأة له من خفاجة يقال لها "النوار"، فقال له الخثعمي: أنا أفدي نفسي منك؟
فقال له السليك: ذلك لك، على ألا تخيس بي، ولا تطلع علي أحد من خثعم!

فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه، وخلف إمرأته رهينة معه، فنكحها السليك، وجعلت تقول: إحذر خثعم، فإني أخافهم عليك، فأنشأ يقول:

تحذرني كي أحذر العام خثعما وقد علمت أني امرؤ غير مسلم
وما خثعم إلا لئام أذلة إلى الذل والإسحاق تنمي وتنتمي

أبلغ ابن عمير بذلك شبل بن قلادة بن عمر بن سعد، وأنس بن مدرك الخثعميين، فخالفا إلى السليك، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل، فأنشأ يقول:

من مبلغ جذمي بأنني مقتول يا رب نهب قد حويت عثكول
ورب قرن قد تركت مجدول ورب زوج قد نكحت عطبول
ورب عان قد فككت مكبول ورب واد قد قطعت مسبول

قال أنس لشبل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت أكفني القوم أكفك الرجل؟.
قال: بل أكفيك القوم، فشد أنس على السليك فقتله، وقتل شبل وأصحابه من كان مع السليك.
وفي رواية أخرى: ان قاتل سليك بن السلكة، يسمى "أسد بن مدرك الخثعمي "؟
وقيل في رواية ثالثة: بأن قاتل السليك، هو " يزيد بن رويم الذهلي الشيباني "؟
صار السليك مضرب المثل، فقال فيه أبو تمام الشاعر (بعد ما يقارب 200سنة)

مفازة صدق لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سليك المقانب

و قال فيه أبن الرومي: (بعد ما يقارب 300 سنة)

شهر الصيام وإن عظمت حرمته شهر طويل بطيء السير والحركه
يمشي رويدا فأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا السلكه

و قال السليك في فرسه "النحام":

كأن قوائم النحام لما تحمل صحبتي أصلا محار
على قرماء عالية شواه كأن بياض غرته خمار
وما يدريك ما فقري إليه إذا ما القوم ولوا أو أغاروا

وللسيلك هذه الأبيات يصف صعلكته :

فلا تصلي بصعلوك نؤوم إذا أمسى يعد من العيال
ألا عتبت علي فصار متني وأعجبها ذؤو اللمم الطوال
ولكن كل صعلوك ضروب بنصل السيف هامات الرجال
فإني يأبنة الأقوام أربي على فعل الوضي من الرجال
أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرحال
يشق علي أن يلقين ضيما ويعجزعن تخلصهن مالي

*

هزئت إمرأة اسمها " أمامة" من السليك، يبدو أنها عيرته بنحالته وسواد لونه وفقم فمه فقال:

إن رأت لي رقة وفما به فقم وجلد أسود
أعطي إذا النفس الشعاع تطلعت مالي وأطعن والفرائص ترعد

أمه السلكه، ترثي السليك، بقصيدة من روائع الأدب العربي حيث تقول:

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك
ليت شعري ضلة أي شيء قتلك
أمريض لم تعد أم عدو ختلك
أم تولى بك ما غال في الدهر السلك
والمنايا رصد للفتى حيث سلك
أي شيء حسن لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك
طال ما قد نلت في غير كد أملك
إن أمرا فادحا عن جوابي شغلك
سأعزي النفس إذ لم تجب من سألك
ليت قلبي ساعة صبره عنك ملك
ليت نفسي قدمت للمنايا بدلك

"أبو الطمحان" القيني، هو "حنظلة بن الشرقي" من بني كنانة بن القين، وكان فاسق، وينزل بمكة على الزبير بن عبد المطلب، وكان ينزل عليه الخلعاء، وكان نديمه في الجاهلية.
أختلف فيه، فمنهم من قال إنه جاهلي، ومنهم من قال إنه أدرك الإسلام، وقد زعم بعضهم أنه عاش مائتي سنة، وأنه ندم على ما أقترفه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، والسرقة، ورووا عنه الشعر الذي تبرأ فيه من الذنوب.
ذكر أنه قيل له: ما أدنى ذنوبك؟
قال: ليلة الدير!
قيل له: وما ليلة الدير؟
قال: نزلت بديرانية، فأكلت عندها طفشيل بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها، ومضيت!
وكانت له ناقة يقال لها "المرقال"، وله إبل استقاها قوم نزلوا عليه ضيوف وشربوا من ألبانها ثم أخذوها معهم، فقال :

وإني لأرجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر

عمرو بن براقة بن منبه بن يزيد من بني نهم والبراقة هي أمه فيحدد الشروط ذاتها للصعلكة فيقول:

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميما تجتنبك المظالم

عمرو بن براقة يصف الصعلوك بداخله فيقول:

صموت إذا عض الكريهة لم يدع لها طمعا طوع اليمين مكارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا يا لهمذان ظالم

حاجز بن عوف الأزدي من قبيلة سلامان وهو أحد الصعاليك الفرسان ومن شعرائها فيصف صعلكته وفروسيته وسرعته في العدو فيقول:

فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجلها وقد كان يلقى الموت في حلقه الصقر

ويقول في سرعته التي يتفاخر بها، ومطاردة الفرسان له:

وكأنما تبع الفوارس أرنبا أو ظبي رابية خفافا أشعبا
وكأنما طردوا بذي نمراته صدعا من الأروى أحن مكلبا
أعجزت منهم والأكف تنالني ومضت حياضهم وآبوا خيبا

لقد ربطت الصحراء وقسوة المكان والزمان بين الصعاليك بروابط متينة فعاشوا أخوة رفقاء يغيرون معا ويعينون بعضهم بعضا وكأنهم فرسان لهم هدف واحد وهذا قدرهم، لقد عاش الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة وعمرو بن البراق معا على هذا النحو فجاءت حياتهم على الرغم من قساوتها تضج بالألفة والوفاء، وأجمل مثال على ذلك رثاء تأبط شرا للشنفرى بعد موته بما يكتنز في نفسه من الإعتداد بها من الوفاء و الفروسية والرجولة ورفقة الدرب حيث يقول:

على الشنفرى ساري الغمام ورائح ... غزير الكلى أو أصيب الماء باكر
عليك جزاء مثل يومك بالجبا ... وقد رعفت منك السيوف البواتر
تحاول دفع الموت فيهم كأنهم ... بشوكتك الحدى ضئين عوائر
وأجمل موت المرء إذ كان ميتا ... ولا بد يوما موته وهو صابر
إذا راع روع الموت راع وإن حمى ... حمى معه حر كريم مصابر

بزغ العهد الجديد، فأخذت الطبائع والعادات والأعراف الجاهلية بالتراجع التدريجي، حتى وصلت إلى مرحلة شبه إنعدام لربما شامل؟، وجاءت الشريعة والقانون العادل والقضاء والردع عن الموبقات المخزية، وكانت الحقبة الراشدة على نفس النمط والمنهاج، وبعدها عاد الظهور التدريجي، بسبب السياسات الحاكمة والإجحاف بالعدالة العامة، فظهرت الصعلكة بوجوه جديدة ولأسباب مختلفة عن الأسباب الإجتماعية في العصر الجاهلي.
التسمية لربما بقيت ولكن المفهوم لها قد تغير، بسبب تبدل طريقة الحكم والنظام، مما استتبع إختلاف المشاكل التي كانوا يعانون منها والغايات التي كانوا يسعون إليها.
فشعراء الصعاليك في نهاية العصر الأموي، لم يتوقفوا عند بالتنديد بالسياسة الإقتصادية لبني امية، فقد ثاروا عليها، ومالوا الى إستخلاص حقوقهم وتحقيق وجودهم بسيوفهم، ومن أشهرهم مالك بن الريب التميمي، وشظاظ الضبي، وابو حردبة التميمي، وغويث احد بني كعب بن مالك بن حنظلة، وجحدر بن مالك الحنظلي الذي كان بداخل السجن يثوب إلى رشده، فيستغفر ربه ويتضرع إليه، ويدعوه أن ينقذه مما يلاقيه من شدة وبلاء فيقول:

إني دعوتك يا إله محمد ... دعوى فأولها استغفار
لتجيرني من شر ما أنا خائف ... رب البرية ليس مثلك جار
تقضي ولا يقضى عليك وإنما ... ربي بعلمك تنزل الأقدار
كانت منازلنا التي كنا بها ... شتى وألف بيننا دوار
سجن يلاقي أهله من خوفه ... أزلا ويمنع منهم الزوار

وقول السمهري بن بشر العكلي يصف تعلقه بمنزله وزوجته التي تزوره في المنام وهو مقيد بالقيود القوية في رجليه ويصف كذلك خوفه من الموت، وأمله في أن يفلت منه:

ألا أيها البيت الذي انا هاجره فلا البيت منسي ولا أنـا زائـره
ألا طرقت ليلى وساقي رهينة بأشهـب مشـدود على مسـامـره
فإن أنج ياليلى فرب فتى نجـا وإن تكن الاخرى فشيء أُحاذره

و هذا عبيد بن ايوب، يتحدث عن توبته، بعد أن تقدمت به السن، ورجع عن الفتك والسفك وأخذ يتمنى على الله أن يغفر له، و يقول:

يارب عفوك عن ذي توبة وجل كأنه من حـذارالناس مجنـون
قد كـان قـدم أعـمالا مـقـــاربة أيـام ليـس لـه عقـل ولا ديـن

وكان لكل طبقة من الصعاليك في العصر الأموي مشكلة، كما كان لهم إنتماء و وجهة نظر ورأي فيها، فالصعاليك الفقراء كان الفقر هاجسهم الوحيد و قضيتهم التي تشغلهم، فسعوا إلى التغلب عليها بالإغتصاب والنهب، وفي ذلك يقول أبو النشناش التميمي أحد الصعاليك الفقراء الذين ظهروا في عهد مروان بن الحكم :

وسائـلة أيـن ارتـحالي وسـائـــل ومن يسأل الصعلوك أيـن مذاهبه
مـذاهبـــه أن الفجـــاج عـريضة إذا ضـن عنـه بـالـنـوال أقـــاربـه
لـيـدرك ثـارا او ليكسب مغنما ألا إن هـذا الهـر تترى عـجـائبـه
فعش معذرا أو مت كريما فإنني أرى الموت لايبقي على من يطالبه

وبجانب ذلك لم يعدل الأمويون في العطاء لفقراء القبائل، فالعطاء صار كالعادة عند ضعفائهم والمحتاجين إليه، وأن لهم فيه الحق المعلوم، فمن الناحية الإقتصادية لم تكن الأموال التي ترد إلى بيت المال في عهد بني أمية قليلة، بحيث لايتمكنون من الإنفاق منها على وجوه الخير وعلى صالح الجماعة، وما يعود على المحتاجين بالمنفعة، فقد كان يرد إلى بيت المال ملايين الدنانير من الصدقات والخراج والغنائم. .
غير أن بعض العمال والسعاة الذين كانوا يجمعون هذه الاموال أتهموا بالخيانة وبأستصفاء الاموال لأنفسهم، و اساؤا اساءة بالغة الى القبائل التي ناصبتهم العداء، ووقفت في الصفوف الثائرة عليهم، بفرضهم الضرائب الباهظة عليها، وإذا تأخر شيخ من شيوخ هذه القبائل في دفع ماكتب على قبيلته من المستحقات كان السعاة يضربونه الضرب المبرح، ومايزالون به حتى يدفع ما طلبوا منه .

وشكاوي شعراء القبائل من ظلم عمال الصدقات وعنفهم ظاهرة سجلها الشعراء الأمويين، ورفعوا بها القصائد الطويلة إلى الخلفاء والعمال.
بينما كان بنو أمية يغدقون الصدقات على أنصارهم، كي يظلوا أوفياء لهم، ومعاوية بن ابي سفيان هو اول من سن هذه السنن للخلفاء الأمويين، وكان التمييز عنده بين اليمانين والعدنانين واضح للعلن، إن كان في العطاء أو جمع الصدقات؟
والصعاليك لم يكونوا بعيدين عن هذه المظالم، بل كانوا واعين لها، ساخطين على الأمويين بسببها .
ولعل أشهر صعلوك أموي ندد بسياسة الأمويين المالية الجائرة هو مالك بن الريب المازني التميمي (الذي وصفه ابن قتيبة بأنه: فاتك لص يقطع الطريق) اذ يقول

أحقا على السلطان أما الذي له فيعطى وأما ما عليه فيمنع
وما أنا كالعير المقيم لأهله على القيد في بحبوحة الضيم يرتع

ونجد لهؤلاء الصعاليك الجدد، من المعاني الجديدة في قصائد ومقطوعات الحنين إلى الأهل ومرابع الطفولة، وأيام الهدوء والإستقرار، وأخرى في مدح الأمراء، والولاة، والعمال، وإستعطافهم في العفو عنهم، وإخراجهم من سجونهم إلى نور الحرية والحياة؟

وما هو ملفت للنظر في العصر الأموي، التسمية " الصعلوك "، كانت تطلق على كل شاعر معارض، مهما كانت مقدرته الشعرية، وكانت بداية تحوير المفهوم فيما كان عليه بالجاهلية، من عهد مروان بن الحكم، وطيلة الحكم الأموي المرواني؟

الصعاليك كانوا عاهات المجتمع، ولهم القليل من المبررات التخفيفية، ومنها الحاجة والعادات والتقاليد السائدة في الجاهلية، وبعدها في فترة تزعزع الدولة الأموية.

وقفة حول الزندقة

نعت زنديق، لم يذكر في القرآن الكريم ولا في أحاديث سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، (والله أعلم)
فاسق، كافر، منافق، خائن، زبانية، مرتد، زاني، زانية، ماجن، ظالم، جاهل، مغرور، آفك، آثم، معتد، أثيم، فاجر، ولكل نعت مواصفات ولكل منها عقاب، في الدنيا وفي الآخرة، وحتى في فترة ما قبل القرآن والتنزيل، لربما كان من النادر توصيف تلك الصفة، ومن ثم فجاءة ظهرت صفة "الزنديق" وكثرت مناسبات إستعمالها، وكثرت أعداد المؤرخين الذين كانوا يطلقونها، (لاتعميم على الجميع)، ولكن تلك الصفة كانت من مستوجبات إبداء الرأي في رجل كان له دور معين في ظروف معينة، ولقد كان للشعراء وللوزراء النصيب الأكبر في نعتهم بتلك الصفة، التي كانت أشبه بمحط كلام، عند الكثيرين من المغالاة في الدفاع عن مذهب أو عقيدة ومن جميع الأطراف والمشارب، (وبالطبع التعميم ليس بوارد)، فعلى سبيل المثال وليس الحصر، كان أبن كثير من المشاهير الذين صنفوا بعض الناس بتلك الصفة النعت، وكانت تسبق ذكر دور المنعوت، وأسباب استحقاقه لها، وكذلك عند بعض مغالاة الشيعة، ولكن تلك الصفة النعت لم يحظى بها خليفة أو ابن خليفة، كانت أفعاله وأعماله تفوق نعت الزندقة، استرعت إهتمامي تلك الصفة وتوارد ذكرها والمناسبات التي ذكرت فيها، فالوزير العلقمي كان ينعت بالزنديق عند بعض المؤرخين، وكذلك العديد من الشعراء الذين كان لهم إنتماء لمذهب أو منشاء، ولذا رحت أبحث عن مصدر النعت والصفة فوجدت ضالتي:
الزندقة أو الهرطقة عبارة عن مصطلح عام يطلق على حالات عديدة، يعتقد أنها أطلقت لأول مرة من قبل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانوية أو الوثنية والدجالين ومدعو النبوة والذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم وهما النور والظلام ولكن المصطلح بدأ يطلق تدريجيا على الملحدين وأصحاب البدع ويطلق بعضهم على كل من يعيش حياة المجون من الشعراء والكتاب وإستعمل البعض تسمية "زنديق" لكل من خالف مبادئ الإسلام الأساسية.
نعت حركة من الحركات الإجتماعية التي مرت في تاريخ الأمة حتى يومنا هذا، ويطفح كتاب الأصفهاني" الأغاني" وكتاب "مروج الذهب" للمسعودي، بلوائح أسماء "زناديق" رنانة، ترجع إلى بدايات العهد الأموي و طيلة العهد العباسي؟
وفي تعريف " الزندقة " قيل أن أصل الكلمة فارسي (زندة كرد)، وتعني الإمعان بالكفر و الإلحاد، ويختلف نعت الزندقة عن صفة المنافق بحسب تعريف مغزى الكلمة، المنافق صفة لمن يستتر بكفره بداخله ولا يظهره للعلن.

وفي كتاب "الفهرست" لابن النديم حيث ورد: إن من أنواع الزنادقة، طائفة المانويون الذين كانوا يؤمنون بالمانوية، وطائفة المتكلمين ويقصد بهم المشككين الذين كانوا يخوضون المناقشات الدينية ومنهم صالح بن عبد القدوس وأبو عيسى الوراق ونعمان بن أبي العوجا وطائفة من الشعراء، ومنهم بشار بن برد.
ولبشار بن برد قصيدة مشهورة يجعل من الزندقة تتقارب من الزرادشتية فيقول فيها:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبينوا يا معشر الفجـــار
النـارعنصره وآدم طينـــة والطين لا يسمو سمو النار

وله قصيدة أخرى وفيها يظهر الزندقة مطابقة للنفاق ويقول فيها:

وإنني في الصلاة أحضـرها ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا
أقعـد في الصـلاة إذا ركعـوا وارفـع الرأس إن هـم سجـدوا
ولـسـت أدري إذا إمـامـهـــم سلـم كـــم كـــان ذلك الـعـدد

ففي بغداد وحلب ومكة والبصرة والكوفة، كان فيهم وفي غيرهم من المدن الكبيرة، الكثير ممن كانت تهمة الزندقة تلتصق، ولم تكان تلك التهمة مقتصرة على من ترك الفرائض الإسلامية مثل الصوم والصلاة والحج أو الإدعاء بانه يستطيع ان يكتب أحسن من نصوص القرآن الكريم المنزل؟
لربما وضحت الصورة عندي، بأن الزندقة صفة نعت مركبة ذات أبعاد مختلفة منافية للدين والأخلاق، تجمعت تلك النعوت في شخص واحد لما فيه من الصفات البذيئة " زنديق"؟.
وفي جولة حول الزنادقة والتعرف عليهم، فوجدت من كانت التسمية تليق به وعن جدارة، ووجدت من كان نعته بالزنديق إفتراء وتهمة بلا بينة، ولم تكن سيرته تسير في منحى من مناحي التسمية المركبة "الزندقة"، وكانت التهمة في كثير من الحالات، تأتي من أبواق سؤ مذهبية همها الفتنة بإيعاز من حاكم أو والي، لأسباب سياسية مذهبية، فتطلق تلك التهمة على من يراد تصفيته الجسدية بهدر دمه، وذلك بإصدار فتوى من زبانية السيطرة والتسلط، و قضي الأمر فلقد صدر الحكم، وتلك أمور كانت تأتي من هنا وهناك، ومن حيث تواجدت مصلحة شخصية ومنفعة فردية، أو إستباق وتحسب لتحرك ما؟.
ففي "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الاصفهاني ذكر مايلي:
(بدأت حملة الخليفة ابو عبدالله محمد المهدي على الزنادقة فألقي القبض على معظمهم وأمر الخليفة الذي كان حينئذ في دابق بقتل بعظهم وتمزيق كتبهم وتم تخصيص قضاة لهذا الغرض، وكان القضاة في العادة يطالبونهم بترك الزندقة أو القتل؟)

وقال الطبري: إن تهمة الزندقة إستخدمت ايضا لتصفية الخصوم السياسين وخاصة من الهاشميين، ويورد الطبري قصة يعقوب بن الفضل الذي سجن بتهمة الزندقة.
في عهد الرشيد حيث ظهر البرامكة وكانوا من معاونيه، فاندمجوا في الحياة السياسية الى درجة انهم كانوا ينافسون الرشيد في العلاقات مع الناس فزاد نفوذهم مما حمل الرشيد على قتل البرامكة جميعهم فيما يعرف بـ (نكبة البرامكة) للتخلص منهم و من منافساتهم تحت حجة " الزندقة".
وبسبب التمييزالشعوبي الذي كان يسري في كواليس حكام الدولة، قامت ثورات الزنج والقرامطة وغيرها من الثورات التي أضعفت الدولة العباسية وخاصة في النزاع بين الأخوين الأمين و المأمون الذي كانت امه فارسية، والأمين العربي الأصل.
وامتدت صفة الزندقة الى كافة الخصوم السياسيين فالمعتصم قتل قائده (الأفشين) بعد محاكمة اثبتوا فيها عليه الزندقة بسبب خلاف في الرأي؟.
ولا ينبغي أن ننسى وصية المهدي لابنه الهادي، وتوصيته الشهيرة بإتهام الخصوم بتهمة (نكاح الاخوات والبنات والإغتسال بـالبول). وهي تهم واهية بالإضافة إلى الأدوار التي قام بها الغلاة في الدين ومنهم الإمام الغزالي في كتابه (تهافت الفلسفة)، أعلن الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة، وفشل الفلسفة في إيجاد جواب لطبيعة الخالق وصرح إن الفلسفة يجب أن تبقى مواضيع إهتماماتها في المسائل القابلة للقياس والملاحظة مثل الطب والرياضيات والفلك وأعتبر الغزالي محاولة الفلاسفة في إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان هو منافي لمفهوم الفلسفة من الأساس، في مقولته الشهيرة (من تمنطق فقد تزندق).
ولكن جهابذة من تليق بهم التسمية المركبة، كانوا بين الناس ينشرون أفكارهم ويتمادون في فلسفتها، وكما يقال " على عينك يا تاجر " من هنا وهناك سيان من أين جاءت التغطية والمواكبة والدعم الخفي!
ومن أشهرهم كان " أبو الحسن بن يحيى بن إسحاق الراوندي، فمن بعد كتابته وتأليفه لكتاب "الإبتداء والإعادة" و كتاب "الأسماء والأحكام" اللذان كانا يمثلان فترة الإيمان الإسلامي العميق، ولكنه سرعان ما ذهب بعدها في التشكيك، في عقيدة التوحيد وفي يوم المعاد وفي العدل وصفات الله والإنتقادات الموجهة إلى الشريعة الإسلامية والفرائض وإنكار وجود الله وأزلية العالم، فقام "ابن الراوندي" بتأليف كتاب "التاج" وكتاب "عبث الحكمة" الذي طعن فيه على مذهب التوحيد وتحدث عن الوثنية، وكتاب "الدامق" الذي عارض فيه القرآن، وكتاب "الفرند" الذي انتقد فيه بعث الرسل ورسالة الأنبياء، وكتاب "الطبايع" وكتاب "الزمرد" وكتاب "الإمامة" وغيرها من هرطقات الأفكار الهدامة للعقيدة والمنهاج و زرع الخلافات بين فلسفات المذاهب، والتمركز وراء هراء الفتنة، فكان " إبن الراوندي " يقول:

" ليس بواجب على الله أن يرسل الرسل أو يبعث أحد من خلقه ليكون نبيه ويرشد الناس إلى الصواب والرشد، لأن في قدرة الله وعلمه أن يجعل الإنسان يرقى ويمضي إلى رشده وصلاحه بطبعه؟.

إن تصورات الإنسان عن الخالق والمبدأ، محاطة بالأوهام والأساطير، لأن فكر الإنسان يعجز عن إدراك الخالق أو معرفة أوصافه؟.

أن سر الموت لا سبيل إلى معرفته، فالإنسان منذ ما خلق وهو يبحث عن سر الموت لكي يحول دون وقوعه، فأخفق حتى الآن في هذا السعي، وقد لا يوفق في الإهتداء إلى سره إلى الأبد والناس جميعهم لا يعلمون كيف يموتون، ولو جرب الإنسان الموت ما أدركه أو عرفه حق المعرفة، وإن معاينة موت الآخرين لا تعلم الإنسان بشيئ عن أسرار الموت!.
فالإنسان عاجزعن إقناع نفسه بأنه سيموت، وبأنه سينعدم من هذا الوجود، فلدى الإنسان شعور بأنه لن يموت، وأنه حين يثوي في قبره سيعيش ويبقى، وإن يكن ذلك بطريقة أخرى وبنشأة تختلف عما كان عليه في هذه الدنيا "

ومن مشاهير ضحية تهمة الزندقة الملفقة، كان سيدنا المسيح عيسى بن مريم "روح الله"، قبل تواجد التسمية وقبل أن يغسل بيلاطس يديه ويقول: اللهم إني بريئ من دم هذا الصديق؟
وبعد شياع نعت الزندقة، وقع خطبها على عبد الله بن المقفع، حيث يعتقد البعض إن تهمة الزندقة وجهت إليه كجزء من الخلافات السياسية داخل الأسرة العباسية، ولكن البعض الآخر يرى في بعض من كتاباته وبالأخص في باب برزويه من كتاب "كليلة ودمنة" مؤشرات على الإلحاد حيث يقول "وجدت الأديان والملل الكثيرة من أقوام ورثوها عن آبائهم وآخرين مكرهين عليها وآخرون يبتغون بها الدنيا ومنزلتها، فرأيت أن اواظب علماء كل ملة، لعلي اعرف بذلك الحق من الباطل ففعلت ذلك، وسألت ونظرت فلم أجد من أولئك احدا إلا يزيد في مدح دينه وذم دين من خالفه ولم أجد عند أحد منهم العدل والصدق، بما يعرفه ذو العقل ويرضى بها"، وبعد بن المقفع جاء نصيب الحلاج، وما أدراك ما الحلاج؟
وفي عصرنا الحالي، حدث ولا حرج بكثرة الفتاوي من هنا وهناك، حول أناس كتبوا وقالوا في تاريخ الغابرين بما لايروق لأصحاب السلطة والسيطرة، والأمثلة عن ذلك كثيرة؟.

بـشـــــار بن بـــــرد

ولقد قيل منذ القدم " كل ذي عاهة جبار؟ " ، والجبروت لايكون بقوة الظلم دون سواه، بل له مظاهر كثيرة، ومنها الإبداع وابتداع وسيلة التمركز في مجتمع كان يسخر من ذوي العاهات؟

بشار بن برد العقيلي، أبو معاذ، وقيل له العقيلي نسبه لإمرأة من بني عقيل أعتقته، شاعر مطبوع تميزعن غيره، وهو من المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، كان معدوم البصر "ضرير"، دميم الخلقة، طويل القامة، ضخم الجسم.

ولد في نهاية القرن الأول الهجري، (96 هـ)، عند بني عقيل في بادية البصرة وأصله من فارس (من أقليم طخارستان).

عاصر في مطلع شبابه موقف الدولة الأموية وتعصبها للعرب على حساب العجم، وكان بشار من أحفاد الفرس (آبائه وأجداده).

ذكر الأصمعي له ستة وعشرين من الأحساب والأجداد من بلاد الفرس (العجم)؟

كان بشار مولى لبني عقيل من ناحية أبيه أو من ناحية أمه أو من الناحيتين، طبقا لروايات متعددة.

وكان بشار قد ولد أعمى، وإن كان قد رضي بهذه العاهة بعد أن خبر الدنيا فقال:

" انها تحجب عني رؤية ما أكره " مما يدل على أن من كان يكرههم يفوقون بكثير ممن كان يرغب إليهم من أهل عصره.

تربى بشار في حجور النساء العربيات من بنى عقيل، فيكون هذا الإمتزاج وسيلته للأفتخار بأنه فارسي الأصل ولسانه العربي الذي لايعرف العجمة، فكان يفخر بذلك ويقول:

نشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمه من الخطأ وإن دخلت إلى نسائهم، فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتى الخطأ؟.

فطن ذو حنكة، ذكي وسريع البديهة، قال الشعر وهو صغير، فبداء بهجاء من يزدريه ويسخر منه، وبشار لايراه ولا يعرف وجهه، ولكنه ملم بأمور من سيهجيه، فضاقت الناس منه، وراحوا يشكونه لوالده، فكان بشار يلقى العقاب والضرب، مما دفعه بالقول لأبيه:

(يا أبت إن الذي يشكوه الناس منى إليك هو قولي الشعر، فبه أدفع عن نفسي سخريتهم بالهجاء، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلى، فإن شكونى إليك، فقل لهم أليس الله يقول: " ليس على الاعمى حرج "؟).

عـميت جنينا والذكـاء مـن العمـى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغـاض ضياء العين للعـلم رافـدا لقلب إذا ماضيع الناس حصـلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

كان بشار يسخر في هجائه من عصره، لينتقم، لنفسه ولبني جنسه الأعاجم المحتقرين، في عهد بني امية، فأساء بشار فهم الحرية والعصرالجديد، بعد القضاء على الدولة الأموية، ويبدو أن عاهته وقبحه كانت كلها وراء هذه الجرأة في إلتهام الحياة والإقبال عليها والتنعم بها غير مبالي بشيء وكأن حياته كلها ليست الا الرد المتمادي في القسوة على الرزايا التي وجد نفسه بداخلها؟، وراح يزداد في الأستخفاف بكثير من الأعراف والتقاليد، بنهم وإقبال على المتعة بصورها المتعددة: الخمر والنساء والغناء، والمجون.
عرف بشار بن برد أن الإقبال على الحياة يكلف المرء المال الكثير، فأصبح شعره يتردد بين عدة أغراض منها:
الغزل: وهو يعبر عن فتنته الحسية بالنساء خلال مخالطة وخبرة، فقد كان يستقبل النساء الراغبات في سماع شعره أو المغنيات اللواتي حفظن هذا الشعر ليتغنين به.
والغرض الثاني هو المديح: فأنه الوسيلة التي يمكن أن تدر عليه المال الذي يحتاجه لينفقه في ملذاته، ولذا كانت المبالغة في مدائحه، لإغراء الممدوح ليسخي عليه بالعطاء.
والغرض الثالث هو الهجاء: وكان بشار شديد الوطأة في هجائه خاصة على هؤلاء الذين يمتنعون عن عطائه؟.
وروي بأنه كان غزير الإنتاج، حتي قيل بأن قصائده فاقت العشرة ألآف قصيدة، (لربما كانت المبالغة الهائلة بذلك، تفوق الحقيقة)، يعلل البعض ممن يرون أن ما وصل ذكره في مدونات التاريخ، أقل بكثير مما قاله بشار، لأن الرقابة الدينية والسياسية والإجتماعية في عصره قد حذفت الكثير من شعره بعد وفاته و معظمه (خاصة) في الغزل والهجاء؟.
في كتاب " جواهر الأدب " للسيد أحمد الهاشمي قال: " أن بشار بن برد هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معطاة البديع، وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين، وفتق المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة، حتى كان شعره كبرزخ بين الشعر القديم والشعر الحديث، وكجسر عبر الشعر عليه من مرابع البداوة إلى مقصورات الحضارة؟."
السيد الجليل أحمد الهاشمي، وقع إختياره على قصائد من شعر بشار بن برد، وبقي بذلك بإستكفاء عن غيرها، لحرصه الشديد، لشعار " ناقل البذاءة مساهم فيها "؟

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مفارق ذنب مرة ومجانبه
إذغ أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

*

خليلي إن المال ليس بنافع إذا لم ينل منه أخ أو صديق
وكنت إذا ضاقت علي محلة تيممت أخرى ما علي مضيق
وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى أو في المحامد سوق
وما ضاق فضل الله من متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق

*

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغيل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوما فإن الحر ليس بنائم

عاش بشار في عصر كان فيه، جرير والفرزدق، وكان من المعجبين بجرير حتى أن أحد أشعاره تضمنت بعض الأبيات من شعر جرير ونذكره فيما يلي:

وذات دل كأن البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا
ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
قلت احسنت يا سؤلي ويا املي فاسمعيني جزاك الله احسانا
يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قالت فهلا فدتك النفس احسن من هذا لمن كان صب القلب حيرانا
يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين احيانا
فقلت احسنت انت الشمس طالعة اضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
فاسمعيني صوتا مطربا هزجا يزيد صبا محبا فيك اشجانا
يا ليتني كنت تفاحا مفلجة او كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحي فأعجبها ونحن في خلوة مثلت انسانا
فحركت عودها ثم انثنت طربا تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
اصبحت اطوع خلق الله كلهم لاكثر الخلق لي في الحب عصيانا
قلت اطربينا يا زين مجلسنا فهات إنك بالإحسان أولانا
لو كنت اعلم أن الحب يقتلني اعددت لي قبل ان القاك اكفانا
فغنت الشرب صوتا مؤنقا رملا يذكي السرور ويبكي العين الوانا
لا يقتل الله من دامت مودته والله يقتل اهل الغدر احيانا

وبالنظر للبيت الثاني نجده قد تردد في أحد قصائد جرير والتي قال فيها:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

عشق بشار بن برد إمرأة يقال لها عبدة يقول فيها:

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب

ومما قاله بشار في عشقه لعبدة وهي إحدى الجواري التي ولع بها:

أعبدة قد غلبت على فؤادي بدلك فارجعي بعض الفؤاد
جمعت القلب عندك أم عمرو وكان مطرحا في كل واد
إذا نادى المنادي باسم أُخرى على اسمك راعني ذاك المنادي
كما أفسدتني عرضا فهاتي صلاحي قد قدرت على فسادي
ملكت فأحسني وتخلصيني من البلوى بحبك والبعاد
فإني منك يا بصري وسمعي ومن قلبي حميتك في جهاد

*

يشكو ألم الوجد وشجن الصبابة وأرق العشاق فيقول بشار:

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم

من أشعاره، التي حاولت قدر المستطاع تجنب ما ينافى فيها الحشمة والأخلاق العامة؟

ذهب الدهر بسمط وبرا وجرى دمعي سحا في الردا
وتأييت ليوم لاحق ومضى في الموت إخوان الصفا
ففؤادي كجناحي طائر من غد لا بد من مرالقضا
ومن القوم إذا ناسمتهم ملك في الأخذ عبد في العطا
يسأل الناس ولا يعطيهم همه هات ولم يشعر بها
وأخ ذي نيقة يسألني عن خليطي وليسا بسوا
قلت خنزير وكلب حارس ذاك كالناس وهذا ذو ندا
فخذ الكلب على ما عنده يرعب اللص ويقعي بالفنا
قل من طاب له آباؤه وعلى أُماته حسن الثنا

*

يا خاتم الملك يا سمعي ويا بصري زوري ابن عمك أو طيبي له يزر
حتى متى لا نرى شيئا نسر به قَد طال هجرك ما نهوى ومنتظري
إن كان قلبك بعدي صار من حجر فأيقني أن قلبي ليس من حجر
لا أستطيع احتمال الحب مهتجرا قد كنت أضعف منه غير مهتجر
زيدي على نظرة وعد أعيش به لايشتفي الهائم الحران بالنظر
يخشى عليك أناس في زيارتنا طعن الوشاة وهل يخشى على القمر

التنبيه والتحذير، ويبقى الغزل والهجاء، والمكتوب يقراء من فحواه؟

نـأت سلمـى وشـط بهـا التنائـي وقـامـت دونـهـا حكـم وحـاء
واقـعـدنـي عـن الغـر الغـواني وقـد نـاديـت لـو سـمـع الـنـداء
وصيـة من أراه علـي ربـا وعـهـد لا ينـام بـه الـوفـاء
هـجـرت الآنـسـات وهـن عندي كـمـاء العيـن فـقـدهـمـا سـواء
وقـد عـرضـن لـي والله دونـي أعـوذ بـه إذا عـرض الـبـلاء
ولولا الـقـائـم الـمـهـدي فـيـنـا حـلـبـت لـهـن ما وسـع الإنـاء
ويـوما بالـجـديد وفـيـت عـهـدا ولـيـس لـعـهـد جـاريـة بـقـاء
فـقـل للـغـانـيـات يـقـرن إنـي وقـرت وحـان مـن غـزلي انتهاء
نـهـاني مـالك الأمـلاك عـنـهـا فـثـاب الحـلـم وانـقـطـع العنـاء
وكـم مـن هـاجـر لـفـتـاة قـوم وبـيـنـهـمـا إذا الـتـقـيـا صـفـاء
وغضات الشباب من العذارى عـلـيـهـن الـسـمـوط لـهـا إبـاء
إذا نـبـح الـعـدى فـلـهـن ودي وتـربـيـتـي وللـكـلـب الـعـواء
لـهـوت بـهـن إذ مـلـقـي أنـيـق يـصـرن لـه وإذ نـسـمـي شـفـاء
وأطـبـق حـبـهـن عـلـى فـؤادي كما انطبقت على الأرض السماء
فلما أن دعيت أصبت رشدي واسـفـرعـنـي الـداء الـعـيـاء
على الغـزلى سـلام الله مـنـي وإن صـنـع الخـلـيـفـة ما يـشـاء
فهذا حـيـن تـبـت من الجواري ومـن راح بـه مـسـك ومـاء
وإن أك قد صحوت فرب يـوم يهـز الكـأس رأسـي والـغـنـاء
أروح على المعـازف أربـخـيا وتـسـقـيـنـي بـريـقـتـهـا الـنـسـاء
وما فـارقت مـن سـرف ولكن طـغـى طـربـي ومال بي الـفـتـاء
أوان يـقـول مـسـلـمة بـن قـيس ولـيـس لـسـيـد الـنـوكـى دواء
رويدك عن قصاف عليك عين وللمـتـكـلـف الـصـلـف الـعـفـاء
فـلا لاقـى مـنـاعـمه ابـن قـيس يـعـزيـنـي وقـد غـلـب الـعـزاء

*

أبا خـالد دعـني وزنجي خـالد وقـل فـي فتى ما قص أكرا ولا سـدا
تبارك من ألقيت وجهي لوجهه ومـن خلـق الخنزير والكلب والـقردا
فـشتان بين العامري ابن واقـد وبـيـن ابـنـة الـزيـدي إذ كـامها عفدا
دعـا حـرها ودا لـهـا ولـقومها ولـم يـدع رب الـعـامـري لـنـا ودا
سأتـرك إبراهيم إذ خبت اسـتـه ولا خيـر فـي المستوه حرا ولا عبـدا
لحى الله إبراهيم في ذي قرابـة ومن صاحب ما أضعف العقل والعقدا
فـرحت بخصييه لقـومي وليتـه أتـانـا خصيا مـن حـر مـجـه وغـدا

يا "طيب" سيان عندي أنت والطيب كلاكما طيب الأنفاس محبوب
لو قد لقيتك خلف العين خالية أصلحت مني الذي لا يصلح الطيب
لو كنت غير فتاة كنت لؤلؤة غالى بها ملك بالتاج معصوب
يا "طيب" جودي بنيل منك نأمله وأطمعينا فما في مطمع حوب
لله "طيبة " لا تبقي على رجل بقلبه هاجس كالنار مشبوب
أساور الهم تحت الليل مجتنحا قد شفني قمر في الستر محجوب
يغشاني الموت من وجد بها ديما والشوق تأخذني منه أهاضيب
للقلب راع إليها لا يفارقه وفي الضمير من الب الأَعاجيب
لهفان قد يشتهي روحا يعيش به بادي الصبابة والهجران تعذيب

*

ألا قل لتلك المالكية أصحبي وإلا فمنينا لقاءك واكذبي
عدينا فإن النفس تخدع بالمنى وقلب الفتى كالطائر المتقلب
وقد تأمني من لا يزال مباعدا على قرب من يدنو بسهل ومرحب
فأنك لو تجفوك أم قريبة تجافيت عنها للبعيد المقرب
إذا يئست نفس امرىء من قرينة تبدل أخرى مركبا بعد مركب
فلا تمسكيني بالهوان فإنني عن الهون ظعان لقصد الملحب
حبست عليك النفس حولين لا أرى نوالا ولا وعدا بنيل معقب
وماكنت لو شمرت أول ظاعن برحلي عن جدب إلى غير مجدب
ولكنني أغضي جفونا على القذا وأحفظ ما حملتني في المغيب
وأنت بما قربتني واصطفيتني خلاء وقد باعدتني بعد مذنب
كقائلة إن الحمار فنحه عن القت أهل السمسم المتهذب
وما الحب إلا صبوة ثم دنوة إذا لم يكن كان الهوى روغ ثعلب

*

أما في كربح ونوى لقاط وأبعار تجمعها عزاء
تشاغل آكل التمر انتجاعا وتكدي حين يسمعك الرعاء
وعندي من أبيك الوغد علم ومن أم بها جمح الفتاء
أبوك إذا غدا خِنزير وحش وأمك كلبة فيها بذاء
فما يأتيك من هذا وهذا إذا اجتمعا وضمهما الفضاء
ألا إن اللئيم أبا قديما وأمات إذا ذكر النساء
نتيج بين خنزير وكلب يرى أن الكمار له شفاء
أفرخ الزنج كيف نطقت باسمي وأنت مخنث فيك التواء
وقد قامت على أم وأخت شهود حين لقاها الزناء

*

كثرالحمير وقد أرى في صحبتي منهن أقمـــر منعجا بالـراكب
يعدو فيضرط من نشاط عارم سبعيـن أو مـائة حساب الحاسب
وإذا تمترغ عـد ألفـا كـاملا يدع المراغة مثل أمـس الذاهب
أشـر ببطنـتـه يـرامح من دنا ضخم المقد شديد شغب الشاغب
يلقاك إن لقي اللجـام بسحرة يكفيك من حزم الأجير الحاطب
إن قام يسرجه الغلام زجرته لـزيـادة منـه وحـق واجـب
خليت مركبه ورحت لحاجتي مشيا يكلفني لغوب اللاغب
وأرى الصحابة شيعتين فمنهما أنـس وبعضهم غبورة حـالب
ولقد مشيت عن الحمار تكرما والمشي أكرم من ركوب الصاحب

*

قل للأمين جزاك الله صالحـــة لا يجمع الله بيـن السخل والذيب
السخـل يعلم أن الذئب آكلـــه والذيب يعلم ما في السخل من طيب

*

لم يـدرما قلت "مسعود" فضيعه يا سوأتا من طلابى جود "مسعود"
وقائـل كيف " مسعود" فقلت له هو الجـواد ولكن فاسق الجـود
غيث الزوانـي إذا أمسى بعقوته وآفـة المال بيـن الـزق والعود

*

أظـن سعيدا كـائنا لـصديقـه كداحس عبس أو كبكر ثمود
وما ابن زريق مقصر دون ضربة على أنفه من ضامـن لمـزيد
أمـن حمـل عنـد ابن نهيا أكلتـه من آل المثنى أو من آل يـزيد
تحـوط ابن نهيا يا سـعيد كـأنمـا تحـوط امـرأ قد ن؟ك أم سعيد

*

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبدا بالبخل معهـود
إن الكريم لتخفى عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجـهود
وللبخيـل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ما سد فقرا فهو محمود
أبا حامد إن كنت تزني فأبعد وبك حرا ولت بـه أم عجرد
حرا كان للعزاب سهلا ولم يكن أبيا على ذي الزوجة المتودد
أصيب زنـاة القوم لما توجهت بـه أم حماد إلى مضجع الردي
لقد كان للأَدنى وللجار والعدا وللقاصـد المعتـل والمتـردد

أتــفخــر بـعــد بني قـشير وأنت مخنث فيك اعـوجـاج
تعادي في الصباح عمود فرو كما تعدو على القدر الدجاج

*

أبا مســلم مـا غيــر الله نعمة على عبده حتى يغيــرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

*

أسبويـه يابن الفارسيـة ما الذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ
أظلت تغني سادرا في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتــأخذ

*

ألا إن أبـــا زيـــد زنى فـي ليـلة القـــدر
ولم يرع تعالى اللــ ــه ربي حرمة الشهـر

*

ماذا عليهم وما لهم خرسوا لو أنهم في عيوبهِم نظروا
أعشق وحدي ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الخزر

*

فـأبلـغ بني زيد وقــل لسراتـهــم وإن لـم يـكـن فيهم سـراة تـوقـــر
لأمكــم الـويـلات إن قـصـائـــدي صــواعـق منهـا منجـد ومـغـــور
أجــدهـم لا يتـقـون دنيـــــة ولايـؤثـرون الـخير والخير يؤثــر
يلفون أولاد الـزنـى في عـدادهـم فـعـدتهــم مـن عـدة الناس أكـثـــر
إذ ما رأوا مـن دأبـه مثـل دأبهـــم أطـافـوا بـه والـغـي للغـي أصـــور
ولـو فـارقـوا ما فيهم مـن دعـارة لما عـرفـتهـم أُمهـم حيـن تنـظـــر
لـقـد فخــروا بالملحـقيـن عشيـــة فقلت افخروا إن كان في اللؤم مفخر
يـريدون مسعـاتـي ودون لقـائهـا قـنـاديـل أبـواب السمـاوات تـزهــر
فقل في بني زيـد كما قال معرب قـواريـر حجـام غـدا تـتـكســـر

*

ما أوردته كتب الأدب العربي، ومن بعض تلك الروايات مما ورد في كتاب الأغاني، والتذكرة الحمدونية،
قيل: كان بشار بن برد في مجلس دارة المهدي، والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي، وهو الـمعلي بن طريف، لمن حضر:
ما عندكم في قول الله عز وجل: "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا" "
فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس؟

قال: هيهات يا أبا معاذ، النحل بنو هاشم وقوله:
"يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" والله أعلم "يعني العلم"!
فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعتنا غثاثة!
فغضب المعلى بن طريف وراح يشتم بشار.
وبلغ المهدي الخبر فدعاهما فسألهما عن القصة فحدثه بشار فضحك حتى أمسك على بطنه، وقال للمولى: "جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث".

و يقول الدكتورطه حسين: كان الخلفاء يتخذون من الشعراء الماجنين والوزراء، الذين ثبتت على بعضهم تهمة الشعوبية، جلساء وندماء في مجالسهم من هذه النخبوية المعزولة بالثقافة والإجتماع، وكانوا يقبلون أفكارهم ويتعاطونها بوصفها "أدب خواص" في حين كانوا يضطرون أمام عامة المسلمين أن يظهروا الحزم والورع والتقوى بوصفها أدوات تمكنهم من بسط السيطرة وإحكام القبضة على الدهماء وسواد الناس الأعظم.
لقد تمكن الزنادقة والشعوبيون والمجان من الوصول إلى مجلس السلطة وأصبحوا جزء من مكوناتها، نظرا لما يتمتعون به من كفاية معرفية وفكاهة قادرتين على إمتاع السلطة ومؤانستها، وقد أدى ذلك إلى حدوث بلبلة واضطراب في الخطابات التي أنتجت في تلك اللحظة الثقافية المهمة بحيث يستحيل فهمها وتحليل دلالتها دون الوقوف على سياقاتها الشاملة؟.
ومن المعروف بأن بشار بن برد كان قد تخضرم بين العصرين الأموي والعباسي، وكان من رواد البلاطين وعلى مقربة من خلفائهم؟
وكان بشار، يميل في توجهه بمعتقدات الخوارج، وبقيت الزندقة وبشار دون رأي قاطع فهو يتلون بشعره مع القولين فهو القائل:

كيف يبكى لمحبس في طـلـول من سيبكى لحبس يوم طويل
إن في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار مـحيـل

وهو القائل:

ترجع النفس إذا وقرتها وشفاء الهم في خمر وماء

وهو القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ونتيجة تهتكم بشار ولا مبالاته ألـب عليه علماء البصرة وفقهاءها فقد أنـبه الحسن البصري لشعره الفاحش الذي كان يستهوي قلوب رجال البصرة ونسائها على السواء، أما واصل بن عطاء فقد دفعه عبث بشار إلى أن يقول:
"إن لمن أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الملحد الأعمى".

كذلك فعل مالك بن دينار الذي قال في تهتك:
" ما من شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى".
وهذا غيض من فيض عن طبيعة المواجهة التي كان بشار ينتهجها مع فقهاء البصرة.
ذهب مالك بن دينار فقرع على بشار بابه فقال بشار:
- يا جارية، انظري من هذا؟
فرجعت وقالت: مالك بن دينار!
- فقال: ما هو من أحزابي ولا أشكالي، أدخليه؟.
فدخل مالك وقال: يا بشار تشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم؟!
فقال بشار: لن أعود!
وما أن ولاه ظهره أنشد بشار:

غدا مالك بملامـــــــــاته علي وما كان من باليـــــــه
تناول خودا هضـــيم الحشا من الحور محطوطة خاليـــه
فقلت دع اللوم فـي حبـــها فقبلك أعييت عذاليـــــــــه

النقمة على بشار لم تكن(لربما) من دوافع زندقتـه الإجتماعية الأخلاقية فقط! ولربما كانت الدافع إليها مرتبط بزندقتة العقائدية، التي كانت كافية لتصفية أي إنسان يعلن موقفه الديني أوالعقائدي المناوئ.
وبشار قد تورط في الزندقة العقائدية من خلال اصطدامه بالخطاب الديني.
فقد كان بشار بن برد في نشأته الأولى أحد المتكلمين البارزين في البصرة حتى أن اسمه اقترن بواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، اللذين أسسا فرقة المعتزلة التي ستغدو برامجها العقائدية وأفكارها خطاب الدولة والخلافة العباسية.
وقد سلط الضوء على هذه القضية الجاحظ، في كتابه الموسوم بـ" البيان والتبيين " حيث أشار بأن بشار لم يكتف بهجاء "واصل بن عطاء" وذمه بل إنه خرج على الفكر الإعتزالي ومضى إلى القول في تقويض دعائمه.
ويقول بشار في هجاء واصل بن عطاء:

مالي أشايع غزالا له عنق كنقنـق الدو إن ولى وإن مثلا

حيث جعل من "واصل" (غزالا) وانحاز إلى رأي إبليس في تفضيل النارعلى الطين، وكفر جميع الأئمة، حيث قال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنارمعبودة مذ كانت النار

الأمر الذي دفع واصل بن عطاء إلى أن يحرض على قتله قائلا:
" أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله؟"
وتكشفت حدة الصراع الذي أججه بشار بن برد، مما دفع المعتزلة إلى نفيه وهجائه وتأليب شاعرهم صفوان الأنصاري على هجاء بشار والذود عن واصل بن عطاء بقوله:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
أن المعتزلة رجال دعاة لا يفل عزهم تهكم جبـــــار ولا كيد ماكر

عاد بشار إلى البصرة بعد وفاة عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، ولكن المعتزلة لم يغفروا لبشار خطاياه وتطاوله على شيوخهم وعقيدتهم، فقال صفوان الأنصاري:

فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعده عليا وتعزو ذاك إلى بـــــرد
كأنك غضبان على الدين كله وطالب ذحل لا يبيت على حقد
رجعت إلى الأمصار من بعد واصل وكنت شريدا في التهائم والنجد
تواثب أقمارا وأنت مشـــوه وأقرب خلق الله من شبه القرد

فبشار قد مدح الأمويين وبخاصة آخر خلفائهم مروان بن محمد، ولكن أبو الفرج في أغانيه يقول: لقد مدح بشار بن برد الخليفة العباسي المهدي بقوله:

بنى لك عبد الله بيت خلافة نزلت بها بين الفراقد والنسر
وعندك عهد من وصاة محمد فرعت به الأملاك من ولد النضر

فلم يحظ منه بشيء، فهجاه، و قال:

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجـــــان
أبدلنا الله بـه غيـره ودس موسى في حر الخيزران

وأنشدها في حلقة يونس النحوي، فسعي بها يونس إلى يعقوب بن داود، وكان بشار قد هجاه فقال:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

دخل يعقوب على المهدي فقال له:
يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك؟
فقال له: بأي شيء؟
فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري؟
قال له: بحياتي إلا أنشدتني!
فقال: والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي!
فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره؟
فقال: لن ألفظ ماقاله، ولكني أكتب ذلك، فكتبه ودفعه إليه، فكاد ينشق من الغيظ، وعمد على الإنحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، (وما وكده غير بشار)، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذان في وقت ضحى النهار؟
فقال: أنظروا ما هذا الأذان!
فإذا بشار يؤذن سكران، فأتوا به إليه؟
فقال له: يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بابن نهيك، فأمر بضربه بالسوط، فضربه ابن نهيك، بين يدي المهدي، على صدر الحراقة سبعين سوط أتلفه فيها؟
فكان بشار، إذا أوجعه السوط يقول: حس (وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع)
فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول، حس، ولا يقول، باسم الله!!
فقال بشار: ويلك! أطعام هو فأسمي الله عليه!
فقال له الآخر: أفلا قلت الحمد لله!
قال بشار: أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها!
فلما اتمم "ابن نهيك" السبعين سوط، بان الموت في بشار؟
فألقي في سفينة حتى مات ثم رمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها،وكانت وفاته في عام (167هـ - 783م).

ممنوع أن تمنـع؟

من هذا الشعار سأنطلق، وهو شعار قديم سرى مفعوله في عام 1968م، حيث كانت الحركة الطلابية التي أنطلقت منها حركة التحرر الفكري في فرنسا ديغول، وأطاحت بحكمه، فالرأي يجابه بالرأي، والحجة بالبينة، والحوار هو لإيجاد الحل وليس للتنافر والتقاتل؟

أبو الأسود الدؤلي (16 ق.هـ. - 69 هـ) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الديلي، ويقال: الدؤلي، وفي اسمه ونسبه ومولده ونسبته اختلاف كثير، (منهم من قال بأنه ولدفي عام 1 ق. هـ)

والديلي: بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام، والدؤلي: بضم الدال المهملة وفتح الهمزة وبعدها لام، نسبة إلى الدئل بكسر الهمزة، وهي قبيلة من كنانة، وإنما فتحت الهمزة في النسبة لئلا تتوالى الكسرات، والدئل: اسم دابة بين ابن عرس والثعلب، وحلس: بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة.

كان أبو الأسود ممن أسلم على عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغالب الظن أن أبا الأسود دخل الإسلام، (بعد فتح مكة وانتشاره في قبائل العرب)، وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، و تنقل الدؤلي بين مكة والمدينة.

وزعم يونس أن "الدول" إمرأة من كنانة وهم رهط أبي الأسود وأما بنو عدي بن الدول فهم عدد كثير بالحجاز، منهم عمرو بن جندل والد أبي الأسود ظالم وأمه من بني عبد الدار بن قصي.

وقال أبو علي الغساني: أبو الأسود الدؤلي على زنة العمري هكذا يقول البصريون منسوب إلى دول حى بن كنانة.

وقال أبو عبد الله البخاري: الديل من بني حنيفة والدول من كنانة.

وقال المبرد: بضم الدال و فتح الهمزة من الدئل بالكسر هي "دابة" امتنعوا من الكسر لئلا يوالوا بين الكسرات كما قالوا في النمر النمري وكثرت الحيرة والجدال في نسب "أبي الأسود" الدولي والديلي والدؤلي والدئلي.

وقال ابن السيد: الدئل بكسر الهمزة لا أعلم فيه خلافا؟

وقد قال غير واحد إن ابن مأكول والحازمي قالا: في أن فروة بن نفاثة من الدول، بل هو جذامي وجذام والدول لا يجتمعان إلا في سبأ بن يشجب.

وكذلك كان الجدل حول مماته؟

قال يحيى بن معين: مات أبو الأسود في طاعون الجارف سنة تسع وستين وهذا هو الصحيح؟.

وقيل مات قبيل ذلك وعاش خمسا وثمانين سنة وأخطأ من قال توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز؟
وقال المبرد حدثنا المازني قال: السبب الذي وضعت له أبواب النحو، أن بنت أبي الأسود قالت له ما أشد الحر فقال الحصباء بالرمضاء قالت: إنما تعجبت من شدته!.
وفي رواية أخرى: يروى بأن ابنته خاطبته بقولها: ما أجمل السماء (بضم اللام لا بفتحها) فأجابها بقوله (نجومها) فردت عليه: بأنها لم تقصد السؤال بل عنت التعجب من جمال السماء، فأدرك حينها مدى انتشار اللحن في الكلام.
وعن ولده أبو حرب قال: أول باب رسم أصوله أبي " باب التعجب "
لقوله: أو قد لحن الناس؟
فأخبر بذلك الإمام علي بن ابي طالب، فأرشده إلى أصول بنى منها وعمل عليها.
وهو أول من نقط المصاحف وأخذ عنه النحو، عنبسة الفيل وأخذ عن عنبسة ميمون الأقرن ثم أخذه عن ميمون عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأخذه عنه عيسى بن عمر وأخذه عنه الخليل بن أحمد وأخذه عنه سيبويه وأخذه عنه سعيد الأخفش ويعقوب الحضرمي.
قال سعيد بن سلم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود قال:
دخلت على الإمام علي فرأيته مطوقا فقلت فيم تتفكر يا أمير المؤمنين قال:
سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية؟
فقلت إن فعلت هذا أحييتنا، فأتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها الكلام كله أسم وفعل وحرف، فالأسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف وما أنبأ عن معنى ليس بأسم ولا فعل، ثم دفع إلي بتلك الصحيفة وقال:
تمم على هذا، ثم قال لي زده وتتبعه فجمعت أشياء ثم عرضتها عليه؟

وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ (يعنون النحو)
فقال: لقنت حدوده من علي بن أبي طالب، واستأذنته أن انحو مثل نحوه، عندما وضع لي ما في الصحيفة، فسمي لذلك ب (النحو).
صحب أبو الأسود الإمام علي بن أبي طالب، وشهد معه وقعة صفين، وحكى خليفة بن خياط أن عبد الله بن عباس كان عامل الإمام علي بن أبي طالب على البصرة، فلما شخص إلى الحجاز استخلف أبا الأسود عليها، فلم يزل حتى قتل علي.
وكان ينزل البصرة في بني قشير، وكانوا يرجمونه بالليل لمحبته الإمام علي بن ابي طالب، فإذا استنكر رجمهم قالوا: إن الله يرجمك؟
فيقول لهم: تكذبون، لو رجمني الله لأصابني ولكنكم ترجمون ولا تصيبون!.
ولما تكاثر الأذى من جيرانه باع داره، فقيل له: بعت دارك؟
فقال: بل بعت جاري؟ (فذهبت بعدها كالقول المأثور)

ويحكى أنه أصابه الفالج فكان يخرج إلى السوق يجر رجله، وكان من أصحاب المال وذا عبيد وإماء.
فقيل له: قد أغناك الله عز وجل عن السعي في حاجتك، فلو جلست في بيتك!
فقال: لا، ولكني أخرج وأدخل فيقول الخادم: قد جاء، ويقول الصبي: قد جاء، ولو جلست في البيت فبالت علي الشاة ما منعها أحد عني؟.
قال الجاحظ: " أبو الأسود مقدم في طبقات الناس، كان معدودا في الفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحاة والحاضري الجواب، وبالتشيع، وكان من البخلاء والصلع ؟
كان أبو الاسود يملك مؤهلات الشاعر الكبير، ولكن قلة ممارسته للشعر وإنصرافه الى غيرها من المجالات، كانت من الأسباب التي دعت إلى أن يكون شعره بأقل من المستوى، ولكن لايعني ذلك إنخفاضه إلى مستوى الشعر الرديء، فهذا غير صحيح، لأننا نرى في بعض شعره ما يرتفع به إلى مستوى الشعر الجيد، وفيه الكثير من الأخلاق والموعظة للتعبير عن مدى قدرته الشعرية، وعن عقله وحكمته وتجربته في الحياة ".

ففي جريمة الطف، قال أبو الأسود:

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغيا إنه لدميم
والوجه يشرق في الظلام كانه ... بدر منير والسماء نجوم
وكذاك من عظمت عليه نعمة ... حساده سيف عليه صروم
فاترك مجاراة السفيه فانها ... ندم وغب بعد ذاك وخيم
واذا جريت مع السفيه ولمته ... في مثل ما يأتي فانت ظلوم
يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
إبدأ بنفسك وإنهها عن غيها ... فاذا إنتهت عنها فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ... بالرأي منك وينفع التعليم
تصف الدواء وأنت أولى بالدوا ... وتعالج المرضى وأنت سقيم
وكذاك تلقح بالرشاد عقولنا ... أبدأ وأنت عن الرشاد عقيم
ويل الشجي من الخلي فإنه ... نصب الغواة بشجوه مغموم
وترى الخلي قرير عين لاهيا ... وعلى الشجي كآبة وهموم
ويقول مالك لا تقول مقالتي ... ولسان ذا طلق وذا مكظوم
لا تكلمن عرض إبن عمك ظالما ... فاذا فعلت فعرضك المكلوم
وحريمه أيضا حريمك فإحمه ... كيلا يباح لديك منه حريم

وإذا اقتضضت من إبن عمك كلمة فكلامه لك إن فعلت كلوم
وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلما ذكر الذي حملته فكأنه محتوم
فأرج الكريم وإن رأيت جفاءه فالعتب منه والفعال كريم
وعجبت للدنيا ورغبة أهلها والرزق فيما بينهم مقسوم
والأحمق المرزوق أحمق من أرى من أهلها والعاقل المحروم
ثم إنقضى عجبي لعلمي أنه قدر مواف وقته معلوم

*

إذا كنت مظلوما فلا تلف ظالما عن القوم حتى تأخذ النصف وأغضب
وقال: تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني طول البلاء الى الصبر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى وكان قديما قد يضيق به صدري
إذا انا لم اقبل من الدهر كل ما الاقيه منه طال عتبي على الدهر

*

وقال أبو الأسود:

البس عدوك في رفق وفي دعة طوبى لذي اربة للدهر لباس
ولا تغرنك احفاد مزملة قد يركب الدبر الدامي بإحلاس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني الذي استغنى عن الناس

*

كان يعلم أولاد زياد بن أبيه، عندما كان والي العراقين يومئذ، فجاءه في يوم وقال له:
أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟
قال له زياد بن أبيه: لا؟
فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون!
فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون!! ادعوا لي أبا الأسود؟
فلما حضر قال له: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم؟
وقيل إن أبا الأسود كان لا يخرج شيئ أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد، حتى بعث إليه زياد المذكور: أن اعمل شيئ يكون للناس إمام ويعرف به كتاب الله عز وجل!
فاستعفاه من ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) كان الرجل يقرأ (رسوله) اللام مجرورة أي انها معطوفة على (المشركين) هذا يغير المعنى لأن (رسوله) اللام مرفوعة إي انها معطوفة على الله، فقال:
ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا؟

فرجع إلى زياد فقال: أفعل ما أمر به الأمير، فليبغني بكاتب لقن، يفعل ما أقول له؟
فأتي له بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتي بآخر فقال أبو الأسود، للكاتب الجديد:
إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت، ففعل ذلك.
وكان الفتى رامي الأسدي من أذكى طلابه حيث ساعد على نقل الأخبار الهامة عن سيرة أبو الأسود الذاتية.
وقال فيه أبو الأسود:

أمنت على الراي أمرء غير حازم ولكنه والنصح غير مريب
أشاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار اوقدت بشبوب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب

*

روى أبو غفر الدؤلي وكان من الشعراء، قال: كنت عند عبد الملك بن مروان إذ دخل عليه أبو الأسود الدؤلي، و كان عبد الملك بن مروان يعيب عليه شكله وملبسه؟
فقال له عبد الملك: يا أبا الأسود، لو علقت عليك عودة من العين؟
فقال أبو الأسود: إن لك الجواب يا أمير المؤمنين، وأنشد:

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول إختلافهما شيئا أخاف عليه لذعة الحدق

أما والله لئن كانت أبلتني السنون وأسرعت إلي المنون لما اثبت ذاك إلا في موضعه، ولرب يوم كنت فيه إلى الآنسات البيض اشهى منك إليهن، وإني اليوم كما قال امرؤ القيس:

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوما

ولقد كنت كما قال:

ورعن إلى صوتي إذا ما سمعنه كما يرعوي عيط إلى صوت اعيسا

فقال عبد الملك: قاتلك الله من شيخ ما أعظم همتك؟
بعد مقتل الإمام علي بن ابي طالب، أحب معاوية التواصل والتقرب من أبو الأسود، وصار لأبي الأسود عند معاوية بن أبي سفيان ناحية حسنة، فوعده في مرة أمر، وأبطأ عليه فيه فقال أبو الأسود:

لا يكن برقك برقا خلبا إن خير البرق ما الغيث معه
لا تهني بعد إذ أكرمتني فقبيح عـــادة منتزعه

وله أشعار كثيرة كانت تسري بين الناس كالأمثال:

وما طـلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طورا وطورا تجيء بحمأة وقـليـل مـاء

*

كان أبو الأسود، مشهود له بالصراحة وعدم التملق، وكانت لديه المقدرة في الفصل بين التمني والرغبة، وبين ما صار إليه الأمر الواقع، فوجد من الحكمة التعامل مع من كانت لديهم السلطة، والعمل في مجالات ذات منفعة ولها مردود عيش، من خلال التعليم والتهذيب، والبحث في أمور اللغة، المحبة والإخلاص لأهل بيت الرسول وأحفاده، وكانت عاطفة الإحساس بداخله، ولم تحجبه عن مجالس بني أمية، الذين كانوا يعلمون بما يحمله قلبه من محبة لغيرهم، وكانوا يعلمون علم اليقين بأنه لا يبيت في نفسه الكراهية والحقد ولكنه كان صريح التعبير وفي العلن، لما يحمله قلبه من محبة لأهل البيت، وله من النظم بيت يتيم واحد لاغير، قائم بذاته بمثابة مطولة، حيث قال:

صبغت أمية بالدماء أكفنا وطوت أمية دوننا دنياها

وذات مرة قال زياد بن ابيه، لأبي الأسود: كيف حبك لعلي؟

قال له أبو الأسود: حبي يزداد له شدة كما يزداد بغضك له شدة ويزداد لمعاوية حبا، وإيم الله اني لأريد بما أنا فيه الأخرة وماعند الله وإنك لتريد بما أنت فيه الدنيا وزخرفها، وذلك زائل بعد قليل؟

فقال زياد: إنك شيخ خرف ولولا أنني أتقدم إليك لأنكرتني؟

فقال أبوالأسود:

غضب الأمير بأن صدقت وربما غضب الأمير على البريء المسلم
مـاذا تـقـولون إن قـال الـنبـى لـكم مـاذا فـعـلتـم وأنـتـم أخـر الأمـــم
بأهـل بيتـي وأنصاري ومحرمتـي مـنهـم أسارى وقتلى ضرجوا بـدم
ماكان هذا جزائي إذ نصحت لـكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقال بعدها:

رأيت زيادا صد عني بوجهه ولم يك مردودا عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال وحاجتي كداء الجوى في جـوفه لايـزايله

*

أقول وزادني جزعا وغيظا أزال الله مـلك بـنـي زيـاد
وأبعدهم كما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد
ولا رجعـت ركـابـهـم إلـيهم إذا وقـفـت إلـى يـوم التناد

ونعلم أن زياد بن ابيه، قد استلحقه معاوية بنسبه، فصار يسمى " زياد بن ابي سفيان " فما كان من أبو الأسود، في فترة غضب من أفعال زياد، فألمح له بذلك:

كل امرىء صائر يوما لشيمته في كل منزلة يبلى بها الرجل

وكان عند أبو الأسود، نوع من الهجاء يبدو أنه اقرب الى التهكم والدعابة وهو يكشف عن ظرفه وخفة ظله، فقد قال يخاطب زوجته:

مرحبا بالتي تجورعلينا ثم أهلا بحامل محمول
أغلقت بابها على وقالت إن خير النساء ذات البعول
شغلت قلبها على فراغا هل سمعتم بفارغ مشغول

هذا الشعر من نوادر الهجاء، حيث يبرز الهجاء والتهكم في صورة المدح والإعجاب، مع لمحات من الدعابة الخفيفة، ويمكن أن يكون من حسن التوجيه.

وقال يصف جارية له:

يعيبونها عندي ولاعيب عندها سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين شيء فإنها مهفهفة إلا على رداح المؤخر
قطوف إذا تمشي تخال دماءها تسايل أو تبدو لها بتقطر
إذا سمتها التقبيل أبدت تشاما ولين كلام لم يشب بتهذر

*

ولم يكن ممن يجاري الناس في غيهم وضلالهم وإنما يسير وفق تعاليم الدين ومبادىء الأخلاق، ويفتخر بوفائه للعهد، بل كان يصل إلى درجة عالية بالوفاء، وكان حازم ومعرض عن نزوات الدنيا الزائلة.

وكان يزين فخره، بتأثره بروح الدين الإسلامي وأسلوب القران الكريم، ويظهر ذلك في قوله :

واذا فعلت فعلت غير محاسب وكفى بربك جازيا ومحاسبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه يوما بذم الدهر أجمع واصبا

*

كان شديد الفخر، بأنه ثابت على المبدا لايتلون كغول الليل، وليس بالخبيث الغشاش سيء الظن بالناس، ولا بالمنافق الكذاب، ولاعديم الخير، وكان معروف بين الناس بصفاته الحميدة:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وشتم ذي القربى خلائق أربع
حياء وإسلام و تقوى وإنني كريم ومثلي قد يضر وينفع
وشتان مابيني وبينك أنني على كل حال أستقيم وتظلع

ومن الواضح بأنه كان يسوق فخره في عبارات رصينة قوية السبك متينة البناء بألفاظها، فصيحة جزلة مختصرة، فقد أبدع التصوير، على السواء إن كان في النفس أم في الحس.
وفي هذه الابيات يغمز، الذين تحولوا تبعا لتحول الحكم وتلونوا مع الأيام، أما هو! فثابت على المبداء والعقيدة.
وكم كان يفخر بقوته في قوله الشعر، وإنه لايجاريه فيه أحد وأن شعره خالد، لما يحمل من فصاحة كلام وعذوبة ذوق وحباكة ألفاظ وبلاغتها، فهو محكم الصنع وفنان صادق التعبير، فيقول:

وشاعر سوء غره ان ترادفت ... له المعجمون القول: إنك شاعر
عطفت عليه مرة فتركته ... لما كان يرضى قبلها وهو حاقر
بقافية حذاء سهل رويها ... كسرد الصناع ليس فيه تواتر
نطقت ولم يعجز على رويها ... وللقول أبواب ترى ومحاضر
يعدي بها عن عينه وهو ناعس ... إذا انتصف الليل المكل المسافر
إذا ماقضاها عاد فيها كأنه ... للذته سكران أو متساكر

*

وفي حبه ومحبته للنبي الرسول عليه الصلاة والسلام، ولأل بيته الأبرار، يقول:

أحب محمدا حبا شديدا ... وعباسا وحمزة والوصيا
وجعفر إن جعفر خير سبط ... شهيدا في الجنان مهاجريا
بنو عم النبى وأقربوه ... احب الناس كلهم إليا
فان يك حبهم رشدا أصبه ... وفيهم أسوة إن كان فيا
فكم رشدا أصبت وحزت ... مجدا تقاصر دونه هام الثريا
هم أهل النصيحة من لدني ... وأهل مودتي مادمت حيا
مزينة منهم وبنو غفار ... وأسلم أضعفوا معه بليا
يقودون الجياد مسومات ... عليهن السوابغ والمطيا

صدق في المديح والثناء لأهل البيت، ومن ثم يعرج على صفاتهم وخصالهم الحميدة وما قدموه للمجتمع من نصح وإرشاد وبذلوا مهجهم في سبيل الله، فالشاعر مدين لهم لما قدموا له من إرشاد وتعليم، فيقول: إنهم أهل مودتي ولاتزول هذه الصفة مادمتحيا؟.
ولقد فاضت جوارحه بصدق المحبة والأخلاص في رثاء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، حين قال:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا فابكي أميرالمؤمنينا
رزئنا خيرمن ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
فكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا

يـقـيـم الـديـن لايـرتـاب فـيـه ويقضي بالـفـرائـض مستبينا
ويدعـو للجـمـاعـة من عصاه وينهـك قطع أيـدي السارقينا
ولـيـس بـكـاتـم عـلـمـا لديـه ولـم يـخـلـق مـن المتجـبرينا
ألا أبـلـغ مـعـاويـة بن حـرب فلا قـرت عـيـون الشامتـيـنا
أفـي شهـر الصيام فجعتمونا بخيـر الناس طرا أجـمـعينا
ومـن بعد النبى فـخيـر نفس أبوحسـن وخيـر الصالحـيـنا
لقد علمت قريش حيث كانت بـأنـك خـيـرها حـسبـا ودينا
إذا استقبـلت وجه أبي حسين رأيـت البـدر راق الـنـاظرينا
كـان الـنـاس إذ فـقـدوا عـلـيـا نـعـام جـال فـي بـلـد سنـيـنا
فـلا و الله لا أنـسـى عـلـيـا وحـسن صلاته في الراكعينا
وتـبـكـي أم كـلـثـوم عـلـيـه بـعبـرتها وقـد رأت الـيـقـيـنا

*

وتتكرر مواقف الوفاء والأخلاص والشعور الصادق، عند أبو الأسود، بعد مجزرة كربلاء، ومقتل الإمام الحسين بن علي وبنوه ومن كان معهم من عائلته وأصحابه، فتتجلى تعابير الحزن في خلجات قلب أبو الأسود، حين قال:

أقـول لـعـاذلـتـي مـرة وكـانت عـلى ودنا قـائمة
إذا أنت لم تبصري ما أرى فبيني وأنـت لنـا صـارمة
ألـسـت تـريـن بـنـي هـاشـم قد أفـنـتـهـم الفئـة الظالمة

*

وأضاف لهذا الحدث العظيم الذي حدث يوم كربلاء، على يد الطغمة الظالمة، وذلك يوم العاشر من محرم سنة 61هـ، فأنهمر الحزن والأسى عنده في كثير من الشعر مثل قوله:

يا نـاعي الدين الذي ينعى التقى قـم وانعه والـبيت ذا الأستـار
إبـكـي عـلـى آل بـيـت مـحـمـد بالـطـف تـقـتـلـهـم جـفـاة نزار
سبحان ذي العرش العلى مكانة أنـى يـكـابـره ذوو الاوزار

*

وعاش أبو الأسود ميسور الحال، وكانت الناس تتهمه بالبخل، وتوفي في البصرة في طاعون الجارف.

تعددت الروايات في وفاة أبو الأسود بالبصرة سنة (69 هـ) في طاعون الجارف، وعمره خمس وثمانون سنة، وقيل إنه مات قبل الطاعون بعلة الفالج، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

عرف عن أبو الأسود بأنه كان يكره الإعتذار على شيء قام به، لربما مكابرة منه أو عناد، فلقد عرف بالرشد والفصل بالقضاء العادل، وكذلك التمرس والإصرار بإعلاء كلمته.

ولكنه خالف في مرتين وأعتذر؟

ومنها في أمر سلمى الحنفية التي كان يرغب في خطبتها، عندها قال:

ذروا آل سلمى ظنتي وتعتبي وما زل مني إن ما فات فائت
ولا تهلكوني بالملامة إنما نطقت قليلا ثم إني لساكت
ساسكت حتى تحسبوني كأنني من الجهد في مرضاتكم متماوت
ألم يكفكم ان قد منعتم عرينكم كما منع الغيل الأسود النواهت
تضيئون لحمي كل يوم كما علا نشيط بفاس معدن البرم ناحت

*

قيل لأبي الأسود عند الموت: أبشر بالمغفرة؟

فقال: وأين الحياء مما كانت له المغفرة؟.

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه رجل مرير
وماعظم الرجال لهم بزين ولكن مجدها زين وخير

*

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب

شعراء فترة الترقب

بعد مقتل الإمام علي، وتمركز الخلافة في الشام، والقبضة الحديدية من السلطان الشامي القديم الجديد، الخليقة معاوية بن أبي سفيان، وطبخة التوريث لولده يزيد، وحدوث مجزرة كربلاء، وبعدها ثورة زيد بن علي بن الحسين، (التي كانت بعد) حركة أبن الزبير التي فصلت الحجاز والعراق عن الخلافة المركزية في الشام، وظهور حركات الشغب هنا وهناك بخوارجها وطلاب السلطة على شتى الأهواء والمعطيات، عندها أيقن فطاحلة الشعر المخضرمين، بعد أن شاخوا وهرموا، وصار لديهم القناعة التامة بأن الإسترزاق من الشعر لايكون إلا قرب من لديه السلطة والمال، بما فيهم أعمدة الشعر الثلاثة: الأخطل والفرزدق وجرير، فالشام كانت محط رحالهم ؟.

مدح الخليفة وتعداد مآثره، استهلكته الكلمات المناسبة وراح التكرار يتربع على عرش الشعر، فما كان من شعراء الطبقة الأولى المقربة من الخليفة معاوية والمتخترة في بلاطه، لفترة طالت مدتها لأكثر من خمسة وعشرين سنة (إذا أضفنا إليها ولاية يزيد)، فوجد الفطاحل لنفسهم نمط جديد للتسلية وفيه الإبداع والمقدرة، فتوجهوا نحو المناظرة والتحدي خشية الوقوع في الروتين والملل، فكانت مناوشات الهجاء فيما بينهم، وكان فيها الدعابة والطرافة وبراهين المقدرة لكل منهم، ومن وقت لأخر تأتي قصائد الغزل ووصف المواقف والفتوحات، ولقد أطال الله بعمر هؤلاء الكبار، فكانوا كالمراجع في الحكم على كل شاعر جديد يطل برأسه على ساحة الأحداث؟

وبعد مقتل يزيد، ظهرت مرحلة متقلبة منيت جميع تحركاتها بالفشل، وصار الحكم الأموي تحت سيطرة بني مروان، المطالبة بالحق الشرعي للهاشمين خمدت همتها، ولسبب بسيط فالكثير من عواطف القلوب كانت معهم ولكن السيوف كانت ضدهم، وحركات الخوارج لم تستقر على قرار واحد، فإن لم يكن التنازع فيما بينها يعيقها، كان الإختلاف والخلاف فيما بينهم كفيل بتعطيلها.

يعتبر الخوارج حزب من الأحزاب السياسية وتعني المتمردين، حيث يرى بعض المؤرخين ان تاريخ الخوارج بدأ من حادثة التحكيم في حرب صفين التي وقعت بين الامام علي بن ابي طالب، وجيشه، وبين معاوية وجيشه عام 37هـ ، ويروي الشهيد المطهري بقوله: أول تيار متزمت ظهر في دنيا الإسلام هو تيار الخوارج؟.

أما سبب تسميتهم بالخوارج فيرجع إلى خروجهم على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ومحاربتهم إياه، وقد بايعوا معاوية بعد إستشهاد الإمام علي سنة 41هـ.

كما يرى البعض الآخر من المؤرخين أن " الخوارج من أقدم الفرق الإسلامية "، ولقد أنقسموا إلى فرق كثيرة أهمها: الأزارقة والنجدات والبيهسية والثعالبة والعجارد والأباظية والصفرية والحرورية والمحكمة و أهل النهروان .

تمكن عبد الله بن الزبير ولفترة قصيرة بفصل الحجاز وبلاد السواد عن السلطة المركزية، ولكنها كانت إستراحة المحارب عند المروانين؟.

الكل يسعى للشهرة والتربع بقرب صاحب الأمر والنهي، ففي الشام كان هنالك التضخم بعدد شعراء البلاط، وكانت هيمنة الفطاحلة الكبار، فوجد البعض طريقة المراهنة في نجاح الحركات السياسية المعادية.

عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، (توفى سنة 85 هجرية) هو شاعر قريش في العصر الأموي، من بني عامر بن لؤي.

وإنما لقب عبيد الله **"بن قيس الرقيات"** لأنه شبه مثلث متساوي الزوايا، كل زاوية منها كان أسمها " رقية ".

منهن رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤفي، وإبنة عم لها يقال لها رقية، وامرأة من بني أمية يقال لها رقية، وكان هواه في رقية بنت عبد الواحد، وكان عبد الواحد يقيم في الرقة، وإياه عنى ابن قيس بقوله:

ما خير عيش بالجزيرة بعد ما عثر الزمان ومات عبد الواحد

لما ولي مروان بن الحكم المدينة في عهد معاوية، أوكل لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطتها،

فقال: إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة، فابغني رجالا من غيرها؟

فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة، فأحكم ضبطها بشدة، وبعد فترة دخل المسور بن مخرمة على مروان فقال: أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب بن عبد الرحمن!

فقال مروان:

ليس بهذا من سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب

وبقي مصعب بن عوف على شرطة المدينة، إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة، من قبل عبد الملك بن مروان، فخرج من المدينة الإمام الحسين بن علي، وأبناء الزبير (عبد الله و مصعب).

فقال عمرو بن سعيد لمصعب بن عوف: إهدم دور بني هاشم وآل الزبير؟

فقال: لا أفعل؟

فقال عمرو بن سعيد: إنتفخ سحرك يا بن أم حريث! ألق سيفنا!، فألقاه ولحق بأبن الزبير.

وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كل مبلغ، وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه، فقال له محمد: أتضرب عروة فقال: نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه، فقال: أنا أحتمله، فضربه مائة سوط ! ولحق عروة بأخيه عبدالله.

وضرب عمرو بن الزبير، الكثير من الناس ، فهربوا منه إلى أبن الزبير، وكان المسور بن مخرمة ممن هرب معهم.

ولما أفضى الأمر إلى أبن الزبير أقاد من عمرو بن الزبير وضربه بالسوط حتى مات، فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذكر عنه: إن عمرو مات، وهو مرتد عن الإسلام.

ولما هزم عبد الله بن الزبير عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأستولى إبن الزبير على مصر، قال بن قيس الرقيات:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا إذ رحت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أميرعليهم فإرجع بعار في الحياة طويل
ونسيت عرسك إذ تقاد سبية تبكي العيون برنة وعويل

*

حيوا حليلة بعلها سلامه وعلى الخليل من الخليل ذمامه
بيضاء كالورق اللجين يزينها وجه عليه نضرة وقسامه
تلك التي أصفيتها بنصيحتي هل بعد إجهاد الخليل ملامه
وعدتك بالبيت المبارك أهله هيهات مسكن من تحل تهامه

وكان عبيد الله بن قيس من أهالي المدينة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، والتقى الطرفان في دير الجاثليق، وكانت فيها الهزيمة ومقتل مصعب بن الزبير، فقال بن قيس الرقيات:

لقد أورث المصرين خزيا وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولو كان بكريا تعطف حوله كتائب يغلي حميها ويدوم
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مضري يوم ذاك كريم
جزى الله كوفيا هناك ملامة وبصريهم إن المليم مليم
وإن بني العلات أخلوا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصميم
فإن نفن لا يبقوا أولئك بعدنا لذي حرمة في المسلمين حريم

وهو القائل في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت يخشى ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الإتقاء

وكان عبد الله بن الزبير يلقب "العائذ بالبيت الحرام" وفي هذا يقول بن قيس الرقيات:

بلد تأمن الحمامة فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم

وبعد مقتل أبني الزبير، انتقل بن قيس الرقيات إلى الكوفة، فأقام بها سنة ثم رحل إلى الشام، فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فأمر عبد الملك بن مروان بحبسه، فتشفع له عبد الله بن جعفر، فعفا عنه، إلا أنه حرمه أن يأخذ مع المسلمين عطاء، فكان عبد الله بن جعفر إذا خرج عطاؤه أعطاه.

قال له عبد الله بن جعفر: إذا دخلت معي على عبد الملك، فكل أكلا يستشنعه؟، ففعل!

فقال عبد الملك: من هذا يا ابن جعفر

قال: هذا أكذب الناس!.

قال عبد الملك: ومن هو؟

فقال ابن جعفر: هو الذي يقول:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا
وانهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

عندها أنشد بن قيس:

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروتيه
وجببنني جب السنام ولم يتركن ريشا في مناكبيه

فقال له عبد الملك: أحسنت لولا أنك خنثت في قوافيه!

فقال: ما عدوت كتاب الله " ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه "

وأقام قيس بعدها في الشام إلى أن توفي فيها.

كان أكثر شعره في الغزل، وله مديح وفخر، وهو القائل في عبد الله بن جعفر بن ابي طالب:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
و والله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلا في دمشق قرارها
أتيناك نثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارها

*

لعبيد الله بن قيس الرقيات نفحات شعر خاصة؟

رقيــة تيمت قلبي فوا كبدي من الحب
وقــالوا داؤه طب ألا بل حبهــا طبــي
نهاني إخوتي عنها وما للقلب من ذنب
وعن صفراء آنسة كخوط البانة الرطب
وما أقبل نصح، النا صحي من شدة الكرب

*

زعم ابن قيس وهو غير مكذب أن القباح برزقهــن غوالي
إن القباح على الرجال رزية لا تنكحن قبيحة بقبال
ما للقباح رزقن كل خطيئة نفلا كما ذممن كل جمال

*

أضحت رقيــة دونها البشر فالرقة السوداء فالغمر
يا ليت شعري كيف مر بها وبأهلها الأَيام والدهر

*

أتكني عن رقية أم تبوح ومن تبع الهوى حينا فضوح
أعوذ بحجزتيك رقي إما نوال منك أو قتل مريح
إذا ذكرت سميتها كأني أرى كبدي يليح بها مليح
وقالوا دع رقية واجتنبها وتركيها إذا خرج المسيح
أليس الله يعلم أن حبي رقية قد تضمنه الكشوح
أُحبك أن جيدك جيد سلمى وعينك أيها الظبي السنيح
فديتك فيم أُهجر لا بذنب وفيم وودكم عندي ربيح
كأني ناقه من غب وعك فأمثل ما بي النظر الصحيح

*

حبذاك الدل والغنج والتي في عينها دعج
والتي إن حدثت كذبتت والتي في وعدها خلج
وترى في البيت صورتها مثلما في البيعة السرج
خبروني هل على رجل عاشق في قبلة حرج

*

تركت قلبي قريحا لا أراه مستريحا
خيرتني بين أن أكـ تم سرا أو أبوحا
ولقد تعلم أني كنت بالسر شحيحا
أتقي الله وأخزى وأقي عرضي الفضوحا

*

تغزل عبد الله بن قيس الرقيات بعاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فقال :

أعاتك يا بنت الخلائف عاتكـــا أنـيـلي فتى أمسى بحبك هالـكـــا
تـبـدت وأتـراب لـها فـقـتـلـنـــني كـذلك يـقـتـلن الـرجال كـذلكـــا
إذا غفلت عنا العيون التي ترى سلكن بنا حيث اشتهين المسالكا

فلم يتعرض له يزيد بشيء، وكأنه قد أخذ بنصيحة أبيه، معاوية، حين قال له يوما : إن عبد الرحمن بن حسان يتغزل بابنتك رملة؟.

يزيد بن زياد بن ربيعة (ابن المفرغ الحميري).

من أصل يمني من قبيلة يحصب، كانت أسرته في حلف مع قريش.

ولد في البصرة، ونشأ فيها، كان يعرف العربية والفارسية، إنما سمي والده " مفرغ " لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله فشربه حتى أفرغه بكامله فسمي مفرغ، و كان يزيد شاعر غزل جيد وجميل، ومن شعراء الصدر الاول في زمن معاوية بن ابي سفيان، بدأ إتصاله بالبلاط، من خلال صحبته لسعيد بن عثمان بن عفان وكان نديمه، وأصبح بعد ذلك من شعراء البلاط.

شخصية الرجل فيها الكثير من الغرابة، فلم يعرف تاريخ ولادته، ولكنه يستدل بأنه لربما ولد ما قبل نهاية الحقبة الراشدة بقليل؟

الرجل كان من سكان البصرة، ولطالما كانت البصرة تحت سلطة زياد بن أبيه، ومن ثم تحت سلطة ابنه عبيد الله بن زياد، والغرابة في الأمر كانت في جراءة هذا الرجل بمجابهة زياد وأمه وبنيه، وذلك بشعره الساخر والهجاء والذم، وفي بعض الأحيان الشتيمة والطعن بنسبهم، ولهذا تراه يدخل إلى السجن ثم يعود بعدها إلى غيره، ولقد تعرض بفعل تهجمه على بني زياد إلى الكثير من الأهانة والتعذيب، ولكنه لم يرتدع؟ ولذلك إن في الأمر غرابة وسر؟.

ما ذكر عنه، من مقدامية وشجاعة، وجراءة في القول وغيره من خصال، لم يكن بذي بال أمام سلطة وتسلط بنو زياد، فلماذا كان يثابر على التهجم عليهم، بل أين تكمن جرعة المقدرة لديه لركوب خطوب خطيرة كهذه؟.

قال ابن قتيبة: يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري حليف لقريش، صحب عباد بن زياد بن ابي سفيان فلم يحمده وكان عباد طويل اللحية عريضها، فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت الريح فنفشت لحيته قال ابن مفرغ:

ألا ليت اللحي كانت حشيشا فنعلفها دواب المسلمينا

حقد عليه بعدها عباد بن زياد وأمر بحبسه؟

ومن داخل سجنه أرسل إلى عباد بن زياد يقول:

سبق عباد وصلت لحيته وكان خرازا تجود قربته

وقال بعدها:

لعمري لو كان الأسير ابن معمر وصاحبه أو شكله ابن أسيد
ولو أنهم نالوا أمية أرقلت براكبها الوجناء نحو يزيد
فأبلغت عذرا في لؤي بن غالب وأتلفت فيهم طارفي وتليدي
فإن لم يغيرها الإمام بحقها عدلت إلى شم شوامخ صيد
فناديت فيهم دعوة يمنية كما كان آبائي دعوا وجدودي
ودافعت حتى أبلغ الجهد عنهم دفاع امرئ في الخير غيرزهيد
فإن لم تكونوا عند ظني بنصركم فليس لها غير الأَغر سعيد
بنفسي وأهلي ذاك حيا وميتا نضار وعود المرء أكرم عود
فكم من مقام في قريش كفيته ويوم يشيب الكاعبات شديد
وخصم تحاماه لؤي بن غالب شببت له ناري فهاب وقودي
وخير كثير قد أفأت عليكم وأنتم رقود أو شبيه رقود

بن مفرغ الحميري، يفاخر بأصوله اليمانية ويذكر لؤي بن غالب وهو الجد الثامن للرسول الكريم، ويقول ويدعي بأنه كانت له مواقف دفاع ونصرة على خطى آبائه وجدوده؟
للرجل عشيرة ولهم مكانة وتقدير عند الخليفة معاوية وولده يزيد، ويبقى السبب على غموضه في عدم محبته وحقده لزياد بن أبيه و ابنائه وأمه، حيث يقول:

إن تركي ندى سعيد بن عثما ن فتى الجود ناصري وعديدي
واتباعي أخا الضراعة واللؤ م لنقص وفوت شأو بعيد
قلت والليل مطبق بعراه ليتني مت قبل ترك سعيد
ليتني مت قبل تركي أخا النجـ دة والحزم والفعال الشديد
عشمي أبوه عبد مناف فاز منها بتاجها المعقود
ثم جود لو قيل فيه مزيد قلت للسائلين ما من مزيد
قل لقومي لدى الأَباطح من آل لؤي بن غالب ذي الجود
سامني بعدكم دعي زياد خطة الغادر اللئيم الزهيد
كان ما كان في الأراكة واجتبـ ب ببرد سنام عيسي وجيدي
أوغل العبد في العقوبة والشت م وأودى بطارفي وتليدي
فارحلوا في حليفكم وأخيكم نحو غوث المستصرخين يزيد
فاطلبوا النصف من دعي زياد وسلوني بما ادعيت شهودي

" متى بان السبب بطل العجب "، بن المفرغ الحميري يتحسر في قصيدته بابتعاده عن سعيد بن عثمان بن عفان، ولربما كانت لديه الشهامة الكافية لعدم الرضوخ لتسلط زياد بن أبيه، فدار السجال والتناوش بينهما.

ولربما كانت النقمة على زياد، لحسرته الشديدة بفقده لغلامه" برد " وجاريته " أراكة ". قيل بأنه كان لأحدهم دين عند الحميري، (وبتحريض من زياد)، ألح صاحب الدين بأسترداد ماله، وحكم له زياد وساعده على ذلك، فأمر ببيع ما وجد له في إعطاء غرمائه، فكان فيما بيع له غلام كان رباه يقال له (برد) كان يعدل عنه ولده، وجارية يقال لها (اراكه) أو (اراك) فقال ابن مفرغ الحميري فيهما:

يـا بـرد مـا مـسنا دهر أضر بنـا مـن قبل هذا ولا بعنا لـه ولدا
أما الاراك فكانـت من محارمنـا عـيشا لذيذا وكانت جنة رغدا
لولا الدعي ولولا ما تعرض لي مـن الـحوادث مـا فـارقتها ابدا

وبعدها تفرغ لزياد وربعه، فبداء بسمية:

ضجت سمية لما مسها القرن لا تجزعي ان شر الشيمة الجزع

*

ثم قال لزياد:

فاشهد ان امك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على وجل شديد وامتناع

*

ثم قال:

وقـل لـعبيد الله مـالك والـد بحق ولا يـدري امرء كـيف يـنسب

*

ان زيادا و نافعا و أبا بكرة عـنـدي من أعـجب الـعجـب
هـم رجـال ثـلاثـــة خـلـقـوا فـي رحـم أنثى وكـلـهـم لأب
ذا قـرشي كـما يقـول وذا مولى وهذا ابـن عمه عربي

(زياد و نافع و ابو بكرة كل و احد من هؤلاء ينتمي و ينسب لأب غير الأخر: نافع القرشي والعربي ابو بكرة، و بالمولى زياد لان اباه كان عبد بني علاج).

وأرسل إلى معاوية يقول:

الا أبـلـغ معاويـة بن حرب مـغلغلة مـن الـــرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فـاشهد أن رحـمك من زياد كـرحم الفيل مـن ولـد الأتان
وأشـهـد أنـهـا ولـدت زيادا وصخر من سمية غـير داني

فاستأذن عبيد الله بن زياد معاوية في قتله فلم يأذن له و أمره بتأديبه فلما قدم أبن زياد البصرة أخذ أبن المفرغ الحميري، فأمر به فسقى دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح في ثيابه،(لقد سقاه التربذ في النبيذ، والتربذ: هو راسب زئبقي أصفر) وطافوا به في أزقة البصرة وأسواقها والناس يصيحون خلفه فمربه فارسي فرآه فقال:(اين جيست)؟ "ما يسيل منك"، فقال له:

أبست نبيذست عصارات زبيبست سميت رو سفيدست

(ومعناه: هذا ماء نبيذ، هذا عصير زبيب، و أسميته عاهرة)

فلما ألح عليه مايخرج منه، وساءت حالته قيل لابن زياد: يكفيه ما فيه، لا نأمن أن يموت فأمر به فأنزل، فاغتسل فلما خرج من الماء قال:

يغسل الماء مافعلت، وقولي راسخ منك في العظام البوالي

ثم بعدها اعيد إلى السجن، وطالت المدة، فدفع بمال في الخفاء إلى رجل، أرسله الى دمشق وقال له:

إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع دمشق وانشد هذه الأبيات:

أبلغ سراة بني قحطان قاطبة عضت بضر أبيها سادة اليمن
أضحى دعي زياد فقع قرقرة يا للحوادث يلهو بابن ذي يزن
والحميري صريع وسط مزبلة هذا لعمرك غبن ليس كالغبن
قولوا جميعا أمير المؤمنين لنا عليك حق ومن ليس كالمنن
اكفف دعي زياد عن أكارمنا ماذا تريد بذي الأحقاد والاحن

ففعل الرسول ما أمره به و أنشد الأبيات فحميت اليمانية و غضبوا وركب طلحة الطلحات إلى الحجاز (و هو ليس قرشيا و كان الحميري حليف بني أمية) فقال لهم طلحة يا معشر قريش ان أخاكم و حليفكم ابن مفرغ قد ابتلى بهذه الأعبد من بني زياد و هو عديدكم و حليفكم و رجل منكم، ووالله ما أحب أن يجري الله عافيته إلى يدي دونكم ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا أنتم منها، فانهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية فان أهل اليمن قد تحركوا بالشام، وبعدها أخلي سراحه.

توفي بن المفرغ الحميري سنة69هـ، بعد أن قضى فترة من عمره، تارة في سجن عبيد الله بن زياد بالبصرة، وأخرى في سجن عباد بن زياد بسجستان.

حباني عبيد الله يأبنة أبجر بهذا وهذا للجمانة أجمع
يقر بعيني أن أراها وأهلها بأفضل حال ذاك مرأى ومسمع
وخبرتها قالت لقد حال بعدنا فقد جعلت نفسي إليها تطلع
وقلت لها لما أتاني رسولها وأي رسول لا يضر وينفع
أُحبك ما دامت بنجد وشيجة وما رفعت يوما إلى الله إصبع
وإني ملي يا جمانة بالهوى وصدق الهوى إن كان لك يقنع

*

ألاطرقتنا آخر الليـــــل زينـب سلام عليكم هل لما فات مطلب
فقلت لها حييت زينب خدنكم تحية موتى وهو في الحي يشرب
وقالت تجنبنا ولا تقربننـــا فكيف وأنتم حاجتي أتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب
أصاب عذابي اللون فاللون شاحب كما الرأس من هول المنية أشيب
قرنت بخنزير وهر وكلبة زمانا وشان الجلد ضرب مشذب
وجرعتها صهباء من غير لذة تصعد في الجثمان ثم تصوب
وأُطعمت ما إن لا يحل لأكل وصليت شرقا بيت مكة مغرب
من الطف مجلوبا إلى أرض كابل فملوا وما مل الأَسير المعذب
فلو أن لحمي إذ وهى لعبت به كرام ملوك أو أُسود وأذؤب
لهون من وجدي وسلى مصيبتي ولكنما أودى بلحمي أكلب
أعباد ما للؤم عنك محول ولا لك أُم في قريش ولا أب
سينصرني من ليس تنفع عنده رقاك وقرم من أُمية مصعب
وقل لعبيد الله ما لك والد بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

*

تعلق من أسماء ما قد تعلقا ومثل الذي لاقى من الحب أرقا
وحسبك من أسماء نأي وأنها إذا ذكرت هاجت فؤادا معلقا
سقى هزم الأَرعاد منبجس العرا منازلها من مسرقان فسرقا
وتستر لا زالت خصيبا جنابها إلى مدفع السلان من بطن دورقا
إلى الكربج الأعلى إلى رامهرمز إلى قريات الشيخ من نهر أربقا
إلى حيث يرفى من دجيل سفينه ودجلة أسقاها سحابا مطبقا
بلاد بنات الفارسية إنها سقتنا على لوح شرابا معتقا
إلى حيث سار المرء بسر بجيشه فقتل بسر ما استطاع وحرقا

*

أقفرت من آل ليلى الهضاب وعفا بعد الأَنيس الجناب
منزل منا ومن آل ليلى إذ خيام دارهم وقباب
داركم دار لنا إن سلمنا وانقضى الغزو وحان الإياب
أيها الشاتم جهلا سعيدا وسعيد في الحوادث ناب
ما أبوكم مشبها لأَبيه فاسألوا الناس بذاكم تجابوا
ساد عباد وملك جيشا سبحت من ذاك صم صلاب
إن عاما صرت فيه أميرا تملك الناس لعام عجاب

*

طرب الفؤاد وعادني أحزاني وذكرت غفلة باطلي و زماني
عـالجـت أيـاما أشـبن ذوائبـي ورميت دهرا عارما و رماني

*

وقال في قصيدة له، و هي من أجود شعره:

أصرمت حبلك من أُمامه مـن بـعـد أيـــام بـــرامـه
ورمقتـها فـوجـدتـــها كالضلع لـيس له استقامـه
فالريـح تبـكـي شـجوهـا والبرق يلـمع في الغـمامه
لهـفي علـى الأَمـر الـذي كانـت عـواقبـه نـدامـه
تـركي سـعيـدا ذا الـنـدى والبيت ترفـعـه الـدعـامـه
ليثـا إذا شـهـد الـوغـــى ترك الهوى ومضى أمامه
فتـحـت سـمـرقـنـد لـــه وبـنـى بـعـرصتهـا خيامـه
كانـوا صـديقـا قـبـل ذا فـــألـم دهـــر ذوعـــرامـه
وتبعـت عـبـد بـنـي عـلا ج تـلـك أشـراط القيـامـه
جـــاءت بـه حـبـشـيـة سكـاء تـحسبـهـا نعـامـه
مـن نسوة سـود الـوجـو ه تـرى عـلـيـهـن الدمامـه
وشريـت بـردا لـــيتـنـي من بعد بـــرد كنت هامـه
هامـة تـــدعـو الصـــدى بيـن الـمشـقـر واليمامـه
فالهـول يـركـبـه الفتـى حـذرالـمخـازي والسآمـه
والعبـد يقـرع بالعصـا والحـر تـكـفيـه الـملامـه

*

الكميت بن زيد الأسدي، من شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات، ولد الكميت في سنة (60 هـ) وقتل في خلافة مروان بن محمد سنة (126 هـ).
وينتهي نسبه إلى قبيلة بني أسد بن خزيمة من مضر.
قال أبو الفرج الأصفهاني : الكميت، شاعر، مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها المتعصبين، ومن العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها، كان في أيام بني أمية، ولم يدرك العباسية، وكان يعرف عنه التشيع لبني هاشم.
وقال له الفرزدق: أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي! .
وسئل معاذ الهراء : من أشعر الناس؟ قال : أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا : بل من الجاهليين، قال : امرؤ القيس ، وزهير ، وعبيد بن الأبرص . قالوا : فمن الإسلاميين ؟

قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والراعي .
فقيل له : يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت؟
قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.
منذ صباه كان الكميت، فطن ذكي سريع البديهة قوي الحجة، طليق اللسان، وقد قيل بأنه كان من حفظة القرآن الكريم، جيد الخط في الكتابة، فارس شجاع، آمن بعقيدته ودافع عنها، بالمنطق، وفي المناظرة والحوار، وكرس حياته بالتفقه بالدين.
ولد في الكوفة وعاش فيها، وكان يقوم بتعليم ابناء رعيله أصول الدين، وكان من الشعراء الأوائل الذين عبروا عن أفكار معتقدهم بالنظم الشعري، فإستمال إليه الأسماع وزرع الحماسة في القلوب للعمل على التغير وإصلاح أمور الناس، فلقد جعل من الإمام الحسين بن علي، قدوة له وسار على منهاجه، فجاهر في العلن دون ريبة أو خوف بتشيعه ومحبة آل بيت النبوة، حيث قال:

فإن هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأوجب
يقولون لـم يورث ولولا تراثه لقـد شركت فيها بكيـل وأرحب

روى أبو الفرج في الأغاني، بإسناده عن محمد بن علي النوفلي قال:
سمعت أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال (الهاشميات) فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس؟ إنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي؟
قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟
قال: نفث على لساني فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره وكنت أولى من ستره علي!
فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت فأنشتده:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟
فقلت:

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

فقال: بلى يا بن أخي؟ فألعب فإنك في أوان اللعب.
فقلت:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال: ما يطربك يا بن أخي؟
فقلت:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أغضب

فقال: أجل لا تتطير؟
فقلت:

ولكن إلى أهل الفضايل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال: ومن هؤلاء؟ ويحك!
قلت:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟
قلت:

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضي مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا على أني أذم وأغضب
وأرمي وأرمي بالعدواة أهلها وإني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال الفرزدق: يا بن أخي؟ أذع ثم أذع، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي؟

قال الكميت في حديث خم:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهم يمتري منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقما وحزنا كان من جذل منوعا
وتوكاف الدموع على اكتئاب أحل الدهر موجعه الضلوعا
ترقرق أسحما دررا وسكبا يشبه سحها غربا هموعا
لفقدان الخضارم من قريش وخير الشافعين معا شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني وكان له أبو حسن قريعا
حطوطا في مسرته ومولى إلى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبي على اختيار بما أعيى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا

ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطرا مبيعا
فلم أبلغ بها لعنا ولكن أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا
فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا
ألا أف لدهر كنت فيه هدانا طائعا لكم مطيعا
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا
ويلعن فذ أمته جهارا إذا ساس البرية والخليعا
بمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لأمته ربيعا
وليثا في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعا
يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جدبها أبدا مريعا

قال الثعالبي في " ثمار القلوب "، عهدي بالخوارزمي يقول: من روى حوليات زهير، وإعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكميت، ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزهريات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم وقلائد المتنبي، ولم يتخرج في الشعر فلا أشب الله تعالى قرنه.

روى أبو الفرج في " الأغاني "، عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه قال:
وجدت قرب باب هشام بن عبد الملك، رقعة فيها شعر فدخلوا بها على هشام، فقرئتها عليه وهي:

تألق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها
ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حده فنلها برسل قبل أن لا تنالها
فتجشم منها ما جشمت من التي بسورأهرت نحو حالك حالها
تلاف أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا يخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوما لحيلة من الأمر إلا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرها وإن لم يبح من لا يريد سؤالها

فأمر هشام أن يجتمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا، فأمر بالأبيات فقرأت عليهم فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعا من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي.
فقال هشام: نعم؟ هذا الكميت ينذرني من خالد بن عبد الله القسري.
ثم كتب إلى خالد يخبره وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه:
إن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية فأتوني من شعر هذا بشئ، فأتي بقصيدته اللامية التي أولها:

ألا هل عم في رأيه متأمل و هل مدبر بعد الإشاعة مقبل
وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل
لقد طال ضد النوم واستخرج الكرى مساوئهم لو أن ذا الميل يعدل
أرانا على حب الحياة وطولها يجد بنا في كل يوم ونهزل
رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم فحتام حتام العناء المطول
وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا لأجور من حكامنا المتمثل
تحل دماء المسلمين لديهم ويحرم طلع النخلة المتهدل
وليس لنا في الفيء حظ لديهم وليس لنا في رحلة الناس ارحل
فيا رب هل إلا بك النصر يرتجى عليهم وهل الا عليك المعول
ومن عجب لم اقضه ان خيلهم لأجوافها تحت العجاجة ازمل
هماهم بالمستلئمين عوابس كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل
يحلئن عن ماء الفرات وظله حسنا ولم يشهرعليهن منصل
كان حسينا والبهاليل حوله لاسيافهم ما يختلي المتبقل
فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقول

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول:
هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك؟
فلما قرأت على هشام أغتاظ بما سمعه من قول الكميت، فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها، فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته و أعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت فقال:
كتب إلي أمير المؤمنين وإني لأكره أن أستفسد عشيرته، وسماه، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد، فأستدعى أحد غلمانه، وأعطاه بغلة شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال له:

إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حر لوجه الله والبغلة لك، ولك علي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك، فركب الغلام البغلة فسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة، فصبحها، فدخل الحبس متنكرا وأخبر الكميت بالقصة، فأرسل الكميت إلى إمرأته وكان أسمها " حبى " وهي ابنة عمه يأمرها، أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان، ففعلت فقال:

ألبسيني لبسة النساء، ففعلت، ثم قالت له:

أقبل وأدبر؟ ما أدري إلا يبسا في منكبيك إذهب في حفظ الله.

فمر بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوايح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

وصل كتاب خالد إلى والي الكوفة، يأمره فيه، بما كتب به إليه هشام، فأرسل الوالي رجاله لإحضارالكميت من الحبس لينفذ فيه أمر الخليفة؟

ومن داخل السجن كلمتهم المرأة وأخبرتهم: أنها في السجن، وإن الكميت قد خرج!.

فكتب بذلك والي الكوفة إلى خالد فأجابه:

حرة كريمة أفدت ابن عمها بنفسها، وأمر بتخليتها!.

أقام الكميت مدة متواريا حتى إذا أيقن أن الطلب خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قريش يشرح لهم ما هو فيه.

فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض وأتوا سيد قريش يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص، فقالوا:

يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى، هذا الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا؟

قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء؟

فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبر معاوية بن هشام، وسارعنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال:

يا أبا شاكر؟ مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها فإن تفي بها، وإلا كتمتها؟.

قال: وما هي؟ فأخبره الخبر وقال: إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله

فقال: علي خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول؟

فقال له هشام: أجئت لحاجة؟

قال: نعم؟

قال هشام: هي مقضية إلا أن تكون الكميت؟

فقال: ما أحب أن تستثني علي في حاجتي وما أنا والكميت؟
فقالت أمه: والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت!
قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها؟
قال مسلمة: يا أمير المؤمنين؟ وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني، وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولا لم يقل مثله؟
قال: قد أمنته وأجزت أمانك له، فأجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا، فعقد مجلسا وعنده الأبرش الكلبي، وجاء الكميت، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط، وامتدحه بقصيدته الرائية ويقال: إنه قالها ارتجالا وهي قوله:

قف بالديار وقوف زائر وتأي إنك غير صابر
ماذا عليك من الوقوف بها إنك غير صاغر
درجت عليك الغاديات الرابحات من الأعاصر
فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصائر

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول: اسمع اسمع، ثم استأذنه الكميث في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشد يقول:

سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شلت
أدامت عليكم بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاء شديدا فوثب الحاجب فسكته، ثم جاء الكميت إلى منزله آمنا فحشدت له المضرية بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وإنه لا سلطان له عليهم.
وفي رواية أخرى: إنه لما أجاره مسلمة بن هشام وبلغ بذلك هشام استدعاه وقال له:
أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟
فقال: كلا ولكنني انتظرت سكون غضبه!.
قال: أحضرنيه الساعة فإنه لا جوار لك؟.
فذهب مسلمة وقال للكميت: يا أبا المستهل؟ إن أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك!
قال أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا ولكني أحتال لك!.
ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق بإجارته؟.
فأصبح هشام على عادته متطلعا من قصره إلى القبر

فقال: ما هذا؟
فقالوا: لعله مستجير بالقبر.
فقال: يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له.
فقيل: فإنه الكميت!.
فقال: يحضر أعنف إحضار، فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلما نظر هشام إليهم إغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات وما حظه من الدنيا فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا في من إستجار به، فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت؟ أنت القائل:

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تروى بنا وهي شزب

فقال: لا والله أتان من أتن الحجاز الوحشية، ثم قال الكميت: الحمد لله؟.
قال هشام: نعم الحمد لله، ما هذا؟
قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه، الذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته، أحمد حمد من علم يقينا، وأبصر مستبينا، وأشهد له بما شهد به لنفسه، قائما بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده العربي، ورسوله الأمي، أرسله و الناس في هفوات حيرة، ومدلهمات ظلمة، عند استمرار أبهة الضلال، فبلغ عن الله ما أمر به، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم، ثم تكلم واعتذر عن هجاؤه بني أمية وأنشد أبياتا من رائيته في مدحهم
فقال له هشام: ويلك يا كميت من زين لك الغواية ودلاك في العماية؟
قال: الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما!
فقال له: إيه يا كميت؟ ألست القائل؟

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فقال: بل أنا القائل:

إلى آل بيت أبي مالك مناخ هوالأرحب الأسهل
نمت بأرحامنا الداخلات من حيث لا ينكرالمدخل
بمرة والنضر والمالكين رهط هم الأنبل الأنبل
وجدنا قريشا قريش البطاح على ما بنى الأول الأول
بهم صلح الله بعد الفساد وحيص من الفتق ما رعبلوا

قال له: وأنت القائل:

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام
من يمت لا يمت فقيدا ومن يحيى فلا ذو آل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.
فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين؟:

فـــالآن صـــرت إلـــى أمـية والأمـــور إلـى المصائر
والآن صرت بها إلى المصيب كـمـهـتـد بـــالأمـس حـائر

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين؟ إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب!
قال هشام : بماذا؟
قال الكميت بقولي الصادق:

أورثتـه الحصان أم هـشـــام حـسبا ثاقبا ووجها نضيرا
وتعاطى به ابن عايشة البدر فأمـسى لـه رقـيبا نـظـيرا
وكساه أبو الخـلايف مروان سـناء الـمكـارم الـمـأثـورا
لم تجهـم لـه الـبطاح ولـكن وجـدتها لـــه مـعانا ودورا

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال: هكذا فليكن الشعر، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان إلى جانبه ثم قال: قد رضيت عنك يا كميت؟
فقبل يده و قال: يا أمير المؤمنين؟ إن رأيت أن تزيد في تشريفي فلا تجعل لخالد علي إمارة.
قال: قد فعلت، وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا هشامية وكتب إلى خالد: أن يعطي " حبى زوجته " عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا.

كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها (صدوف) مدنية اشتريت له بمال جزيل عتب عليها ذات يوم في شيئ وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال: مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين؟ لا غمك الله.
فأخبره هشام بالقصة فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول:

أعتبت أم عتبت عليك صدوف وعـتـاب مـثـلك مثلها تشريف
لا تـقعـــدن تـلوم نـفسـك دائبـــا فـيـها وأنـت بـحبـها مـشغوف
إن الـــصريـمة لا يـقـوم بـثقلها إلا القـوي بهـا وأنت ضعيـف

فقال هشام: صدقت والله ونهض من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته!

بقي الكميت في دمشق فترة طالت مدتها وبعدها رجع إلى الكوفة، و كان يتقرب من أئمة بني هاشم، ويحظر منتدياتهم ويشارك في جميع مناسبات ذكرى مآسيهم، وكانوا يغدقون عليه العطاء، ويثنون عليه.
ويحكى بأنه قد علم بخلع أمير العراق من قبل بني أمية، خالد بن عبد الله القسري، وبتولى بلاد السواد من بعده، يوسف بن عمر الثقفي، وما كان يعرف عن الكميت في حينها، مناكدته وكرهه الشديد لخالد القسري، وقال فيه:

ألا حييت عنا يا مدينا وهل ناس تقوى مسلمينا
لنا قمر السما وكل نجم تشير إليه أيدي المهتدينا
وجدت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبينا

وفي هذه القصيدة الطويلة التي كانت من ما يقارب مئات الأبيات، يظهر فيها الكميت، تعصبه الشديد لبني هاشم وإلى نسبه العدناني، ويفخر على خالد القسري وكان من اليمن، وتعرض له بهجاء أمه، فسمع خالد القسري بما قاله الكميت، وكان على ولاية العراق قبل عزله، والسلطة كانت بين يديه، فقال في حينها خالد القسري:
أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط، ثم خلى عنه ومضى؟
وبعدها نراه بداخل دار الولاية بعد مقتل الوالي القديم خالد القسري، على يد الوالي الجديد يوسف بن عمر، إنتصب الكميت يمدح يوسف بن عمر، ويشمت بخالد فقال:

خرجت لهم تمسي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرتاج المضبب
وما خالد يستطعم الماء فاغرا بعدلك والداعي إلى الموت ينعب

وكان بعض الجند في دار الولاية، في بداية ولاية يوسف، متعصبين لخالد، فوضعوا نصال سيوفهم في بطن الكميت، فبقروا بطنه وأمعنوا نصال سيوفهم في جسده،
وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره؟
فلم يزل ينزف الدم حتى مات؟
وروي عن المستهل بن الكميت أنه قال:
حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه، ثم أفاق ففتح عينه ثم قال: (اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد).

وروي بأنه قال لولده المستهل : إذا مت فامضي بي إلى موضع يقال له (مكران)، فأدفني فيه، فدفن الكميت في ذلك الموضع، وكان أول من دفن فيه، في سنة 126هـ، وهي مقبرة بني أسد.

وفي رواية أخرى، كان سبب موته ما حكاه حجر بن عبد الجبار فقال :
خرجت الجعفرية على خالد القسري وهو يخطب على المنبر ولا علم له بهم،
فخرجوا في التبابين ينادون : لبيك جعفر، لبيك جعفر؟
وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم ما يقول فتلعثم و قال :
أطعموني ماء؟ (لقد وردت هذه في مدح الكميت، ليوسف وتهكمه على خالد، حين قال:
" وما خالد يستطعم الماء فاغرا ").
ثم خرج الناس إليهم فأخذوهم، فجعل يجيئ بهم إلى المسجد و يؤخذ طن القصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم : احتضنه ؟.
ويضرب حتى يفعل ثم يحرق، فحرقهم جميعا؟
فلما عزل خالد عن العراق و تولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، دخل عليه الكميت ومدحه وتهكم على خالد؟، والجند وهم ثمانية فتعصبوا لخالد فوضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت، فوجؤوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟، فلم يزل ينزف الدم حتى مات.

سيرة الكميت، أحرجت مقدرتي واستهلكت الكثير من البحث والتفتيش، وخلقت عندي الكثير من التساؤلات والحيرة، فالمصادر كانت شبه معدومة، وما ورد من ذكر الكميت فيها كانت فيه التفاصيل شحيحة، وكانت لاتتعدى روابط الجمع بين حدث وآخر، ولقد ورد منها مثل ذلك في سيرة وسرد لغيره من الشعراء أو أشخاص كانوا على مسرح الأحداث مابين فترة سنة 60 هـ وفترة 126 هـ، ومنها السيرة الذاتية للفرزدق، وبعض ما قاله الجاحظ في سرده عن بني هاشم، وكذلك فعل الأصفهاني وابن قتيبة.
فتولدت عندي علامات إستفهام كثيرة، فالرجل كان كلما ورد أسمه كان القول المركز ينتصب كالشهب ويقال " كان بليغ فصيح، ذكي فطن، شديد المجاهرة بتشيعه ومحبته لبني هاشم، فمدحهم وكان من مواليهم، وكان يطلق على أشعاره في بني هاشم تسمية خاصة وهي (الهاشميات) ".
وما استطعت أن أحصل عليه، بعد العناء والجهد المضني، هذا القليل المختصر الموجز، والكثير من علامات الإستفهام ومنها:
- لم اتمكن من تفهم موقف خالد القسري والي العراق، عندما جاء إليه الأمر من هشام بن عبد الملك بما معناه هدر دم الكميت، ولماذا ذهب خالد بالتلميح لذلك (كما ورد عند الأصفهاني وغيره)، تحت حجة بأنه لايريد أن يستنهض عشيرة الكميت ويفسد عليه

أمرهم، فقام بالتنويه لربما استطاع الكميت تخليص نفسه من الهلاك، وأستمر الحقد والكراهية بين الرجلين، فالكميت كانت له صلات ومعارف مع العديد من أنصار بني أمية، وحتى أنه استجار بمسلمة بن هشام، وكذلك تحرك سيد قريش عنبسة بن سعيد بن العاص؟
وبعدها دخل الكميت بلاط هشام ودار الخلافة، ووصلت الأمور بينه وبين الخليفة إلى أكثر من المديح ودخلت بمنحى التصريح عن بعض الأمور العاطفية الخاصة بالخليفة هشام وجاريته.
- الأمر الآخر العلاقة الشديدة بين الكميت ومحبتة لبني هاشم، ومحبتهم له، فكان يجالسهم وينشدهم من شعره، وكانوا يهبونه العطاء بسخاء رغم تمنعه وتردده بالقبول بها.
ومن كتاب " الكميت وشعره في الغدير " للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني":
(وقد انهالت الدنيا " على الهاشمين " قضها بقضيضها على أضدادهم يوم ذلك من طغمة الأمويين ولو كان المتطلب يطلب شيئ من حطام الدنيا، أو حصولا على مرتبة، أو زلفة تربى به، لطلبها من أولئك المتغلبين على عرش الخلافة الإسلامية، فرجل يلوي بوجهه عنهم إلى أناس مضطهدين مقهورين، ويقاسي من جراء ذلك الخوف والإختفاء تتقاذف به المفاوز والحزون، مفترعا ربوة طورا، ومسفا إلى الأحضة تارة، وورائه الطلب الحثيث، وبمطلع الأكمة النطح والسيف، ليس من الممكن أن يكون ما يتحراه إلا خاصة فيمن يتولاهم، لا توجد عند غيرهم، وهذا هو شأن الكميث مع أئمة الدين عليهم السلام فقد كان يعتقد فيهم أنهم وسائله إلى المولى سبحانه، وواسطة نجاحه في عقباه، وإن مؤدتهم أجر الرسالة الكبرى).
وبالرغم من ذلك، فهل تراجع الكميت عن معتقده وسار إلى بني أمية يمدحهم ويسامرهم؟؟
وفي كتاب الأغاني، ذكر الأصفهاني، عن صاعد؟:
(قال صاعد: " دخلنا مع الكميت على فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي، فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وسقت الكميت فشربه ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب، فهملت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إني لم أحبكم للدنيا. ")
وعن العلامة عبد الحسين الأميني:
(ماقاله الكميت للإمام السجاد زين العابدين عليه السلام: إني قد مدحتك لأن يكون لي وسيلة عند رسول الله؟).
ويعبرعن ذلك كله صريح قوله: للإمام الباقر محمد بن علي عليهما السلام: والله ما أحبكم لعرض الدنيا وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله وما أوجب الله علي من الحق.
ألا والله لا يعلم أحد أني آخذ منها حتى يكون الله عز وجل الذي يكافيني.
وقوله للإمامين الصادقين عليهما السلام: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة.
وقوله لعبد الله بن الحسن بن علي عليه السلام: والله ما قلت فيكم إلا لله وما كنت لآخذ على شيئ جعلته لله مالا ولا ثمنا.

وقوله لعبد الله الجعفري: ما أردت بمدحي إياكم إلا الله ورسوله، ولو أك لآخذ لكم ثمنا من الدنيا.
وكان أئمة ورجالات بني هاشم يلحون في أخذ الكميت صلاتهم، و قبوله عطاياهم، مع إكبارهم محله من ولائهم، واعتنائهم البالغ بشأنه، والاحتفاء و التبجيل له، والإعتذار عنه بمثل قول الإمام زين العابدين له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإن الله لا يعجز عن مكافأتك.
وهو مع ذلك كله كان على قدم وساق من إباءه واستعفاءه إظهارا لولاءه المحض لآل الله، وقد مر أنه رد على الإمام السجاد عليه السلام أربعمائة ألف درهم وطلب من ثيابه التي تلي جسده ليتبرك بها.
ورد على الإمام الباقر مائة ألف دينار، وخمسين ألف أخرى وطلب قميصا من قمصه.
ورد على الإمام الصادق ألف دينار وكسوة واستدعى منه أن يكرمه بالثوب الذي مس جلده.
ورد على عبد الله بن الحسين ضيعته التي أعطى له كتابها وكانت تسوى بأربعة آلاف دينار.
ورد على عبد الله الجعفري ما جمع له من بني هاشم ما كان يقدر بمائة ألف درهم.)

فكان الكميت منذ غضاضة شبابه التي نظم فيها " الهاشميات " خائفا يترقب طيلة عمره مختفيا في زوايا الخمول إلى أن قام بفريضة الحج، وبعدها أوضح المحجة، و أظهر بها الحق، وأتم بها البرهنة، وبلغ ضالته المنشودة من بث الدعاية إلى العترة الطاهرة، فلما دوخ صيت شعره الأقطار، وقرطت به الآذان، ودارت على الألسن إستجاز الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يمدح بني أمية صونا لدمه فأجاز له، رواه أبو الفرج في " الأغاني " بإسناده عن ورد بن زيد أخي الكميت قال:
"أرسلني الكميت إلى أبي جعفر عليه السلام فقلت له: إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال: نعم هو في حل فليقل ما شاء".
في حديث البياضي، واستجزى له بالخير وأثنى عليه أخرى كما في منام نصر بن مزاحم، وقال له ثالثة: بوركت وبورك قومك.
كما في حديث السيوطي: ودعا له الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام بقوله: أللهم أحيه سعيدا وأمته شهيدا، وأره الجزاء عاجلا، وأجزل له جزيل المثوبة آجلا.
ودعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتى في مثل أيام التشريق بمنى وغيرها، متوجها إلى الكعبة بالإسترحام والإستغفار له غير مرة، وبقوله:
لا تزال مؤيدا بروح القدس تارة أخرى.
ومن دعائه عليه السلام له في أيام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزاز القمي بإسناده في (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثنى عشر) عن الكميت أنه قال: دخلت

علي سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر فقلت: يا بن رسول الله؟ إني قد قلت فيكم أبياتا أفتأذن لي في إنشادها؟
فقال: أيام البيض؟
قلت: فهو فيكم خاصة!
قال: هات؟
فأنشأت أقول:

أضحكني الدهر وأبكـاني والدهر ذو صرف وألوان
لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعا رهن أكفان

وبعدها بفترة، كما جاء في " كتاب الأغاني"، عن حبيش بن الكميت قال: وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوما وقد اشتريت له " سلامة القس " فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له: يا أبا المستهل؟ هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها؟
فقال الكميت: أي والله يا أمير المؤمنين؟ وما أرى أن لها مثيلا فلا تفوتنك، قال فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك؟
فقال الكميت:

هي شمس النهار في الحسن إلا أنها فضلت بفتك الطـراف
غضـة بضـة رخيـم لعوب وعثـة المتـن ثخنة الأطراف
زانـــها دلـــها وثـغر نقـي وحديث مرتل غير جاف
خلقت فـــوق منية المتمنـي فاقبل النصح يا بن عبد مناف

قال: فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل. فأمر له بجائزة سنية؟.

حينما ثار زيد بن علي بن الحسين، على هشام، وقف الكميت يؤيد ويدعو للمشاركة في الثورة على حكم بني مروان، مما أثار عليه حكام عصره، فتعرض للأذى، وسجن، وتشرد كما يشير إلى ذلك في إحدى هاشمياته:

ألم ترني من حب آل محمد أروح وأغدو خائفا أترقب
كأني جان أو محدث أو كأنما بهم أتقى من خشية العارأجرب

وتقضي المقادير أن تفشل ثورة زيد، ويقتل على يدي يوسف بن عمر الثقفي والي العراق، ويصلب في الكناسة، وينبري الكميت لهجاء يوسف الثقفي لما فعله بزيد:

يـعـزعـلـى أحـمـــد للـذي أصاب ابنه الأمس من يوسف
خبيث من المعشر الأخبثيـن وإن قـلـت زانـيــن لـم أقــذف

وبعدها استدرك الكميت، فهاج وثارت ثائرته:

فبهـم صـرت للـبعيد ابـن عـــم واتــهـمت القريب أي اتهـام
مبديا صفحتي على الموقف المعلم بالله قـوتــي واعـتصامـــي
مـــن لـــقـلـب مـــتيم مـستـهـــام غـيـر مـا صبوة ولا أحـلام

وعاد الكميت إلى هجاء الأمويين وبني مروان منهم:

فقل لبني أمية حيث حلـوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجـاع الله من أشبـعـتمـوه وأشبع من بجوركم أجيعا
بمرضي السياسة هاشمي يكـون حيــا لأمـتـه ربيعا

ويدافع عن نفسه بالإبتعاد عن التقية والتملق:

بـــل هـواي الـذي أجـن وأبـدي لبـنـي هـاشـم فــروع الأنـــام
الغيوث الليوث إن أمحـل الناس فـمـأوى حـواضــن الأيـتـــام
سـاســـة لا كـمـن يـرى رعية النـاس سـواء ورعـيـة الأنـعـام

وفي بيت من الشعر يتيم:

أهوى علي أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمر

ولقد تجاهل وجود الكميت العديد من المؤرخين، وأهملوا ذكره، حتى وصل بأحدهم القول بأنه لم يكن هناك كميت؟؟؟

وبعد هذه التساؤلات والفوارق المتناقضة، ومرور الزمن نجد الكميت في دار الولاية عند يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق، حيث لقي نحبه وقتله جند الوالي، المحبين للوالي القديم خالد بن عبد الله القسري؟؟

مواقف متعددة تنتابها الحيرة والدهشة، وأعجب ما فيها شخصية الكميت وعفة نفسه، ومكانته التي كان يحظى بها عند أئمة بني هاشم ورجال الحكم الأموي.

بنو مروان كان يهجوهم ويتقربون منه، يغضبون عليه ثم يجيرونه ويكرمونه، يمدحهم ويطلب منهم العفو عن ما سبق له من قول؟
وبنو هاشم كانوا يحبونه ويثقون بإخلاصه ومحبته لهم.
لربما كان سر الكميت يكمن بالتقيـــة؟

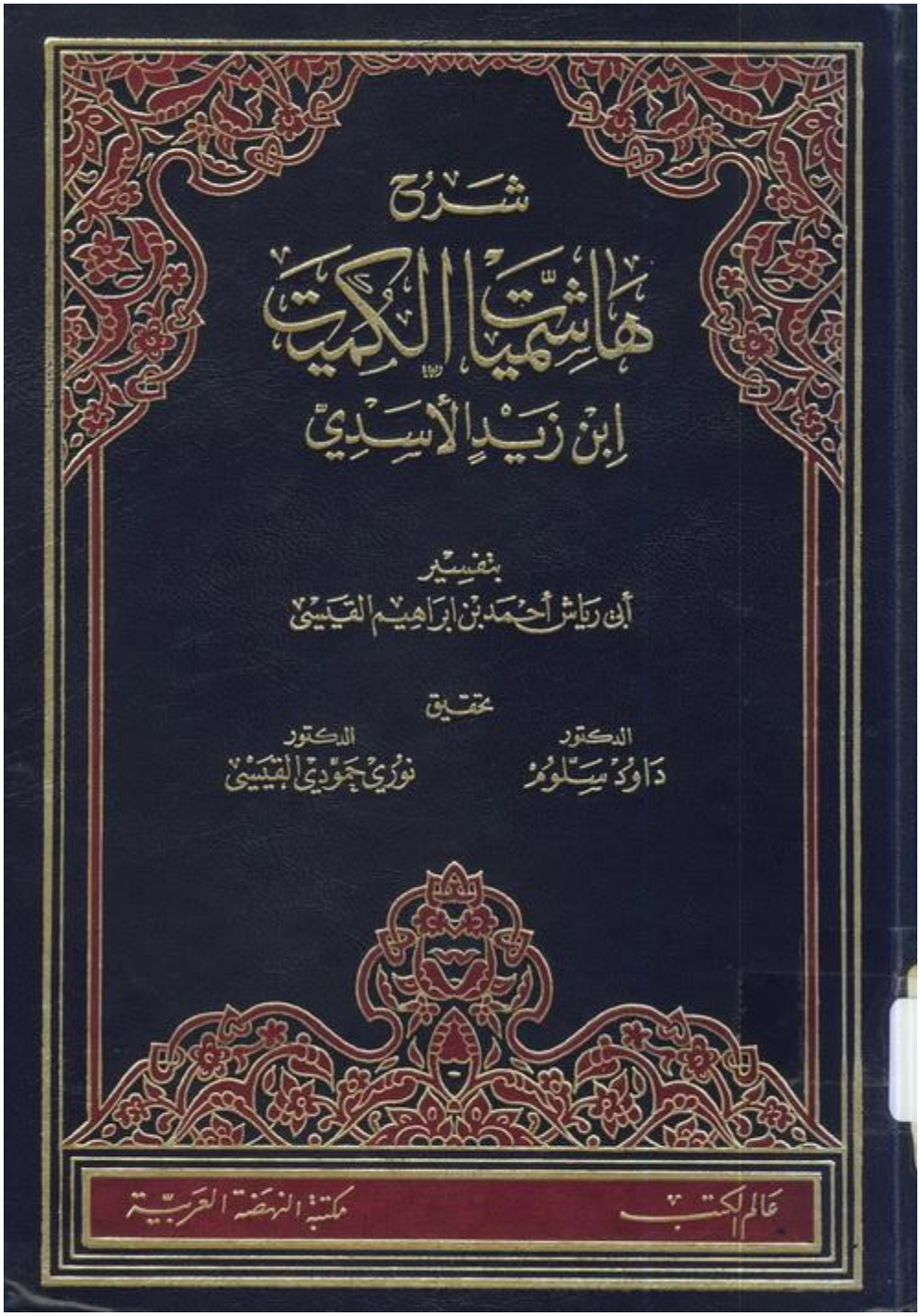

الأصمعي راوية ثقة مشهود له بذلك، وهو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (121 هـ- 216 هـ)، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، وقال: " الهاشميات " هي قصائد للكميت بن زيد الأسدي، قالها في مديح بني هاشم، يقدر مجموع عدد أبياتها 5289 بيت من الشعر، وعرفت بقافياتها الثلاث: الميمية والبائية واللامية.

من الهاشميات:

عــلي أميرالمؤمنين وحقه من الله مفروض على كل مسلم
وإن رسول الله أوصى بحقه وأشركه في كل حق مقسم
وزوجــه صديقة لم يكن لها معادلة غير البتولة مريم
وردم أبواب الذين بنى لهم بيوتا سوى أبوابه لم يردم
وأوجب يوما بالغدير ولاية على كل بر من فصيح وأعجم

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان
لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعا رهن أكفان
وســـتة لا يتجـــــارى بنو عقيل خير فرسان
ثم علي الخير مولاهم ذكرهم هيج أحـــزاني
من كان مسرورا بما مسكم أو شامتا يوما من الآن
فقد ذللتم بعد عــز فما أدفع ضيما حين يغشاني
متى يقوم الحق فيكم متى يــقوم مهديكـــم الثاني

*

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب
حياتك كانت مجدنا وسناءنا وموتك جدع للعرانين مرعب
فبوركت مولودا وبوركت ناشئا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب
وبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل بذلك يثـــرب
لقد غيبوا برا وصدقا ونائلا عشية واراك الصفيح المنصب
فنعم طبيب الناس من أمر أُمة تواكلها ذو الطب والمتطبب
ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب
له سترتا بسط فكف بهذه بكف وبالأُخرى العوالي تخضب
محاسن من دنيا ودين كما بها حلقت بالأمس عنقاء معرب

شـعـراء الأنــدلـــس

يــا أهــل أندلـــس لله دركـــم مـــاء وظل وأنهار وأشـــجار
مــا جنة الخلد إلا في دياركم ولـــو تخيرت هذي كنت أختار

قبل أن يظهر العرب المسلمون على مسرح التاريخ، كان البحرالأبيض المتوسط يسمى بحر الروم، وكان البربر في المغرب وثنيين، ظلمهم الروم فثاروا عليهم، وأتصل زعماؤهم بالعرب (الذين كانوا في حينها يسيطرون على مصر وبلاد النوبة).

ففاوضوهم واشتركوا معهم في مقاتلة الروم، وقد أستغرق الفتح الإسلامي للمغرب نحو سبعين عام بدأ ببعثة إستطلاعية، قام بها عقبة بن نافع الفهري (21هـ/642م) وأنتهى بحملة موسى بن نصير التي أخضع فيها المغرب الأقصى سنة (90هـ/708م)، وصارت بلاد المغرب تابعة للدولة الأموية، بل ولاية من ولايات الدولة، وبعدها سيطروا على شبه جزيرة إيبرية (إسبانية والبرتغال)، وصار أسمها " الأندلس" وأستقروا فيها زهاء ثمانية قرون (منذ فتحها عام 92هـ/ 711م بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، وآخرين، حتى سقوط أخر معقل لهم " غرناطة " عام 897هـ/1492م).

تحت السيطرة العربية، كان الأندلس والمغرب جزءان مترابطان في عالم واحد، كان يعرف في القديم عند المشارقة " بالمغرب الإسلامي "، وقد ظلا يمثلان طوال العصور العربية حضارة موحدة العلاقات في السياسة والفكر الإجتماعي، وفي العلاقات البشرية المستمرة من هجرة وإختلاط وتزاوج.

حكم الأندلس مدة ستة وأربعين سنة (92-138هـ/711-755م) ولاة كان يعينهم الخليفة في دمشق، أو عامله على إفريقية، ولما قوض العباسيون صرح الدولة الأموية، فر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن مروان من الشام في مغامرة طويلة حتى وصل إلى قرطبة في الأندلس سنة (137هـ/755م)، وأستطاع بدهائه السياسي أن يؤسس إمارة، حاضرتها قرطبة أستمرت من عام (138هـ حتى عام 300هـ/756-912م)، ولقب " عبد الرحمن الداخل " وكذلك " صقر قريش " و " عبد الرحمن الأول ".

وفي عهد عبد الرحمن الثالث الذي لقب " الناصر " (وحكم من سنة 300 حتى 350هـ 912-961م)، تحولت الإمارة إلى خلافة، و بلغت الأندلس أوج مجدها السياسي والأدبي ونافست قرطبة بغداد، في حينها.

جاء العرب بلغة حية تأثرت بها اللغتان الإسبانية والبرتغالية، و كذلك بمد أدبي وديني حمل عبارة تتصدر معاهد العلم وهي: " العلم يقوم على أربعة أركان: معرفة الحكيم، وعدالة العظيم، وصلاة التقي، وبسالة الشجاع ".

وفي العصر العباسي، قامت دويلات في المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، ففي المغرب الأقصى قامت دولة الأدارسة واستمرت حتى القرن الرابع الهجري، ثم ظهر المرابطون في القرن الخامس الهجري، وبعدها سيطر الموحدون (المصامدة) على بلاد المغرب، ثم إنقسمت إلى ثلاث دول: دولة بني مرين في المغرب الأقصى، ودولة بني عبد الوادي (بني زيان) في المغرب الأوسط، ودولة بني حفص في المغرب الأدنى .

وصارت القيروان، التي أسسها عقبة بن نافع (كمعسكر لجنوده)، العاصمة الإسلامية الأولى للمغرب العربي.

وبعد أن عبث الأعراب بالقيروان، لجأ " المعز " إلى المهدية، وأتخذها عاصمة له، ثم ازدهرت مدن أخرى منها تلمسان وبجاية وصفاقس وفاس التي اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، وكانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان بعبث الأعراب فيها، واضطربت قرطبة بإختلافات بني أمية بعد موت المنصور محمد بن أبي عامر وابنه، رحل عن هذه وهذه من كان فيها من العلماء والفضلاء فنزلوا فاس وتلمسان، كما رحل بعضهم إلى مصر وأقطار أخرى؟

وقد اتخذ المرابطون والموحدون من مدينة مراكش دار مملكتهم، ثم بنى الموحدون مدينة رباط الفتح، وبنوا فيها المسجد الجامع وعملوا له مئذنة على هيئة منارة الاسكندرية.

و كانت مدن المغرب مراكز ثقافية وجسر عبور للتيارات الثقافة في طريقها من المشرق إلى إسبانية.

كونت صقلية مع بلاد المغرب وشمالي إفريقية والأندلس وحدة ثقافية ذات طابع خاص جوهره التراث الثقافي العربي الإسلامي، وساعد في حفظه كثرة الإنتقال والإتصال.

وقد أدت الأندلس وصقلية الدور البارز في النهضة الأوربية عن طريق نقل هذا التراث كما يشهد بذلك الباحثون، مما يجعل الحديث عن فضل الحضارة العربية الإسلامية من الوقائع التاريخية الثابتة .

كان قوام المجتمع الأندلسي في بداية الأمر من الفاتحين العرب والبربر، وقد وحدت بينهم راية الحرب، والدعوة إلى الجهاد .

ودخل قسم كبير من أهل البلاد في الإسلام، وتمتع باقي السكان من النصارى واليهود بحياة مطمئنة، ومارسوا شعائرهم الدينية بكل حرية.

واحتلت المرأة في الأندلس منزلة عظيمة، ونالت حظها الوافر من التعليم، ونبغت في العلوم والآداب والفنون، كثيرات منهن، و قيل إن مئة وسبعين امرأة بضاحية قرطبة الشرقية كن يعملن في نقل نسخ من القرآن الكريم بالخط الكوفي وكان يعهد إلى النساء بتربية أبناء

الأمراء والأغنياء وتأديبهم، فأبن حزم تلقى ثقافته الأولى على يد نساء قصر أبيه، وهن علمنه القرآن، وروين له الأحاديث الشريفة، وتعلم منهن فنون الخط والكتابة.
وكان الغزل من أبرز الفنون التقليدية، يستهل به الشعراء قصائدهم، أو يأتون به على حدة، بحكم الجوار، ولكثرة السبايا، فشاع التغزل بالنصرانيات، وكثر ذكر الصلبان والرهبان والنساك.
كذلك شاع التشبيب بالشعر الأشقر بدل الشعر الأسود الفاحم، كما أن الشعراء جعلوا المرأة صورة من محاسن الطبيعة.
قال المقري: " إنهم إذا تغزلوا فصاغوا من الورد خدود، ومن النرجس عيون، ومن الآس أصداغ، ومن السفرجل نهود، ومن قصب السكر قدود، ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم، ومن إبنة العنب رضاب "
ولم يظهر المجون (الذي يختلط فيه الجد بالهزل)، في عهد الدولة الأموية في الأندلس لإنشغال الناس بالفتوحات، من جهة، ولأن الوازع الديني كان في النفوس قوي.
ونظم الأندلسيون الشعر في الأغراض التقليدية كالغزل والمجون والزهد والتصوف والمدح والهجاء والرثاء، وقد طوروا موضوع الرثاء فأوجدوا " رثاء المدن والممالك الزائلة " وتأثروا بأحداث العصر السياسية فنظموا " شعر الإستغاثة "، وتوسعوا في وصف البيئة الأندلسية، وأستحدثوا فن الموشحات والأزجال.
منذ عصر ملوك الطوائف حتى نهاية حكم العرب في الأندلس، أتخذ بعضهم المجون مادة لشعرهم، وأفرطوا فيه إلى حد الإستهتار بالفرائض، مع أنه ظهر في القرن الخامس الهجري في ظل دول الطوائف عدد غير قليل من الشعراء الذين نظموا في الزهد، كأبي إسحق الإلبيري (ت460هـ)، وعلي بن إسماعيل القرشي الملقب بالطليطل، والذي كان من أهل زمانه وكانوا يشبهونه بأبي العتاهية.
ولئن كان الزهد دعوة إلى الإنصراف عن ترف الحياة، فإن التصوف شظف وخشونة وإنعزال عن الخلق في الخلوة إلى العبادة.
ويتخذ الشعر الصوفي الرمز أداة للتعبير عن مضمونه وحقائقه، ومن متصوفي الأندلس ابن عربي (ت638هـ) وقد لقب " بمحيي الدين " و" بالشيخ الأكبر " وابن سبعين (ت669هـ) وكان يلقب " بقطب الدين ".
وفي المدح حافظ الشعراء على الأسلوب القديم، فأعتنوا بالإستهلال وحسن التخلص، وربما بدؤوا قصائدهم بوصف الخمرة أو الطبيعة، أو بلوم الزوجة زوجها لسفره، وبعده عنها، كما في شعر ابن دراج القسطلي (ت421هـ)، وهم لم يغرقوا في إستعمال الغريب ما عدا ابن هاني (ت362هـ) الذي حاول تقليد المتنبي .

ومن الأراجيز العلمية أرجوزة ابن عبد ربه، وأرجوزة الشاطبي، القاسم بن فيرة (ت590هـ) في القراءات وعنوانها " حرز الأماني "، وألفية ابن مالك (توفي بدمشق سنة 672هـ) في النحو، وأرجوزة لسان الدين بن الخطيب المسماة " المعتمدة " في الأغذية المفردة، وأرجوزة أبي بكر محمد بن عاصم (829 هـ) في القضاء وعنوانها " تحفة الحكام في نكث العقود والأحكام "، وفي نطاق الشعر التعليمي منظومة حازم القرطاجني (ت684هـ) وهي منظومة ميمية في النحو، عدد أبياتها سبعة عشر ومئتان، و رائعة ابن جابر الضرير (ت780هـ) التي نظمها في مدح الرسول الأعظم، وضمنها نحو ستين فن إبداعي، وسماها " الحلة السيرى في مدح خير الورى "

تغنى الشعراء الأندلسيون بجمال الطبيعة الأندلسية، فأبن سفر المريني يتعلق بالأندلس فيراها روضة الدنيا وما سواها صحراء، وأبن خفاجة الذي لقب «بالجنان» و«بصنوبري الأندلس» يشبهها بالجنة، أما وصف مجالس الأنس فقد بدأ ظاهرة إجتماعية في نهايات الدولة الأموية في الأندلس، ثم أخذت المجالس بالإنتشار والشيوع ويغلب على هذا الشعر الإرتجال، وفيه وصف للساقي والخمرة، و أستحدث الأندلسيون الفن الجديد، بتجاوب مع البيئة التي شاع فيها الغزل والشراب والغناء، وهو الموشح الذي يعتمد أكثر من وزن وأكثر من قافية.

نظم الموشح في الأغراض المختلفة، وظهرت أسماء لامعة لوشاحين كان أغلبهم شعراء من أمثال أبي بكر عبادة بن ماء السماء (ت422هـ)، وعبادة القزاز (ت484هـ)، وابن اللبانة (ت507هـ)، والأعمى التطيلي (ت520هـ)، وابن بقي (ت540هـ)، وابن زهر الحفيد (ت595هـ)، وابن سهل الإشبيلي (ت659هـ)، وأبي الحسن الششتري (ت668هـ)، وأبي حيان الغرناطي (ت745هـ)، ولسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، وابن زمرك (ت797هـ)، وابن عاصم الغرناطي.

ولما شاع فن الموشحات في أهل الأندلس، نسجت العامة على منواله، بلغة غير معربة قريبة إلى اللغة التي يتكلم بها الناس في مخاطباتهم اليومية، وصار ما سموه بالزجل .

تمثال عبد الرحمن الداخل في" المنكب" اسبانيا

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، نشأ في بيت الخلافة الأموي بدمشق، عندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموي، فقتلوا الأمراء وأبناء الأمراء بل وأحفادهم، وكل من توقعوا أن يكون أهلا للإمارة خشية محاولة أحدهم إسترداد مجدهم لاسيما في الشام، لهذا بذلوا الجهود المضنيه لتحقيق هذا الهدف.

نجح عبد الرحمن بن معاويه بن هشام الذي اختبأ في قرية منعزله قريبة من الفرات في سوريا، وكان معه أخوه الوليد بن معاوية، وأختين وابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات، اكتشفت الشرطة مكانهم فهرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فلما تعقبتهما الشرطة، حاولا عبور النهر فأغراهما الشرطة أن يرجعا ولهما الأمان فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون، بينما نجح عبد الرحمن بالوصول إلى الضفة الأخرى بسلام ولم تنطلي عليه مكيدتهم ولحق به بعدها مولاه بدر.

بدأ عبد الرحمن بن معاوية يعد العدة لدخول الأندلس بعد أن عمد على تكوين جيش قوي والتف حوله مؤيدوه، فأرسل مولاه بدر(القادم معه من دمشق) إلى الأندلس لدراسة الموقف، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها والوضع في الداخل الأندلسي، وأرسل معه الكتب والرسائل إلى كل محبي الدولة الأموية في أرض الأندلس.

واتصل عبد الرحمن بن معاوية بالبربر في بلاد المغرب، وأعلمهم خطته، فرحبوا بذلك، لأنهم كانوا في ذلك الوقت على خلاف شديد مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري، لأنه فرق بينهم وبين العرب في شمال أفريقيا، فهم يريدون أن يتخلصوا من حكم يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي كان يعاملهم بهذه العنصرية.

وراسل عبد الرحمن كل الأمويين في كل الأماكن يعلمهم برغبته وعزمه على دخول الأندلس، وإعادة إقامة الدولة الأموية، فالتحق به كافة الأمويين من الشام وغيرها من البلاد.

فتجمع حوله جيش قوي، وفي ربيع الثاني سنة (138هـ، 755) عبر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، بجيشه القوي ومن معه من القادة مضيق جبل طارق إلى داخل الأندلس بهيبة وعظمة الفاتحين المنتصرين وانضم إليه أنصاره وأخضع كافة البلاد في طريقه وزحف إلى إشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها، ثم نجح في دخول قرطبة العاصمة، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في موقعة المصارة في العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ وسيطر على كافة أرجاء الأندلس، لقد قيل في عبد الرحمن الداخل، أنه كان من الشعراء،(من الجائز بل ومن الطبيعي أن يكون قد قرض الشعر ونظمه)، ولكن (لربما) لم يأخذ مكانته الشعرية في كتب التدوين والسرد التي لحقت به، وجاءت بعد عصره بما يقارب النصف قرن، وهذا الأمر يسري على أغلبية الشعراء الأندلسين، لأن التدوين والكتابة كانت بالقرب من الحاكم المركزي، في الشام أيام العصرالأموي وفي العصر العباسي كانت في بغداد.

وكل ما كان يحدث في الأمصار البعيدة كان ينظر إليه من خلال نظرتين: النظرة الأولى وهي كما توهمت في إستنتاجها بأنها عنصرية (لربما) وما كلمة "هذه بضاعتنا ردت إلينا" سوى مستند يحمل ما يحمله من معاني وقصد، والنظرة الثانية بعد المسافات الجغرافية وصعوبة التواصل التي كانت تستغرق الكثير من الوقت بالذهاب والإياب، وكذلك كان التدوين مجبول بنزعة إستحسان المدون، ورغبة الخليفة، فما هو مديح وتعديد مآثر الأجداد والخليفة الحاكم تجده يتصدر ويطغى على غيره، والباقي كان يذكر بالعبور السريع البعيد عن التفاصيل، ولذا تواجدت حقيقة النقص في المعلومات والمصادر، فتاريخ الأندلس قائم بحد ذاته ويستوجب التركيز والبحث والإهتمام، ففيه العبر القيمة ومنها تتأتى خلاصة ضياع الأندلس بعد ثمانية قرون من الزمن، الحكم المركزي كان مزاجي وإستنسابي من الخليفة الحاكم، الوارث عن أبيه أو عن أخيه، وعند تسلمه للسلطة يقوم بنسف المؤسسات التي كانت موجودة قبله، فتتغير الإدارة ويتغير المنهاج ويلحق بهما التدوين، حتى أن المشاريع العمرانية وغيرها كانت في بدايتها من توجهيهات الراحل، ولكنها تنسب للجديد في الأسم والإنجاز، وكانت هناك ظاهرة لها ما يشبه التعميم " بأن ما يأتي من خارج النطاق الجغرافي للحكم المركزي هو من الخراج، مادة كانت أم ثقافة وأدب".

وفي الأندلس بالتحديد نظرا لبعد المسافة، والبعد عن أعين الخليفة نشأت ما يشبه الفيدرالية بين المناطق، وأطلقوا عليها " حكم الطوائف " بل التسمية الصحيحة التي استنسبت لها تسمية (حكم زعماء المليشيات)، الكل كان تحت الحكم الذاتي ويرسل بفتات خراجه لدار الخلافة، والعلاقة بين المليشيات كانت قائمة على التقاسم وإمتلاك السيطرة على البقعة التي كانت تحت رغبة ومزاج الأمير الحاكم، لا تقاتل فيما بينهم ولكن التعاضد والسياسة المشتركة كانت غائبة، وكل ديك من زعماء المليشيات يصيح في نطاق سيطرته، والشرح يطول؟ وبالعودة إلى "عبد الرحمن الداخل" وضمن فحوى الهدف، كان له بعض القصائد وفيها الشكوى والأنين من البعد عن بلاد النشأة، وكذلك بعض الوصف لما يذكره بما كان مطبوع عليه تفكيره:

أيها الراكب الميمم أرضي ... أقر بعض السلام عني لبعض
إن جسمي كما تراه بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

*

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

يا نخـل أنـت غريبــة مثلي في الغرب نائية عن الأصل
فابـكي وهـل تبكـــي مكبسة عـجماء لـم تطبع على خبـل
لو أنـهـا تـبكـــي إذا لـبكـــت ماء الفـرات ومنبـت النخـل

*

التواجد في الأندلس ما هو إلا رحلة استجمام وسياحة، على أمل العودة إلى ماضي المجد الغابر؟

أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، ويكنى بأبي عمر وقيل أبي عمرو، و"شهاب الدين" أموي الولاء، كان جده " سالم " مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل، ولد أحمد بقرطبة في العاشر من شهر رمضان عام (246هـ 860 م)، ونشأ فيها، ثم تخرج على علماء الأندلس وأدبائها وأمتاز بسعة الإطلاع في العلم والرواية وطول الباع في الشعر و منه ما سماه الممحصات، وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب، وكانت له في عصره شهرة ذائعة، وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر.

أشهر كتبه "العقد الفريد" وهو كتاب جامع للأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض والموسيقى، وقد استوعب خلاصة ما قام بتدوينه الأصمعي وأبو عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم من أعلام الأدب.
ويقول ابن عبد ربه، في العقد الفريد:
(الأدب نتاج العقول ولقاح الأفهام، وزينة المجالس، وفاكهة السمار، تهفو إليه النفوس، وتستمع بما فيه من سحر البلاغة والبيان، وتصغي إليه الأسماع؛ فتلذذه بروائع الكرام، وعذب الألحان.
وقراءة الأدب تزود القارئ بزاد قيم من الأفكار، والمعارف، والمعلومات. وتنمي لديه القيم الروحية، والخلقية، والإنسانية، والإجتماعية، وتحرك عواطفه، وتطلعه على تراث أمته وحضارتها، لأن الأدب سجل يحفظ تلك الحضارة، وهو الميراث الذي يرثه الخلف من السلف، فيأخذون منه، ويضيفون إليه وهكذا تستمر حركة الأمة محافظة على الأصالة والتجديد معا).
وكتاب "العقد الفريد" لإبن عبد ربه، يعد من المصادر الأدبية التي لا يستغنى عنها، لما له من مكانة لدى الأدباء والعلماء القدامى والمحدثين على السواء، لما ضمنه صاحبه، من جواهر الحكم، ولآلئ الكلام، وغرائب القصص، ونوادر الأخبار، ومنتقى الأشعار ومختلف الفنون والآثار فجاء كالعقد، لما أسماه مصنفه ولكن بيواقيته وجواهره من متخير الكلام وسحر البيان.

ومع أن ابن عبد ربه كان أندلسي، إلا أنه لم يشر إلى الأندلس ولا إلى أهلها بكلمة عدا نفسه فقد عرف بنفسه ونشر شعره، وله الكثير من الموشحات، وله شعر رقيق سلس الأسلوب فيه المديح والوصف والغزل والنسيب وفي جميع أغراض الشعر الأخرى.
قال ابن خلدون: (وإذا علمنا أن أركان الأدب وأصوله، أربعة كتب، في تراثنا الأدبي هي "أدب الكتاب" لابن قتيبة، و"الكامل" للمبرد، و"البيان والتبيين" للجاحظ، و"النوادر" لأبي على القالي، أدركنا مدى أهمية كتاب "العقد الفريد" الذي اصطفى مؤلفه مادته، وتخيرها من هذه الأصول، وزاد عليها ما ترامى إلى سمعه وبصره من كتب الأدب الأخرى).
وقد إنتقد بعض الأدباء "أبن عبد ربه" بأنه صرف كل همه في الإعتناء بأدب المشرق، دون أي إهتمام، إلى أمور الأندلس وذلك مما حمل " الصاحب بن عباد " عندما وصل إليه كتاب " العقد الفريد " وقرأه، فقال: " هذه بضاعتنا ردت إلينا، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه " .
وابن عبد ربه لم يعرف عنه رحلة إلى المشرق فعلومه الواسعة بأدب المشرق جاءت من شيوخه الذين أخذ عنهم بالأندلس، أمثال الشيخين: " ابن وضاح "، و" بقي بن مخلد "، ومن طول قراءته للكتب، لكنه لم يتجاهل الأندلس في كتابه، فقد عارض الكثير من شعراء المشارقة في الموضوعات المختلفة بشعره، كما وضع أرجوزة في مغازي عبد الرحمن الناصر، ذكر فيها أحداث كل سنة في سنة 322هـ. ومهما يكن من الأمر فإن للكتاب قيمة كبيرة من حيث المعلومات الأدبية التي اشتمل عليها، والرد على النقاد كان من ابن عبد ربه:

أدب كمثل الماء لو أفرغته يوما لسال كما يسيل الماء

وقال عنه ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية": ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه وميل إلى الحد من بني أمية؟ وهذا عجيب منه! لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم؟.
فيقول ابن عبد ربه:

خـلـيـفـة الله وابـن عـم رسـو ل الله المصطفى على رسله
هـنـتـك نعمى تمت سوابغهـا كـما استتم الهلال في كمله
وجـه ربـيـع أتـاك بـاكـره يرفل فـي حليه وفـي حلله
كـأن أثـوابـه مـلـبـسـة أثـواب غض الزمان مقتبله
وأقـبـل العيـد لاهيـا جـذلا يختـال في لـهـوه وفي جذله
وجـاءك الـفتـح مـا لـه مـثـل وكـل شـيء يعزى إلى مثـله
عـفـوا وصفـوا غيـر سفـك دم يـقطـر من بيضه ومن أسـله
إلا اعـتـصـاما لـضيغـم هصر تـميـد شـم الجبـال من وجله
مـظفـر لا تـرد عـزمـتـه ومن يـرد الكتـاب عن أجله

إقـدام عـمرو وبـأس عـنتـرة يعجـز عـن كـيده وعن حيله
نـصـر مـن الله قد تـضـمـنـه ينهـض في ريـثـه وفي عجله
يجـري بـشأو الإمام منصلـتـا يسبـق حضر الإمام في مهله
إذا انـتـضاه لـصرف حـادثـة يهتز كالسيف سل من خلله
فـأصـبـحـت لـبـلـة مـؤمـنـة لا يـعتـدي ذيـبها عـلى حمله
قد وقـف النكث والخلاف بهـا وقوف صب يبكي على طلله
كـل بـيـمـن الإلـه تـم لـهـا وكـل خـيـر أتـى فمن قـبـله
يـا رحـمـة الله فـي بـريـتـه بك استـقام الـزمان مـن ميله
أنـت الـزمـان الـذي بـدولـتـه يضحك سن لزمان من دوله
كـم خـامـل قـد رفعت همتـه ورد فـي مالـه وفـي أمـله
وكـم عـديـم سـددت خـلـتـه وكـم عـلـيـل شـفيت من علله
سللت سـيـفـا على عـداك فمـا يقـر قـلب الخـلاف من وهله

*

أيـا مـن لام في الحـب ولـم يعلـم جـوى قلبـي
مـلام الـصب يـغـويـه ولا أغـوى مـن القـلـب
فـأنـى لـمـت فـي هند محبـا صادق الحـب
وهـنـد مـا لهـا شبـه بـشـرق لا ولا غـرب
إلى هـنـد صبـا قـلبـي وهـنـد مـثـلها يـصبي

*

لـقد سجعـت فـي جـنـح لـيـل حـمامـة فأي أسى هاجـت على الهائم الصب
لك الويل كم هيجت شجوي بلا جوى وشكوى بلا شكوى وكربا بلا كرب
وأسـكـبـت دمعـا مـن جـفـون مسهـد وما رقـرقت منـك المدامع بالسكب

*

رشـا سجـد الجمال لوجنتيه كما سـجـد النصارى للصليب
عـلـيـه مـن مـحاسنـه شـهود تـؤديها العيـون إلـى القلـوب
يـلاعب ظـلـه طـربا ولهـوا كما لعب الشّمال مع الجنوب

*

سلبت الروح من بدني ورعت القلب بالحزن
فـلـي بـدن بـلا روح ولـي روح بـلا بـدن
قرنت مع الردى نفسي فـنفسي وهو في قرن
فـليت السحر من عينيـ ـك لـم أره ولـم يـرني

*

يـا مـليحـة الـدعـج هل لـديك مـن فـرج
أم تـراك قـاتـلـتـي بالـدلال والــغـنـــج
مـن لـحسن وجهـك من سوء فعلك السمج
عــاذلـــي حسبكـمـا قد غـرقـت فـي لجـج
هـل عـلي ويـحكمـا إن لهـوت مـن حـرج

*

مـعـذبـتـي رفـقـا بـقـلـب مـعـــذب وإن كـان يـرضيك العذاب فعـذبـــي
لعمري لقد باعدت غـير مباعــد كـما أنـنـي قـربـت غـيـر مـقـــرب
بـنفسي بـدر أخـمـد البـدر نـــوره وشمس متى تطلع إلى الشمس تغرب
لو ان امرأ القيس بن حجر بدت لـه لمـا قـال مـــرا بـي عـلـى أم جـنـدب

*

يـا أيهـا المشغوف بالحب التـعب كم أنت في تقريب ما لا يقترب
دع ود من لا يرعوي إذا غضب ومـن إذا عـاتـبـتـه يـوما عتب
إنك لا تجني من الشوك العنب

*

وحامـلـــة راحـــا علـى راحـة اليد مـوردة تـسعـى بـلـون مـــورد
متى ما ترى الإبريق للكأْس راكعا تصل لـه مـن غـيـر طـهـر وتسجد
على يـاسمـيـن كاللجين ونرجس كأقـراط در فـي قـضيب زبـرجـد
بـتـلك وهـذي فـالـه ليـلك كـلـه وعنها فسل لا تسأل الناس عن غد
"ستبدي لك الأيام ما كنت جاهـلا ويـأتـيـك بـالأخـبار مـن لـم تـزود"

*

يا لؤلؤا يـسبي الـعقـول أنـيـقـا ورشـا بـتـقـطيع القلـوب رقيـقـا
ما إن رأيت ولا سمعـت بمثلـه درا يـعـود مـن الحـياء عـقـيـقـا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصـره من ردفـه ما بـال قلبك لا يـكـون رقـيـقـا

*

قـل ما بـدا لك وافـعـل واقطع حبالك أو صل
هـــذا الـــربيـــع فحـيـه وانـــزل بأكـرم منـزل
وصل الذي هو واصل وإذا كـرهـت فبـــدل
وإذا نـبـا بـــك مـنـــزل أو مـسكـن فـتـحـــول
وإذا افتقرت فـلا تـكن مـتـخـشـعـا وتـــجـمـــل

*

أنـت دائي وفـي يديك دوائـــي يا شفائـي من الجـوى وبلائـي
إن قـلبـي يـحب مـن لا أُسمـــي في عناء أعظم بـه من عـنـاء
كيـف لا كيـف أن ألـذ بـعيـــش مات صبري به ومات عزائي
أيـهـا اللائـمـون مـاذا عـليكـــم أن تعـيـشوا وأن أموت بدائي
" ليس من مات فاستراح بميت إنما الـمـيـت مـيـت الأحياء "

*

شادن يسحب أذيـال الطرب يـتـثـنى بـيـن لـهـو ولـعـــب
بجـبـيـن مـفـرغ مـن فـضـة فوق خد مشرب لـون الذهـب
كـتـب الـدمـع بخـدي عهـده للهوى والشوق يملي ما كـتـب
يا لجهـلـي ما أراه ذاهبـــا وسـواد الرأس مني قـد ذهـــب
"قـالت الخنسـاء لمـا جئتـهـا شاب بعدي رأس هذا واشتهب"

*

أصـمـم في الغـوايـة أم أنـابـا وشيب الرأس قد خلس الشبابا
إذا نصل الخضاب بكى عليه ويضحك كلما وصل الخضابا

*

كـأن حمامـة بيضاء ظلـت تقابـل فـي مفارقـه غرابا
صاحب في الحب مكذوب دمعــه للـشـوق مسكوب
كـل ما تـطـوي جـوانحـه فهـو في العينين مكـتوب

*

أمـا والذي سـوى السمـاء مكـانهـا ومـــن مـرج البحـرين يلـتـقيـان
ومن قام في الأَوهام من غير رؤية بـــأثـبـت مـن إدراك كـل عـيـان
لـمـا خـلقـت كـفـــاك إلا لأربـــع عـتـقـائـل لـم يـخـلـق لهـن يـدان
لـتـقـبـيـل أفـــواه وإعـطـاء نـائـــل وتـقـليب هـندي وحبـس عـنان

*

سيـوف يقـيـل المـوت تحت ظباتها لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب
إذا اصطفت الرايات حمرا متونها ذوائـبـــهـا تـهـفـو فـيـهـفـو لـهـا القلب
ولـم تـنـطـق الأبطـــال إلا بـفعـلها فـألـسـنـهـا عـجـم وأفـعـالها عـــرب
إذا ما التقـوا فـي مـأزق وتـعـانـقوا فـلقيـاهـم طعـن وتـعـنـيـقـهـم ضرب

*

يـا غـافـلا مـا يـرى إلا محاسنه ولو درى ما رأى إلا مساويـه
انظر إلى باطن الدنيا فـظاهرها كل البهائـم يجري طرفها فيه

*

أطفت شرارة لهوي ولـوت بـشـدة عـدوي
شعـل علـن مـفارقـي ومضت ببهجة سروي
لما سلكت عروضهـا ذهب الزحاف بحزوي
"يــأيها الشادي صه لـيست بسـاعة شـدو"

*

ولى الشباب وكنت تسكن ظله فانظر لنفسك أي ظل تسكن
وانه المشيب عن الصبا لو أنه يدلي بحجتـه إلـى مـن يلقن

*

قـالوا شبـابك قـد ولـى فقلت لهـم هـل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة فـأَطيب العيش وصل بين إلفيـن
واقطــع حبائــل خـل لا تـلائمـه فـربما ضاقـت الدنيا على اثنيـن

*

شبابي كيف صرت إلى نفاد وبـدلت البياض من السواد
وما أبـقى الحوادث منـك إلا كـما أبقت من القمر الدآدي
فراقـك عرف الأحزان قلبي وفـرق بـيـن جفني والرقـاد
فيـا لنعيـم عـيش قـد تـولـى ويـا لغـلـيـل حـزن مستـفـاد
كـأني منـك لـم أربـع بـربـع ولـم أرتــد بـه أحـلـى مــراد
سقى ذاك الربى وبل الثـريا وغادى نبته صوب الغوادي
زمان كـان فيـه الرشد غـيـا وكان الغي فيـه مـن الرشـاد
فكم لي من غليل فيك خاف وكم لي من عويل فيك بادي
يـقـبـلنـــي بـدل مـن قـبـول ويسعدني بوصل من سعــاد
وأجـنـبـه فـيـعـطـيني قـيـادا ويجـنـبـني فأعـطيـه قيــادي

*

يا مجيل الروح في جسدي والـذي يـفـتـر عـن برد
وفـريــد الـحسـن واحــده مـنـتـهـاه منتهى العــدد
خــذ بـكـفـي إنـنـي غـرق فـي بـحار جـمـة المـدد
ورياح الهجـر قـد هـدمـت ما أقام الصبر من أودي

*

يـا هـلالا قد تــجـلـى في ثياب من حريــر
وأمــيـرا بــهـــــواه قـــاهرا كـل أميــر
مـا لخـديك استـعـارا حمرة الورد النضير

*

في الرثاء

على مثلها من فجعة خانني الصبر فراق حبيب دون أوبته الحشر
ولي كبد مشطورة في يد الأسى فتحت الثرى شطر وفوق الثرى شطر
يقولون لي صبر فؤادك بعده فقلت لهم ما لي فؤاد ولا صبر
فريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الريش حتى ضمه الموت والقبر
إذا قلت أسلو عنأه هاجت بلابل يجددها فكر يجدده ذكر
وأنظر حولي لا أرى غير قبره كأن جميع الأرض عندي له قبر
أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي وليس سوى قعر الضريح له وكر

*

عذيري من طول البكا لوعة لأَسى وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

*

فررت من اللقاء إلى الفراق فحسبي ما لقيت وما أُلاقي
سقاني البين كأس الموت صرفا وما ظني أموت بكف ساق
فيا برد اللقاء على فؤادي أجرني اليوم من حر الفراق

*

يا مجلسا أينعت منه أزاهره ينسيك أوله في الحسن آخره
لم يدر هل بات فيه ناعما جذلا أو بات في جنة الفردوس سامره
والعود يخفق مثناه ومثلثه والصبح قد غردت فيه عصافره
وللحجارة أهزاج إذا نطقت أجابها من طيور البر ناقره
وحن من بينها الكثبان عن نغم تبدي عن الصب ما تخفي ضمائره
كأنما العود فيما بيننا ملك يمشي الهوينا وتتلوه عساكره
كأنه إذ تمطي وهي تتبعه كسرى بن هرمز تقفوه أساوره
ذاك المصون الذي لو كان مبتذلا ما كان يكسر بيت الشعر كاسره
صوت رشيق وضرب لو يراجعه سجع القريض إذا ضلت أساطره
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه لمات من حسد إذ لا يناظره

*

وقال في موقف وداع:

ودعتني بزورة وأعتنـاق ثم نادت متى يكون التلاقي
وبدت لي فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أفظع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق

*

وقال في وصف السيف والرمح:

بكل رديي كأن سنانه شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال في طول متنه وعادت به الآمال وهي فجائع
وذى شطب تقضي المنايا لحكمه وليس لما تقضي المنية دافع
يسلل أرواح الكماة أنسلاله ويرتاع عنه الموت والموت رائع

توفي ابن عبد ربه يوم الأحد الثامن عشر جمادى الأولى سنة 328 هـ، ودفن يوم الاثنين في مقبرة بني العباس بقرطبة بعد أن استوفى إحدى وثمانين سنة قمرية وثمانية أيام، وقد أصيب بالفالج قبل وفاته.
وآخر شعر قاله هو:

بليت وأبلتني الليالي بكرها وصرفان للأيام معتوران
ومالي لا أبلى لسبعين حجة وعشر أتت من بعدها سنتان
ولست أبالي من تباريح علتي إذا كان عقلي باقيا ولساني

*

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكن تدركه الأَبصار
سبحانه من خالق قدير وعالم بخلقه بصير

*

وأول ليس له ابتداء وآخر ليس له انتهاء

**

في ارض اندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراء
انهارها فضة والمسك تربتها والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق بـ ـمن لا يرق وتبدو منه اهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا ولا انتشار لآلي الطل أنداء
وإنما أرج الند استثار بها في ماء ورد فطابت منه ارجاء
وأين يبلغ منها ما اصنفه وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الأرض حين بدت فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا أبحر خفقت وجدا بها اذ تبدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو وللأغصان إصغاء
فيها خلعت عذاري ما بها عوض فهي الرياض وكل الأرض صحراء

****

أدونيس الشاعر و الأديب السوري قال: العربية هي " لغتي الثقافية "، من ناحية الإبداع، و تربطني باللغة العربية علاقة كيانية، ذلك أنها اللغة الأم، وهي لغة الإبداع الشعري، وليس للإنسان إلا أم واحدة"؟

وهذا الإمام العلامة علي ابن حزم الأندلسي يجيب في إحدى مراسلاته، يرد فيها على الإهمال المجحف بكتابة تراث الأندلس من أهله وسواهم فيقول:

" وأما من جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر (أزهد الناس في عالم أهله) وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال (لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده) وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي من قريش، وهم أوفر الناس أحلاما وأصحهم عقولا وأشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع وتغذيتهم بأكرم المياه، حتى خص الله تعالى الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، وإستقلاليته في الكثير بما يأتي به، وإستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما في سائر البلاد، إن أجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وإن توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمان قرأ ولأمه الهبل !).

الفارق الزمني بين ابن حزم وأدونيس شاسع واسع، واللغة الأم في المغرب، قبل الفتح لم تكن اللغة العربية، وكذلك اللغة الفرنسية بالنسبة لأدونيس التي أتقن الكتابة والترجمة منها وإليها، وكتب بها روائع نتاجه الأدبي، فنجده، في حوار صحفي حيث يقول:

" أكد أدونيس على تفوق المغرب العربي عن المشرق فكرا وشعرا خاصة مع الإبداعات الشابة، وقال في حوار ليومية جريدة الحياة ": الفكر في المغرب العربي أكثر عمقا وغنى، كما أن الشعر المغاربي، باللغة العربية، خاصة الأجيال الراهنة، أعمق ثقافة، وأقل هجسا بالذاتية من شعر الأجيال الراهنة الشابة في المشرق العربي ."

علي بن حزم الأندلسي، هو الإمام البحر، في الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي.

ولد ابن حزم عام 384 هـ 994م، في قرطبة أندلسي الأصل من بادية ولبة، وأصبح من أكبر علماء الإسلام، (في التصنيف بعد الطبري)، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري، متكلم، أديب، وشاعر، وناقد محلل، بل وصفه البعض بالفيلسوف، وزير سياسي لبني أمية، يعد من

أكبر علماء الأندلس، وله أفكار ومنهجية مذهبية، يميل إليها فئة من الناس، حيث كان يقال: " لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان ".

وكان من الشعراء المبدعين:

صفا لي من ورد الشبيبة ما صفا ... وجاد زماني بالأماني فانصفا
وشنفت أذني بالهوى حسن منطق ... بنجواه غازلت الغزال المشنفا
ليالي كانت بالسرور منيرة ... وكان قناعي حالكا لا مفوفا
وشربي من نسل الغمام سلالة ... تعود من العنقود في الدن قرقفا
معتقة حمراء ينساغ صرفها ... إذا الماء فيها بالمزاج تصرفا
كماء عقيق في الزجاج منظم ... عليه من الإزباد درا مجوفا
توقد في كف المنادم نورها ... ولكنه بالشرب في فمه انطفا
تطوف بها ممشوقة القد زرفنت ... من المسك في الكافور صدغا معطفا
إذا أعرضت في الدل ذل أخو الهوى ... وصاغ لها لفظ الخضوع الملطفا
هنالك خفت بي إلى اللهو صبوة ... وثقلت الكاسات كفي بما كفى
كأني لم أقنص نوارا من المها ... ولم أجن عذب الرشف من مرة الجفا
ذكرت الحمى والساكنيه ودونه ... خضم عليه تنبري الريح حرجفا
ولما أقلوا يوم بينهم على ... هلال السرى للشمس خدرا مسجفا
وألقت حلاها من يديها وعطلت ... من الحلي فيد جيد رئم تشوفا
سقى الأقحوان الطل عفة ... وعضت من الحزن البنان المطرفا
ولما جرى الدر الرطيب بخدها ... وسال إلى الدر النظيم توقفا
وأين تراه ذاهبا عن جنى فم ... كأن رضاب الكأس من ترشفا
أما وشباب بالمشيب أعتبرته ... فأشرقت عيني بالدموع تأسفا

*

من لي بطيب الوصل من غادة ... وهي كعاب عندها الشيب عاب
تسود الحناء في كفها ... عشقا لمسود عذار الشباب
كف من الكافورهذي التي ... أرى من المسك عليها خضاب

*

أليس بنو الزمان بنو أبيكا ... فجرد عن حقائقك الشكوكا
ولا تسأل من المملوك شيئا ... فترجع خائبا وسل المليكا
فلست تنال رزقا لم تنله ... ولو أبصرته مما يليكا
فكم خير به نضيجا ... وكنت حرمت رؤيته فريكا

*

جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عيني عنان الفرس
ولي سيد لم يزل نافرا وربما جاد لي في الخلس
فقبلته طالبا راحة فزاد أليلا بقلبي اليبس
وكان فؤادي كنبت هشيم يبيس رمى فيه رام قبس
ويا جوهر الصين سحقا فقد غنيت بياقوتة الأندلس

*

يا من لموصول الشجا بالشجا فليس للتبريج عنه براح
تشرق حوليه الوجوه التي للبدر والشمس بهن افتضاح
وارحمتا للصب من لوعة بكل ريا الحقف صفر الوشاح
يمشي اختيال التيه في مشيها فعد عن مشي قطاة البطاح
ألقى الهوى العذري في حجره حرب الغواني والعدى و اللواح
لو حملت منه قلوب العدى جراح قلب ما حملن الجراح
وجدي غريب ما أرى شرحه يوجد في العين ولا في الصحاح
وإنما يحسن تفسيره دمع حمى السر به مستباح
إن مسني الضر بقرح الهوى فبرء دائي في الشراب القراح

*

شوقي إليك مجدد يبلي جديد تصبري
وجوانحي يجنحن من حرق الهوى المتعسر
نقلت من الدررالدموع إلى العقيق الأحمر
ولبست فيه من الضنى عرضا يلازم جوهري
كحل الهوى والسحر منـ ك جفون رئم أحور
فجوارحي مجروحة منها بسيف مضمر
كم ذا يغيرني هوا ك بخلقك المتغير
نقضت حلاوة موردي منه مرارة مصدري
ومنعتني من لثم فيك جنى الرضاب المسكر
أبجنة الفردوس أحرم شرب ماء الكوثر

*

من شاء أن تسكر راح براح فليسقها خمر العيون الملاح
فإنها بالسحر ممزوجة أما تراها أسكرت كل صاح
فما ترى من شربها في الصبا في ربقة السكر فهل من سراح

*

كفى سيفك الإسلام عادية الكفر وصلت على العادين بالعز والنصر
وأصبح قول المبطلين مكذبا ومد لك الرحمن في أمد العمر
وأين الذي حد المنجم كونه إذا مر للصوام عشر من الشهر
وما قرع الأسماع بالخبر الذي أبى الله إلا أن يكذب بالخبر
غدا الزيج ريحا في تناقض علمه وتعديله عرفا أحال على نكر
فهلا رأى قطعا عليه بسجنه ومشيا بدهم كان بالكبو والعثر
وان عليا ينتضي القضب التي يرد بها مد العداة إلى قصر
لقد ضل عباد النجوم وما اهتدوا ببعث رسول للأنام ولا ذكر
وكم مر في الدنيا لهم من ممخرق من الناس مطوي الضلوع على غمر
إذا جال في علم الغيوب حسبته مسيلمة الكذاب قام من القبر
أباطيل تجري بالحقائق بينهم من الكذب منهم لا عن السبعة الزهر

*

عول على العزم إن العزم منقطع عنه الخمول وموصول به الأمل
لو لم تسل سيوف الهند ما ضربت يوم القراع بها الأجياد والقلل

*

يقول لي الطبيب بغير علم تداو فأنت يا هذا عليل
ودائي ليس يدريه سوائي ورب قادر ملك جليل
أأكتمه ويكشفه شهيق يلازمني وإطراق طويل
ووجه شاهدات الحزن فيه وجسم كالخيال ضن نحيل
وأثبت ما يكون الأمر يوما بلا شك إذا صح الدليل
فقلت له أبن عني قليلا فلا والله تعرف ما تقول
فقال أرى نحولا زاد جدا وعلتك التي تشكو ذبول
فقلت له الذبول تعل منه الجوارح وهي حمى تستحيل
وما أشكو لعمر الله حمى وإن الحر في جسمي قليل
فقال أرى التفاتا وارتقابا وأفكارا وصمتا لا يزول
وأحسب أنها السوداء فانظر لنفسك إنها عرض ثقيل
فقلت له كلامك ذا محال فما للدمع من عيني يسيل
فأطرق باهتا مما رآه ألا في مثل ذا بهت النبيل
فقلت له دوائي منه دائي ألا في مثل ذا ضلت عقول
وشاهد ما أقول يرى عيانا فروع النبت إن عكست أصول
وترياق الأفاعي ليس شيء سواه ببرء ما لدغت كفيل

*

مشطت بالصبح صبحا فزدت في الشرح شرحا
وقـد خـسرت حيـاة غدت من الربح ربحا

*

غيرته غير الدهـر فشاب ورمتـه كـل خـود باجتنـاب
فغدا عند الغـواني ساقطا كسقوط الصفر من عد الحساب
وتولى عنه شيطان لصبا إذا رماه الشيب رجما بشهاب
وكأن الشعـر منـه سـعف يلتظي فيه شواظ ذوالتهاب
أيها المغرى بتأنيب شج سلط الوجد عليه هل أناب
هام لا همت من الغيد بمن حبها عذب وإن كان عذاب
لمت لا لمت عميدا قلبه عن سماع اللوم فيها ذوانقلاب
والهوى باق مع المرء إذا كان من عصر الصبا عنه ذهاب
بأبي من أقبلت في صورة ليس للتائب عنها من متاب
كل حسن كامل في خلقها ليتها تنجو من العين بعاب
فالقوام الغصن والردف النقا والأقاح الثغر والطل الرضاب
ظبية في العقد إما التفتت ومهاة حين ترنو في النقاب
ضاع قلبي فالتمسه عندها تلفه في النحروسطى بسخاب
روضة تعبق نشرا ما لها غمست في ماء ورد وملاب
عنفت رسلي وردت تحفي وأتت تقرع سمعي بالعتاب

*

وقفت على الدارالخلاء كأنني وقفت على قلب من الصبر بلقع
رميت جمارالدمع في موقف النوى وقد طفت أسباعا برسم وأربع

*

غررااللجين وفوقها أصداغ عقيان لواعب
توجن منه وأرسلت منه إلى الكثب الذوائب
أصداغهن مع الذوا ئب كالأَساود والعقارب

*

سارع إلى الحق وعول على قول الحكيم بارع الحكمة
إن شئت أن تحيا فكن صادقا فإنما الكذاب كالميت

*

كن واثقا بالله سبحانه فهو الذي يصرف عنك الخطوب
واصرف إليه الوجه عن معشر قد صرفوا عنك وجوه القلوب

*

فلقد قيل: كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته مع المالكية في الأندلس، وهذه الحدة أورثت النفور منه في قلوب كثير من العلماء، وكثر أعداؤه في الأندلس، حتى نفوه من قرطبة وأحرقت كتبه في محاضر عامة بأمر من المعتضد بن عباد، وصار ابن حزم ينتقل من مكان لآخر حتى مات في قرية " لبلة " غربي الأندلس (من نواحي مدينة ولبة) أرض أبويه.

ابن حزم كان سياسيا حاد اللسان في التعرض لفقهاء عصره الجاحدين المنتفعين من مناصبهم، إستطاع هؤلاء أن يؤلبوا عليه المعتضد بن عباد أمير اشبيلية، فاصدر قراراه بهدم دور ابن حزم، ومصادرة أمواله وحرق كتبه، وفرض عليه ألا يغادر بلدة أجداده، وألا يفتي بمذهب مالك أو غيره، كما توعد من يدخل إليه بالعقوبة، و توفي سنة 1069م، ولما فعلوا ذلك بكتبه تألم كثيرا، فقال وقد حرقت مؤلفاته:

إن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يقيم معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعدوا بالكتاتيب بدءة ... فكم دون ما تبغون الله من ستر
كذاك النصارى يحرقون إذا علت ... أكفهم القرآن في مدن الثغر

ولادة بنت المستكفي، أميرة عربية وشاعرة من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، إبنة الخليفة المستكفي بالله الأموي، ولدت في قرطبة، واشتهرت بالفصاحة والشعر، وكان لها مجلس مشهود في قرطبة، يؤمه الأعيان والشعراء ليتحدثوا في شؤون الشعر والأدب.

تشتهر ببيتين شهيرين من الشعر قيل أنها كانت تكتب كل واحد منهما على جهة من ثوبها:

أنا والله أصلح للمعالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي ... وأعطي قبلتي من يشتهيها

ولادة بنت المستكفي يستوجب ذكرها، كلما ذكر ابن زيدون، وكان بينها وبينه مساجلات كثيرة؟.

وقيل : إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو " ولادة " والإقتراب منها ولعا وحبا بها، فيهدر دمه دونها، ويهدد لسوء أثره ملك قرطبة ووالياها، وعندما يئس من لقياها وحجبت عنه، كتب إليها يستديم عهدها، ويؤكد ودها، ويعتذر من فراقها بالخطب الذي خشيه، والإمتحان الذي غشيه، ويعلمها أنه ما سلاها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر.

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد (ولد عام 394هـ/1003م – وتوفي عام 463 هـ/ 1071 م) شاعر أندلسي، برع في الشعر كما برع في فنون النثر، حتى صار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعرا وأدقهم وصف وأصفاهم خيال، كما تميزت كتاباته النثرية بالجودة والبلاغة، وتعد رسائله من عيون الأدب العربي.

ابن زيدون كان وزيرا، وكاتبا، وشاعر من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس، اتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد فحبسه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يكترث له.

احب ابن زيدون الشاعرة والأديبة " ولادة " ابنة الخليفة المستكفي التي كانت تعقد الندوات والمجالس الأدبية والشعرية في بيتها وبادلته حبا بحب وقد أنشد في حبها الشعر الكثير الفياض بالعاطفة والحنان والشوق واللوعة و الوله.

يحكى بأنه كان لأبن زيدون غلام اسمه "علي"، فقالت ولادة بنت المستكفي:

إن ابن زيدون على فضله يفتا بني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا إذا جئته كأنـي جئت لأحضي علي

وكانت لولادة جارية سوداء بديعة الجمال، فظهر لولادة أن ابن زيدون مال إليها فكتبت إليه:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركت غصنا مثمر بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنني بدر السما لكن ولعت لشوقي بالمشتري

*

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدرلم يطلع وبالنجم لم يسر

*

إن ابن زيدون له فقحة تعشق قضبان السراويل
لو أبصرت أ؟ر على نخلة صارت من الطير الأبابيل

ما قالته ولادة في هجاء الأصبحي:

يا أصبحي اهنأ فكم نعمة جاءتك من ذي العرش رب المنن
قد نلت بإست ابنك ما لم ينل ب؟رج بوران أبوها الحسن

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

ولقبت المسدس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطي ومأبون وزان وديوث وقرنان وسارق

بعد أن أبعدوها عن ابن زيدون قالت:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل صب بما لقي
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا أبيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعة لقد عجل المقدور ما كنت أتقي
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

*

لحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجب جرح الصدود

وهذا ابن زيدون، يشكو ويشتكي بأكثر مما تعانيه " ولادة ":

أغائبة عني وحاضرة معي أناديك لما عيل صبري فاسمعي
أفي الحق أن أشقى بحبك أو أرى حريقا بأنفاسي غريقا بأدمعي
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق جعلت الردى منه بمرأًى ومسمع
صليني بعض الوصل حتى تبيني حقيقة حالي ثم ما شئت فاصنعي

*

ابن زيدون يستعطف المعتضد بن عباد:

لست بالجاحد آلاء العلل كم لها من ألم يدني الأمل
أجتلي من أجلها بدر العلا مشرقا في منزلي حين كمل
حلة ألبس عيني فخرها فاغتدت ترفل في أبهى الحلل
رف بشر الأُفق في عيني لها لا لإن الشمس حلت في الحمل
ما أبالي من زماني بعدها إذ أصح النفس إن جسمي أعل
أيها المولى لقد حملت ما لم يدع في وسع عبد محتمل
وضح الطوق الذي حليتني فتراءته نفوس لا مقل
أنا لو طوقت منه بدلا أنجم الجوزاء لم أرض البدل
كم مراد لي من نعمائكم وارف الظل وكم ورد علل
لا تزل دولتكم مبسوطة بسطة في طيها قبض الدول
ورأى المعتضد المنصور ما أنبأته فيك ليت أو لعل
فستلقاه الليالي طلقة بتفاريق أمانيه جمل

عودة على ذي بدء:

أصخ لمقالتي واسمع وخذ فيما ترى أو دع
وأقصر بعدها أو زد وطر في إثرها أوقع
ألم تعلم بأن الدهـ ـر يعطي بعدما يمنع
وأن السعي قد يكدي وأن الظن قد يخدع
وكم ضر امرأً أمر توهم أنه ينفع
فإن يجدب من الدنيا جناب طالما أمرع
فما إن غاض لي صبر وما إن فاض لي مدمع
وكائن رامت الأيا م ترويعي فلم أرتع
إذا صابتني الجلى تجلت عن فتى أروع
على ما فات لا يأسى ومما ناب لا يجزع
تدب إلي ما تألو عقارب ما تني تلسع
كأنا لم ؤالفنا زمان لين الأخدع
إذ الدنيا متى نقتد أبي سرورها يتبع
وإذ للحظ إقبال وإذ في العيش مستمتع
وإذ أوتارنا تهفو وإذ أقداحنا تترع
وأوطار المنى تقضى وأسباب الهوى تشفع
فمن أدمانة تعطو ومن قمرية تسجع
أعد نظرا فإن البغـ ـي مما لم يزل يصرع
ولا تطع التي تغويـ ـك فهي لغيهم أطوع
تقبل إن أتى خطب وأنف الفحل لا يقرع
ولا تك منك تلك الدا ر بالرأى ولا المسمع
فإن قصارك الدهليـ ـز حين سواك في المضجع

*

قل لأبي حفص ولم تكذب يا قمر الديوان والموكب
ما لأبي صفوان مألوفنا أبرق في الأُلفة عن خلب
ولم يعد إلا كما يتقي مسترق السمع من الكوكب
عنفه بالله على فعله واشتم وإن لم يستقم فاضرب
وعاطه صهباء مشمولة يرى لها المشرق في المغرب
وليشرب الأكثر من كأسه واعمد إلى فضلته فاشرب
عقوبة أحسن بها سنة في مثله من حسن مذنب
وباكرا الطيب وروحا له فأنتما في زمن طيب

الخطب جلل والصراع على أشده، والغيرة قاتلة، والسبب " ولادة "؟

قال ابن زيدون يتوعد ويهدد " ابن عبدوس " غريمه في هوى وعشق " ولادة ":

أثرت هزبر الشرى إذ ربض ونبهته إذ هدا فأغتمض
ومازلت تبسط مسترسلا إليه يد البض لما انقبص
حذار حذار فأن الكريم إذا سيم خسفا أبي فامتعض
وإن سكون الشجاع النهوس ليس بمانعه أن يعض
عمدت لشعري ولم تتئب تعارض جوهره بالعرض
أضاقت أساليب هذا القريض أم قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال وأرسله لو أصبت الغرض
وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يعز على قابض ويمنع زبدته من مخض
أبا عامرعثرة فاستقل لتبرم من ودنا ما انتقض
ولا تتصم ضلة بالحجاج وسيم فرب احتجاج دحض
وإلا انتحتك جيوش العتاب مناجزة في قضيض وقض
وأنذر خليلك من ماهر بطب الجنون إذا ما عرض
كفيل ببط خراج عسا جريء على شق عرق نبض
يبادر بالكي قبل الضماد ويسعط بالسم لا بالحضض
وأشعره أني انتخبت البديل وأعلمه أني استجدت العوض
فلا مشربي لقلاه أمر ولا مضجعي لنواه أقض
وإن يد البين مشكورة لعار أماط ووصم رحض
وحسبي أني أطبت الجنى لإبانه وأبحت النفض
ويهنيك أنك يا سيدي غدوت مقارن ذاك الربض

*

أكرم بولادة ذخرا لمدخر لو فرقت بين بيطار وعطار
قالوا أبو عامر أضحى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار
عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار
أكل شهي أصبنا من أطايبه بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

القصيدة النونية لابن زيدون من غرر الشعر العربي، وهي من أروع روائع قصائد المحبين:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ألا وقد حان صبح البين صبحنا ... حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم ... حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
أن الزمان الذي مازال يضحكنا ... أُنسا بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا ... وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا ... فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم ... هل نال حظا من العتبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأيا ولم نتقلد غيره دينا
ما حقا أن تقروا عين ذي حسد ... بنا ولا أن تسروا كاشحا فينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه ... وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سودا وكانت بكم بيضا لياليا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومربع اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا فنون الوصل دانية ... قطافها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... أن طالما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
يا ساري البرق غاد القصر واسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنا ... إلفا تذكره أمسى يعنينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حيا كان يحيينا
فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة ... منه وإن لم يكن غبا تقاضينا
ربيب ملك كأن الله أنشأه ... مسكا وقَدر إنشاء الورى طينا
أو صاغه ورقا محضا وتوجه ... من ناصع التبر إبداعا وتحسينا
إذا تأود آدته رفاهية ... توم العقود وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا في أكلته ... بل ما تجلى لها إلا أحايينا
كأنما أثبتت في صحن وجنته ... زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفا ... وفي المودة كاف من تكافينا
يا روضة طالما أجنت لواحظنا ... وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا

ويـا حيـــــاة تمـلـينـا بـزهـرتـهـا مـنى ضروبـا ولـذات أفـانـيـنـــا
ويـا نـعـيـمـا خـطـرنا مـن غـضـارتـه فـي وشـي نـعـمـى سـحـبنا ذيـلـه حـيـنـا
لـسـنـا نـسـمـيـك إجـــلالا وتـكـرمـــة وقـدرك الـمـعـتـلـي عـن ذاك يـغـنـيـنـا
إذا انـفـردت وما شـوركـت فـي صفـــة فـحـسـبـنـا الـوصـف إيـضـاحـا وتـبـيـنـا
يـا جـنـــة الخـلـد أُبـدلـنـا بـسـدرتـهـــا والـكـوثـر الـعـذب زقـومـا وغـسـلـيـنـا
كـأنـنـا لـم نـبـت والـوصـل ثـالـثـنـــا والـسـعـد قـد غـض من أجفان واشينا
إن كـان قـد عـز فـي الدنيا اللقـاء بكـــم فـي مـوقـف الـحـشـر نـلـقـاكـم وتـلـقـونـا
سـران فـي خـاطـر الظلمـاء يكـتـمـنـا حـتـى يـكـاد لـســان الصبح يـفـشـيـنـا
لا غـرو في أن ذكـرنـا الحـزن حـين نـهـت عـنـه الـنـهـى وتـركـنـا الصبر ناسينا
إنـا قـرأنـا الأسـى يـوم الـنـوى سـورا مـكـتـوبـة وأخـذنـا الصبـر تـلـقـيـنـا
أمـا هـواك فـلـم نـعـدل بـمـنـهـلـــه شـربـا وإن كـان يـرويـنـا فـيـظـمـيـنـا
لـم نـجـف أفـق جـمـال أنـت كـوكـبـه سـالـيـن عـنـه ولـم نـهـجـره قـالـيـنـا
ولا اخـتـيـارا تـجـنـبـنـاه عـن كـثـب لـكـن عـدتـنـا عـلـى كـره عـوادينـا
نـأسـى عـلـيـك إذا حـثـت مـشـعـشـعـة فـيـنـا الـشـمـول وغـنـانـا مـغـنـيـنـا
لا أكـؤس الـــراح تبدي مـن شمائلنا سـيـمـا ارتـيـاح ولا الأوتـار تلهينا
دومي عـلـى الـعـهـد ما دمنـا مـحـافـظـة فـالحـر مـن دان إنـصـافـا كـمـا دينـــا
فـما استعضنا خـلـيـلا منك يـحـبـسـنـا ولا اسـتـفـدنـا حـبـيـبـا عـنـك يـثـنـيـنـا
ولـــو صبـــا نـحـونا مـن عـلـو مـطـلـعـه بـدر الـدجـى لـم يكن حـاشاك يصبينا
أبكـي وفـاء وإن لـم تـبـذلـي صـلـــة فـالـطـيـف يـقـنـعـنـا والـذكـر يـكـفـيـنـا
وفـي الجـواب متـاع إن شـفـعـت بـه بـيـض الأيـادي التـي ما زلت تـولـيـنـا
إليـك منـا ســلام الله مـا بـقـيـــت صـبـابـــة بـــك نـخـفـيـهـا فـتـخـفـيـنـا

حسن بن علي بن جابر الهبل اليمني.

شاعر زيدي عنيف، في شعره جودة ورقة، وسمى أمير شعراء اليمن؟

ولد في صنعاء و مات فيها، أصله من قرية بني هبل، هجرة من هجر خولان، ولهذا كان لقبه " الهبل " عاش في الأندلس فترة طويلة امتدت من طفولته حتى قبيل وفاته، وكان من الشعراء الفطاحل في الأندلس، ولد في أواسط القرن التاسع الهجري

له ديوان شعر.

كـم ذا يـذوب أسـى وكـم يتجلد أيـن المعـيـن لـه وأيـن المسعد
أأهيل وادي المنحنى وحياتكم إني علـى ما تعـهـدون وأعهد
لا تنكروا كلفي بكم وصبابتي هذا الضنى ودموع عيني تشهد
ما خـان قلبي عهدكم أبدا ولا مـدت لسـلوانـي إلى صبري يد

أأخونكم وأود قوما غيركم أنى وعهدكم لدي مؤكد
يا هاجرين وليس لي ذنب سوى دمع يفيض ولوعة تتجدد
ومحملي الصب الكئيب صبابة بين الجوانح حرها لا يبرد
أكذا يكون جزاء من حفظ الهو ورعى عهودكم يهان ويبعد
وبمهجتي الرشأ الذي من خده في كل قلب جمرة تتوقد
الطرف منه مهند والخد منه مورد والجيد منه مقلد
يمسي ويصبح آمنا في سربه وأخاف وهو القاتل المتعمد
يسبي القلوب بمقلة سحارة هاروت فتنتها يحل ويعقد
وبقامة ألفية فتانة من فوق أرداف تقيم وتقعد
سكرت معاطفة بكاس رضابه فلها اعتدال تارة وتأود
فكأن ذكرى أحمد خطرت لها ولذكره يندى الجماد الجلمد
يا مالك الملك العقيم ومن له في كل أرض أنعم لا تجحد
مهلا فما فوق السماك لطالب قصد ولا فوق الثريا مقعد

*

كيف البقا وجميل الصبر فيك فني أما ترى جسدي للسقم في كفن
وما حياة كئيب قلبه أسفا قد بان عن جسد للسقم لم يبن
يا ساكن القلب أجريت الدموع دما وما عطفت على جار ولا سكن
ومرسل الطيف تعليلا وتسلية لكي أشاهد مرآى وجهه الحسن
لم يطرق النوم باب الجفن من أسف فما ارتقا بي لطيف منك يطرقني
ما ضر لو جدت للصب المشوق بما سلبته من منام أنت عنه غني
إليك أشكو تلافي في هواك أسى وما أكابد من شجو ومن شجن
نزهت سمعي وطرفي والجوانح عن هوى سواك وعن عذل وعن وسن
وكيف يدركني طيف الخيال ولو وافي إلي لفرط السقم لم يرني
يا منزلا كان بالجرعاء يجمعنا بكت عليك عيون العارض الهتن
ويوم وصل قطعناه بكاظمه كأنه عارض في سالف الزمن
أيام عين حسودي فيك نائمة عني وعنك وعين الحظ تلحظني
أيام كنت عن الواشين في صمم وكنت مني مكان الروح من بدني
ما كنت أعرف ما شرع الغرام فمذ عرفت ناظرك الفتان عرفني
ومذ عرفتك فارقت الحياة أسى يا ليت معرفتي إياك لم تكن

*

شباب غير مذموم تولى وشيب قد أتى أهلا وسهلا
مضى عمري الطويل ومر عيشي كأني لم أعش في الدهر إلا

*

أكثرت عذلك لو وجدت مطيعا ونصحت جهدك لو وجدت سميعا
هيجت في قلبي الجريح بلا بلا وأفضت من جفني القريح دموعا
وقرعت مني بالملامة مسمعا لا يسمع التأنيب والتقريعا
قل للذي هجر المنازل والربى واختط أفئدة لنا وضلوعا
أدري العواذل أنني بملامهم أزداد فيك صبابة وولوعا
دعهم فلو نظروك أول نظرة كنا اشتركنا في هواك جميعا

لولا ضني جسدي والمدمع الجاري ما كنت أظهر للواشين أسراري
يا هاجرين بلا ذنب ولا سبب عطفا ولو بخيال في الدجى ساري
لا تمنعوا طيفكم من أن يمر بنا فما على عبرات الطيف من عار
سلوا اللواحظ هل عند القلوب لها ثار فهن يردن الأخذ بالثار
وما لها تسلب الألباب إن نظرت كأن في كل لحظ بيت خمار
مالي وللغيد ما زالت لواحظها تسطو بكل رقيق الحد بتار
وبي مهفهفة ما دار ناظرها إلا واصمي فؤاد البيهس الضاري
يا نائما عن سهادي لا بليت بما أبليت قلبي من شوق وتذكار
عرج على أربع للصبر قد درست وقف على دمن منها وآثار
ويا عذولي ترفق لا تلم كلفا يهيم ما بين أنجاد وأغوار
عار علي سلوي عن هواي وما عليك في ترك عذل الصب من عار
لقد تزينت فيها بالغرام كما تزينت بعماد الدين أشعاري
أجل آل رسول الله أعلمهم منزه العرض عن حوب وآصار
أبو علي عظيم الشان من ظهرت له براهين فضل ذات أنوار
جم المكارم أعلى الناس مرتبة مسدد الرأي في ورد وإصدار
بحر غدا عيبة للعلم واعية فريدة في علوم العترة الواري
حوى من العلم ما لم يحوه أحد من الخلائق من بدو وحضار
أوتي من السنة البيضاء ما عجزت عنه نحارير رهبان وأحبار
يا جاهلا دع محالا لا ينال فلم يظفر بنيل المعالي غير صبار
أعداؤه نطقت حساده اعترفت بفضله لم يسعهم نهج إنكار
وكيف لا وهو في التحقيق معجزة ونعمة للبرايا ذات مقدار
أضحت به روضة الأيمان يتانعة مخضرة ذات أزهار وأثمار
وديتن آل رسول الله متضحا أزاحه عن مزلات وأخطار
لا سيمتا نهج من جاءت مبشرة به صحيحات أخبار وآثار
ما زال يدأب في تبيين منهجه مرغبا فيه في جهر وإسرار
حبيب طه أمير المؤمنين أبي الحسين أفضل داع صفوة الباري

عضـه حـادث الـزمـان بنـاب يا بــن خيـر الأنام دعـوة عبد

*

إن هول الحساب عرفني لـون مـشيـبـي فـي عنفـوان شبابـي
في ابتعـاد وتـارة فـي اقتـراب كلما قـلـت صـح يصبح طورا
فــلكـــم جيـئــة لـه وذهاب يـدني تــارة ويـذهب أخــرى
ما خلا من تشتت واضطـراب كيف أقوى على الحساب بذهن
وأعذني من هول يوم الحساب فأقلـني يــا نجــل خيـر البرايا
معـرضا أو تطيـل فيـه عتابي واحاشيك أن تـرى عن جوابي

*

قالوا امتدح سيد الكونين قلت لهم يجل عن كلمي قدرا وأشعـاري
ماذا عساه يقول المادحون وقـد أثنى عليـه بما أثنى بـه البـاري

*

سـلوا وطني أي فضل لـه علي ســوى أنـــه مـولـدي
بلى كان كفرا رحيلي عنه لو اتهمـت همـتـي مقصدي
ولولا وفـائي لأهل كرام ولــولا ثــرى والـد أمـجـد
لهاجـرته غير ذي أوبـــة فمـا نـتـلاقى علـــى موعـد
أحب بـلادي ولـو لـم أنـل سوى الضيم منها ولم أعهـد
بلادك كل رجائك فانهض بها ما استطعت إلى السؤدد
إذا قـيـل لـبنـان قل موطن إلــهـــي وصــل لـه واسجد

*

عيناي فيـك بأسيـاف البكـى اجترحـا هـذا ومـا اقـتـرفـا ذنبـا ولا اجترحـا
يـا مـن رأيـت الهــوى من أجله حسنـا فيـه ولـو أنـه فـــي غـيـره قـبـحـــا
ومن حوى الحسن دون الخلق عن كمل حتى غدا كيف شاء الحسن واقترحـا
ما ضـر لو سمـح المولــى بـزورتـــه لمغرم في الهوى بالروح قد سمحـا
أضـل وجهـك حســادي عدمتـهـــم حتى رأوه هلالا وهو شمس ضحى
والله لــو أن حســـادي إذن نظـــروا أثيـل فرعـك بــان الفـرق واتضحا
زد خاطري شررا أو نـاظري سـهـرا وزد عـظامي نحـولا والحشا برحا
أنـا الـذي ما شكـا ثـقـل الهـــوى أبدا ولا أصـاخ للاح فـيـك حـيـن لحـــا

*

يـــا عـــادلا فـي حكمه لا يظلـم بـرح الخفـا كم ذا نجـن ونكتم
يا سامع الأصوات إن لم تستجب من يستجيب لنا سواك ويرحم
يـــا مــن مـقــاليـد الأمـور بكـفه عطفا فأنت بحال عبـدك أعلم

بحـب الرسـول وحب البتول وسبـطيهمـا وعلي الرضى
وعترة خير الورى من قضى سعيدا على منهج المرتضى
يـكـون لبـاســي يـوم الــقضا بـدار النعيـم ثيــاب الرضا
إلاهــي بهـم جـد بعفـو على أسير به ضاق رحب الفضا
أقـل عـثرتــي واغتفـر زلتي وقل لي عفا الله عما مضى

*

حـب علــي وبـينـيــه الطهـر أهـل الرشد
فرض على كل الورى مــن والــد وولـــد
لو أبغضتهم مـهـجـتي أخرجتها مـن جسدي
ولو عصت فيهم يـدي أبنتها عـــن عضدي
هــدى مــن الله ومـن يهـدي الإلــه يهـتدي

*

أيهـــا المختــال كبــرا سر على الأرض رويدا
قـد تـعاظمـت على الله وجـــاوزت الحـــدودا
من ترى الأيام أعطين مـــن النـــاس الخـلودا
كتتم ملتتوك عوضتهم بالمقــاصير اللحـــودا
قادهتتم داعـــي المنايا ولكـــم قـــادوا الجنـودا
بدلـت أجسامهـم عن وشيهـا تـــربـــا ودودا
لا عـدوا مبغضا تبقي ولا تـــربـــــا ودودا
قد أكلـن اللحم هضن العظـم مـزقـن الجلـودا
أيهـــا الآبـــق إن لـم ترج وعـدا خف وعـيـدا
عـد إلـى ربـك فالعبد حـــــري أن يـعـــودا

*

يـــا آل طـــــه أنـتـم أهل السيادة والزعامـــة
يهـنيكـم شـرف النبـــوة والـوصـاية والأمـــامـــة
جمعت لكم هذي الثلاث الغـر أطـراف الكرامـة
بـودادكـم أرجـو النجـا والأمـن في يـوم القيامة

*

وســاتـر خـــده بـمـصـحـفـــه قـلت لـــه والفـؤاد في قـلــق
خفـت على الخـد من لواحظنـا يا غصن حتى استترت بالورق

لا يخفى على أحد من المسلمين ما للأمام الحسين (عليه السلام) من منزلة عظيمة، مستمدة من منزلة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وقد دلت الروايات والأحاديث على مدى تعلق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بأبني إبنته، وتأكيده (صلى الله عليه واله وسلم) المستمر على أن الحسن و الحسين " سيدي شباب أهل الجنة "، أضف إلى ذلك قوله: (حسين مني وأنا من حسين)

وقوله: (أحب الله من أحب حسينا)

وقوله: (الحسين سبط من الأسباط)

وما إسترعى إنتباهي وأنا منعكف على معرفة حالة المجتمع الأندلسي من خلال الشعر ومواقف الشعراء، بدا لي وبوضوح ساطع، بأن في هذا المجتمع كانت فيه حرية التعبير عن الرأي والمعتقد السياسي والعقائدي المذهبي، وكانت أعلى من مستواها في بلاد المشرق، ولا بد للتوضيح بأن المذاهب كافة ما هي إلا إجتهادات وفتاوي قام بها الفقهاء، منبعها تعاليم الكتاب الكريم وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، بداء الحديث بها وفيها بعد وفاة الرسول الكريم، وبقي الدين والرب الواحد الخالق المعبود، وما تلك المذاهب ليست سوى وجهات نظر حول المفهوم وقدرة الفقيه في أصول التعاليم، فمنهم من أحسن وأجاد ومنهم سامحه الله، (لقد وضع علمه وتقواه وظميره في تصرف سلطة الأمر الواقع، وعلى الله حسابه ؟).

تأملت بعد التفكير العميق بما كان يحدث في الأندلس، وبالأخص فيما بعد القرن الثالث للهجرة الشريفة،(فشعرت وما ذلك إلا إحساس شخصي)، بأن رجالات الأندلس قد إنتابتهم صحوة وإستدراك، فنظروا إلى الأمور التي حدثت بعين ثاقبة ونقد ذاتي، وقاموا بكتابة الأحداث بتجرد تام، بالطبع بعد البحث والتدقيق في مسارات الأمور؟.

فتراهم يذكرون أحداث الخلفاء الراشدين، وتجاوزات من تجاوز في أصول العبادة وتحقيق شرائع الدين، من الذين تسلموا السلطة بعد الفترة الراشدة، دون أن يذكروا ما كان بالأساس تصرف لا أخلاقي وأجرامي قام به بعض رجالات الحكم والسلطة، وكذلك القليل من العامة بعد أن شحنت عقولهم بما هو وهم وتضليل؟.

مجازر إرتكبت، عبرت عبور الكرام في العصر الأموي، الشتائم والسباب كانت منابر المساجد شاهدة عليها، الإغداق بمال المسلمين على الشهوات والملذات والأزلام، كان الكلام عنها من الممنوعات و المحرمات بحسب فتاوي فقهاء المناوبة في مجلس الحاكم، ولم يكن العصر العباسي بأفضل منها، وفيه ما فيه من الأقوال المأثورة " لربما كان من أصحاب المقامات فهانت له المسافات ".

بدع وسنن ما أنزل الله بها من رسول، ملايين الأحاديث وكأن من قالها كان مرافق سيد الأمة في أدق الأمور وكان ملازمه أو مرافقه الخاص الذي لم يتركه ثانية واحدة، فكان على الجميع الموافقة، أو الرمي بتهمة الإلحاد والكفر وهدر الدم؟.

الملفت للنظر في إحدى حالات الصحوة، هي مجزرة الطف، كربلاء العصر، هي كربلاء المتكررة في العصور الحديثة، ولكن على أرض غير أرض الطف، بالقرب منها وليس ببعيد عنها، في العراق الحبيب، وفي أوطان وبلدات سالت دماء قانية، كلون الأقحوان من دماء النساء والرضع والشيوخ، لقد رميت الأمة بسهم مسموم لم يخطأ، وأينعت أرواح الأطفال في قانا (جنوب لبنان)، وكبرت فصارت ليوث؟.

أبو البحر **صفوان بن إدريس** بن إبراهيم النجيبي المرسي (561 - 598هـ)، يذكر في واحدة من رثائياته التي يقول فيها:

سلام كأزهار الربى يتنسم ... على منزلة الهدى يتعلم
على مصرع للفاطميين غيبت ... لا وجههم فيه بدور وأنجم
على مشهد لو كنت حاضر أهله ... لعاينت أعضاء النبي تقسم
على كربلاء لا أخلف الغيث كربلا ... وإلا فأن الدمع أندى وأكرم
مصارع ضجت يثرب لمصابها ... وناح عليهن الحطيم وزمزم
ومكة والأستار والركن والصفا ... وموقف حج والمقام المعظم
لو أن رسول الله يحيى بعيدهم ... رأى أبن زياد أمه كيف تعقم
وأقبلت الزهراء قدس تربها ... تنادي اباها والمدامع تسجم
تقول: أبي هم غادروا أبني نهبة ... كما صاغة قيس ومامج أرقم
وهم قطعوا رأس الحسين بكربلا ... كأنهم قد أحسنوا حين أجرموا
فخذ منهم ثأري وسكن جوانحا ... وأجفان عين تستطير وتسجم
أبي وأنتصر للسبط وأذكر مصابه ... وغلته والنهر ريان مفعم
فيا أيها المغرور والله غاضب ... لبنت رسول الله أين تيمم
ألا طرب يقلى ألا حزن يصطفى ... ألا أدمع تجري ألا قلب يضرم
قفوا ساعدونا بالدموع فأنها لتصغر ... في حق الحسين ويعظم
ومهما سمعتم في الحسين مراثيا ... تعبرعن محض الأسى وتترجم
فمدوا أكفا مسعدين بدعوة وصلوا ... على جد الحسين وسلموا

*

أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي (320 – 362هـ).

إلا أن يوما هاشميا أظلهم يطير ... فراش الهام عن كل مجثم
كيوم يزيد والسبايا طريدة على ... كل موار البلاط عثمثم
وقد غصت البيداء بالعيس فوقها ... كرائم أبناء النبي المكرم

*

أبو عبد الله محمد بن مسعود الغافقي المعروف بابن أبي الخصال (465 – 540هـ)

أتنتهب الأيام فلذة أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودد
أيضحى ويظمى أحمد وبناته وبنت زياد وردها لا يصرد
وما الدين إلا دين جدهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا

*

يقول أبن أبي الخصال:

عرج على الطف أن فاتتك مكرمة وأذر الدموع بها سحا وهتانا
وأبك الحسين ومن وافى منيته في كربلاء مضوا مثنى ووحدانا
يا ليت شعري أني جريح الطف دونهم أهين نفسا تفيد العز من هانا

*

ولقد ذكر الكثير من المؤرخين بأن مآتم العزاء بذكرى كربلاء كانت تقام بصورة مستديمة في بلاد المغرب الأندلسي.
إنتشر الشعر والشعراء في الأندلس، منذ بداية الفتح حتى نهاية الجلاء المخزي، وكان من بين هؤلاء الشعراء النوابغ الفطاحلة: ابن حميدس، وابن الحباب الغرناطي ولسان الدين الخطيب وصفي الدين الحلبي وابن دراج القسطلي وابن سفر المريني وابن شهاب وابن شهيد وابن الجنان، ولقد لحق بمعظمهم الإجحاف و عدم الإكتراث في بلاد المشرق لربما كانت من أسباب عداوة المهنة، أو الغيرة، فهذا أبو البقاء الأندلسي يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأُمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوي التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دارالزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ولا ملك الدنيا سليمان

*

لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة بعد وقعة الربض أيام الحكم الأول، ثم رجعت إلى مدينة لوشة واستقرت بها.
وبعد ولادة لسان الدين في رجب سنة 713 هـ انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف، وفي غرناطة درس لسان الدين الطب والفلسفة والشريعة والأدب.
ولما قتل والده سنة 741 هـ في معركة طريف كان في الثامنة والعشرين من العمر، فحل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجياب.
ثم توفي الجياب بالطاعون الجارف فتولى لسان الدين منصب الوزارة.
ولما قتل أبو الحجاج يوسف سنة 755 هـ وانتقل الملك إلى ولده الغني بالله محمد، إستمر الحاجب رضوان في رئاسة الوزارة وبقي ابن الخطيب بوزارته.
ثم وقعت الفتنة في رمضان من سنة 760 هـ، فقتل الحاجب رضوان وأقصي الغني بالله فإنتقل إلى المغرب وتبعه ابن الخطيب، وبعد عامين استعاد الغني بالله الملك وأعاد ابن الخطيب إلى منصبه، ولكن الحساد، وفي طليعتهم ابن زمرك، أوقعوا بين الملك وابن الخطيب، فنفي إلى المغرب وبقي فيها حتى مقتله سنة 776 هـ.
ترك ابن الخطيب، بصمات متعددة تناول فيها الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والشريعة، والأخلاق، والسياسة والطب، والبيزرة، والموسيقى، والنبات.
ومن مؤلفاته المعروفة (الإحاطة في أخبار غرناطة)، (اللمحة البدرية في الدولة النصرية)، (أعمال الأعلام)، أما كتبة العلمية فأهمها: (مقنعة السائل عن المرض الهائل)، وهو رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749 هـ، ذكر فيها أعراض ظهوره وطرق الوقاية منه.
مات عبدالعزيز، وخلفه ابنه السعيد بالله، فتولى المغرب السلطان (المستنصر) أحمد بن إبراهيم، وقد ساعده (الغني بالله) صاحب غرناطة، واشترط عليه تسليمه (ابن الخطيب) فقبض عليه المستنصر.
وكتب بذلك إلى الغني بالله، فأرسل هذا وزيره (ابن زمرك) إلى فاس، فعقد فيها مجلس الشورى، وأحضر ابن الخطيب، فوجهت إليه تهمة (الزندقة) و (سلوك مذهب الفلاسفة) فأفتى بعض الفقهاء بقتله، وأعيد إلى السجن.
ودس له رئيس الشورى (واسمه سليمان بن داود) بعض الأوغاد (كما يقول المؤرخ السلاوي) من حاشيته، فدخلوا عليه السجن، وخنقوه.
ثم دفن في مقبرة (باب المحروق) بفاس، وكان يلقب بذي الوزاتين: القلم والسيف، ويقال له (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره.
ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاب.

وخف لتوديعي وتشييع رحلتي أخو كل إيثار وكل وفـــاء
فكم من أكف أغريت بتصافح وكم من جفون أولعت ببكاء

*

وعصبة شر من يهود لقيتها يجانبها داعي الهدى ويحاشيها
إذا أمنوا واستوثقوا الباب أعلنوا خبائث ما كان اللسان ليفشيها
كأن رؤوس القوم عند صلاتهم وقد أومأت للأرض صفر شواشيها
أقاح أمالتها الرياح على الثرى وقد أسقطت عنها بياض حواشيها

*

يا هلالا يا قضيبا يا رشا إن تبدى أو تثنى أو مشا
يا غزالا ورده في أدمعي كلما شاء ومرعاه الحشا
قد فشا فيك هيامي في الورى وهو لولا دمع عيني ما فشا
ولكم آثرت كتمان الهوى غير أن الدمع بالسر وشا
كيف بالكتمان يوما لامرىء سره في خده قد نقشا
أو بسلوان لمن في رية جمسه والقلب في وادي الأشا
خذ فؤادي لك مني هبة حرة وافعل بقلبي ما تشا
بعت فيك النوم بالسهد فلا فرق عندي بين صبح وعشا
كم ليال بت في ظلمائها أمتطي من نار شوقي فرشا
كلما صحت بها واكبدي مادت الأرض لما بي دهشا
وكأن النجم شرب ثمل واصل الثملة حتى ارتعشا

*

يا غزالا ترك القلب المبلى حين ولى في خفوق وكآبة
كيف يشكو القلب مني خفقانا ودواء المسك في تلك الذؤابة

*

ألا حدثاها فهي أم العجائب وما حاضر في وصفها مثل غائب
ولا تخليا منها على خطر السرى سروج المذاكي أو ظهور النجائب
ولا تغفلا من وسمها كلما سرت صدور القوافي أو صدور الركائب
وحط لها بين الحطيم وزمزم رجالا من البشرى ملآء الحقائب
هو الخَر الصدق الذي وضحت به سبيل الهدى بعد التباس المذاهب

*

ما رأت عيني عجيبا كيراعي في الدواة
غائصا يستخرج الدر ببحر الظلمات

*

ما اسم إذا زدته ألفا من العدد أفاد معناه لم ينقص ولم يزد

وإنما اختلفا من بعد ما ائتلفا معنى بشيئين من قدر ومن بلد

*

قعدت لتذكير ولو كنت منصفا لذكرت نفسي فهي أحوج للذكرا
إذا لم يكن مني لنفسي واعظ فيا ليت شعري كيف تفعل في أخرا

*

مالي على شرفي ورفعة شان وعظيم أنصاري وعز مكاني
لعب الغرام بمهجتي وجنان عجبا يهاب الليث حد سنان
وأهاب لحظ فواتر الأجفان
أصبحت في أمر الهوى متعجبا أهدي إلى الأعداء باسا صيبا
وأرى الردى في الحرب عذبا طيبا وأقارع الأهوال لا متهيبا
منها سوى الأعراض والهجران
أخفيت سري في الضلوع مكتما حتى وشى دمعي به وتكلما
وأصاب سهم اللحظ قلبي إذ رمى وتملكت نفسي ثلاث كالدما
بيض الوجوه نواعم الأبدان
أطلعن من غرر الحجال الباهر أقمار حسن تحت سود غدائر
وسفرن عن مثل الصباح السافر ككواكب الظلماء لحن لناظر
من فوق أغصان على كثبان
من كل ناظرة بعيني جؤذر مختالة في الحلي ذات تبختر
تعطو كخوط البانة المتناظر هذي الهلال وتلك بنت المشتر
حسنا وهذي أخت غصن البان
لما غدوت بحبهن معذبا وعلمت أني لم أصادف مهربا
وإذا دعوت لسلوة قلبي أبي حاكمت فيهن السلو إلى الصبا
فقضى بسلطان على سلطان
عجبا لأجفان ضعيفات القوى تركنني رهن السقام بلا دوى
لولا الهوى أنحى على جبل هوى لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى
ذل الهوى عز وملك ثان
مالي وغصن العمر غض ما ذوى والشمل لا تدنو إليه يد النوى
أطوي الضلوع على الصبابة والجوى إن لم أطع فيهن سلطان الهوى
كلفا بهن فلست من مروان
أخلدت طوعا للهوى وإنابة ولئن نحلت ضنا وذبت كآبة
فلقبل ما علق الوليد حبابة ما ضر أني عبدهن صبابة
وبنو الزمان وهن من عبدان

الأنـــدلـــسـيـــات

ذكر ابن سناء الملك في كتابه (دار الطراز)، في تعريفه للموشح فقال:
" الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع .
فالتام ما ابتديء فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتديء فيه بالأبيات).
(وقد سمي هذا الفن بالموشح لما فيه من ترصي وتزيين وتناظر وصنعة فكأنهم شبهوه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجوهر) .
تختلف الموشحات عن القصائد العربية من حيث البناء، ويتألف الموشح من أجزاء مختلفة وبتكوين مجموعها يتم بناء الموشح الكامل، وقد اصطلح النقاد على تسمية هذه الأجزاء بمصطلحات ، هي : المطلع ،القفل، الدور، السمط، الغصن، البيت، الخرجة.
ويقول أبن جلدون:
" إن الموشح فن أندلسي أصيل ابتدعه العرب هناك في ظل ظروف إجتماعية خاصة وعوامل بيئية معينة، كان أول من نظم هذا النوع الخاص بجزيرة الأندلس "مقدم بن معافى القبري" وكان من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ عنه أبو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد".
والموشح في الأصل هو منظومة غنائية لاتسير في موسيقاها على النهج العروضي التقليدي الذي يلتزم وحدة الوزن ورتابة القافية وإنما تبنى على نهج جديد بحيث يتغير الوزن وتتنوع القوافي.

من أشهر الوشاحين الأندلسيين :
عبادة بن ماء السماء ، عبادة القزاز ، ابن بقي، الأعمى التطيلي، لسان الدين بن الخطيب، ابن زمرك، ابن سناء الملك، شهاب الدين العزازي، ابن باجة، ابن سهل، ابن زهر، و محيي الدين بن العربي وأبو الحسن المريني.

ومن الموشحات الشهيرة المشهورة اليتيمة بالنسب: (يقال عنها من الشعر القديم فقط لاغير)

(والحق يقال بأن الأستاذ الأديب السوري محمد منصور قد ذكر الكثير عن التناص وعن اصحاب الحق الشرعي لكتابة ما يقال " من الشعر القديم " فالشعر القديم كان شعر الشاعر الفلاني وليس شعر ابن أبيه، وتقديرا مني مع كامل احترامي للأستاذ منصور سأذكر النص

الشعري، ولن ابحث عن اسم الشاعر، خشية التناص من كتاب الأستاذ منصور، فمن يريد المعرفة فكتاب الأستاذ منصور يزين المكتبات لما فيه من دراسة علمية قيمة).
تقول المذيعة في الراديو أو التلفزيون: الآن سنقدم لكم الفنانة الموهوبة صاحبة القد المياس وصوت الألماس، أغنية من أغانيها ؟ كذا فقط لاغير!
من كتب الشعر ؟ من ألف اللحن؟ من ومن وراء هذا العمل الفني !
أمنيتي أن يصدر قانون في جميع الدول العربية بإجبار جميع محطات الإذاعة والتلفزة، بالتعريف عن أسم الشاعر والملحن وليس فقط من قام بالغناء أو الإداء، وذلك يكون بفضل جهود نقابات الأدباء والشعراء والملحنين؟؟؟ ، وذلك لعدم تجهيل الفاعل الأساسي لكل أغنية؟

" لسان الدين بن الخطيب ":
جادك الغيث إذا الغيث همى
يــازمــان الـوصل بالأندلـس
لــم يـكـن وصلك إلا حـلـمــا
في الكرى أوخلسة المختلس

:؟؟؟؟؟

يا من حوى ورد الرياض بخده
وحاكى قضيب الخيزران بقده
دع عنك ذا السيف الذي جردته
عيناك امضى من مضارب حده
كل السيوف قواطع ان جردت
وحسام لحظك قاطع في غمده
ان شئت تقتلني فأنت محكم
منذا يطالب سيدا في عبده؟؟
يا شفيق الروح من جسد
اهوى بي منك ام ألم؟
أيها الظبي الذي شردا
تركتني مقلتاك سدى
زعموا اني اراك غدا
وأظن الموت دون غد

" لسان الدين الخطيب ": جائت معذبتي في غيهب الغسق
كأنها الكوكب الدري في الأفق
فقلت نورتني يا خير زائرة
أما خشيتي من الحراس في الطرق؟
فجاوبتني ودمع العين يسبقها
من يركب البحر لا يخشى من الغرق

" ابن سناء الملك ":

ادنو شيئا ايها القمر
كاد يمحي نورك الخفر
أدلال ذاك ام حذر؟
با نسيم الروح من بلدي
خبر الاحباب كيف همو؟

؟؟؟ اذا كان ذنبي ان حبك سيدي
فكل ليالي العاشقين ذنوب
أتوب الى ربي واني لمرة
يسامحني ربي اليك اتوب

؟؟؟؟؟؟ لو تعلمين بما أجن من الهوى
لعذرت او لظلمت ان لمتعذري
لا تحسبي أني هجرتك طائعا
حدث لعمرك رائع ان تهجري
ما انت و الوعدالذي تعديننني
الا كبرق سحابة لم تمطر

؟؟؟؟ حجبوها عن الرياح لأني
قلت ياريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان و لكن
منعوها يوم الرحيل الكلاما
فتنفست ثم قلت لطيفي
اه لو زرت طيفها الماما
خصها بالسلام سرا و الا
منعوها لشكوتي أن تناما

ومن روائع الموشحات " في حب بيت الله الحرام" : (موشح باللهجة العامية المصرية)

حرمت بك نعاسي يا مولاة الريام
وبحت بك باسي وصرت لك غلام
يا جملة الحبايب راني مازلت غريب
حبي عملها بيا ورماني للقفار
نتوحش الحبايب خوفي من الرقيب
ويمسى قلبي ذايب من شدة اللهيب
حين تصفر العشية نتوحش الديار
يا ربي توب عليا وابعد عني الغيار

(القد: القد نوع من أنواع الموشح، ومن إيقاع صغير كالوحدة وأوله يبدأ كمذهب يردده المغنون، وأول ما لحن هذا اللون سمي بالموشحات الصغيرة ولا يجوز أن نطلق عليه اسم أغنية بل نقول " قد "، وجمعه قدود وكلمة قد كلمة حلبية تعني "شيء بقد شيء " أي على نفس القدر، وانتشرت القدود من مدينة حلب وهي بالأصل أناشيد دينية في مدح الله، تم تحويل كلمات المد الألهية بكلمات غزل، فجاء الكلام الغزلي بقد الكلام الديني، لذلك سمي بالقد).

بدأت الموشحات في الأندلس ما بين القرنين الثالث و الرابع الهجري ولا زالت تغنى كأغاني للمجموعات في ليبيا والجزائر والمغرب وموريتانية حتى الآن .

من بين الموشحات المغناة في الجزائر :

قم تـرى دراهـم اللـوز تتدفق عن كل جهـة
ذابت تلقح أوراق الجـوز والنـدى كبب عليهـا
والنسيم أسقطها في الحوز أتى بشيـر الخيـر إليها
يا نـــديم هيـــا للبستان ننعـم في الدنيـا ساعة
والريـاض يعجبني ألوان ما احسن فصل الخلاعة

(ويتكون أغلب الموشح من القفل والبيت، فمنه ما جاء على أوزان العرب كالمخمسات، فيؤتى بخمسة أقسام من وزن وقافية، ثم بخمسة أخرى من وزن وقافية أخرى، كقول ابن زهر في بحر الرمل:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعونا وإن لم تسمع

ومن الموشح ما يدعى باسم المسمطات، كأن يبدأ ببيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسام أو أقل كقول القائل:

غزال هاج بي شجنا فبـت مـكـابدا قـرنا
عميد القلب مرتهنـا بذكر الهوى والطرب

وهناك أيضا المزدوجات من ذوات القافية المزدوجة في كل بيت،كقول أبي العتاهية:

حسبك ما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

إن الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب

ومنها ما لا وزن فيها، فكل موشحة مكونة من عناصرها الأساسية المعهودة، كمطلع الموشح وهو البيت الأول لها، وقد يكون من قسمين أو أكثر وهو القفل الأول، ويليه باقي الأقفال المتفقة مع بعضها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها، ثم الغصن وهو كل قسم من أقسام المطلع والأقفال إذ تتساوى الأقفال مع المطلع في عدد الأغصان وترتيب قوافيها، أما الدور وهو البيت، فقد يكون بسيط مؤلف من أجزاء مفردة، كما في الموشحة:

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو في بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادق من علمكا
بسهام اللحظ قتل السبع

وقد يكون مركب مؤلف من فقرتين أو أكثر، كما في هذه الأبيات لابن سناء الملك:

كذا يقتاد سنا الكوكب الوقاد
إلى الجلاس مشعشعة الأكواس
أقم عذري فقد آن أن أعكف
على خمر يطوف بها أوطف
كما تدري هشيم الحشا مخطف

وآخر قفل في الموشحة يدعى الخرجة، فقد تكون عامية أو معربة أو أعجمية، وهكذا فإننا لا نجد في معاني الموشحات جدة وعمق، فتبدو الموشحة كغادة بالغت في الزينة واستعمال المساحيق فخسرت الكثير من جمالها ولكنها على الرغم من ذلك قد استطاعت أن تحافظ على رشاقتها ومشيتها الراقصة، ولما كانت الموشحات قد اخترعت في سبيل الغناء كان من

الطبيعي أن تنظم في الأغراض التي تناسب هذا الفن كالغزل ووصف الطبيعة، إلا أنها رغم ذلك خاضت ما تبقى من أنواع الشعر كالمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد، ونظرا لطبيعة الأندلس المذهلة الأخاذة، كان كثير من الشعراء ينجحون في وصف الطبيعة، كموشح محمد بن عيسى اللخمي، المشهور بابن لبانة يقول :

في نرجس الأحداق، وسوسن الأجياد، نبت الهوى مغروس، بين القنا المياد
وفي نقا الكافور، والمندل الرطب، والهودج المزرور، بالوشى والعصب
قضب من البلور، حمين بالقضب، نادى بها المهجور، من شدة الحب
أذابت الأشواق، روحي على أجساد، أعارها الطاووس، من ريشه أبراد

موشحة لسان الدين بن الخطيب في الغزل وذكر الطبيعة ومدح السلطان الغني بالله:

في ليال كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكأس فيها وهوى
مستقيم السير سعد الأثر

باعتبار الموشحات فتحا جديدا في الأدب العربي فهي تغيير عن نمط واحد من أنماط الشعر، ولا يجب أن نطلب منها أن تكون غذاء الذهن والفكر، بل يكفينا ما تخلقه في نفوسنا من لذة محببة،

وهذا مقطع لابن زمرك في ذكر الصبوح ومدح سلطانه ابن الأحمر:

مولاي يا نكتة الزمان دار بما ترتضي الفلك
جللت باليمن والأمان كل مليك وما ملك
لم يدر وصفي ولا عيان أملك أنت أم ملك؟

رفيق خوري

إرجعي يا ألف ليلة غيمة العطر
فالهوى يروي غليله من ندى الفجر
إن أشواقي الطويلة أغفرت عمري
و حكاياكي خميلة في مدى الدهر

الأخوين رحباني

بلغه يا قمر إذ ينشر الخبر
أني غداة غد يغتالني السهر
يا ليت يجمعنا للحب موعدنا
فالشوق يزرعنا و البعد يحصدنا
ولهان ينتظر و الشوق يستعر
البيد تعرفه و الليل و القمر

لو كان قلبي معي ؟؟؟

لو كان قلبي معي ما أخترت غيركم
و لا رضيت سواكم في الهوى بدلا
لكنه رغيب في من يعذبه
و ليس يقبل لا لوما و لا عدلا

الأخطل الصغير

قد أتاك يعتذر لا تسله ما الخبر
كلما أطلت له في الحديث يختصر
في عيونه خبر ليس يكذب النظر
فد وهبته عمري ضاع عنده العمر
حبنا الذي نشروا من شذاه ما نشروا
صوحت أزاهره قبل يعقد الثمر
عد فعنك يؤنسني في سماءه القمر
قد وفى بموعده حين خانت البشر

لو تعلمين ؟؟؟؟

لوتعلمين بما أُجن من الهوى لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر
لا تحسب أني هجرتك طائعا حدث لعمرك رائع أن تهجر
ما أنت و الوعد الذي تعدينني إلا كبرق سحابة لا تمطر

نزار قباني:

لا تسألوني ما إسمه حبيبي أخشى عليكم ضوعة الطيوب
والله لو بوحت بأي حرف تكدس الليلك في الدروب
ترونه في ضحكة السواقي في رفة الفراشة اللعوب
في البحر في تنفس المراعي و في غناء كل عندليب
في أدمع الشتاء حين يبكي و في عطاء الديمة السكوب
محاسن لا ضمها كتاب و لا إدعتها ريشة الأديب
لا تسألوني ما إسمه كفاكم فلن أبوح بإسمه حبيبي

يا خليلي ؟؟؟؟؟؟

يا خليلي ساعة لا تريم
وعلى ذي صبابة فأقيم
ما مررنا بدار زينب إلا
فضح الدمع سرنا المكتوم

يا وحيد الغيد ؟؟؟؟؟؟

يا وحيد يا وحيد الغيد يا فريد عصرك
و النبي و النبي يا سيد لا تطل هجرك
مالت الأهداب تجتني سرك
و أنثنت أطياب مذرءات سحرك

يا غصن نقا ؟؟؟؟؟

يا غصن نقا مكللا بالذهب
أفديك من الردى بأمي و أبي
إن كنت اسأت في هواكم أدبي
فالعصمة لا تكون إلا لنبي
و الله لقد سمعت في الأسفار
عن ساحرة تهيم بالأوتار
و الله لقد سمعت من مبسمها
طيب الغزل و رقة الأشعار

يا شادي الألحان ؟؟؟؟؟؟

يا شادي الألحان أه أسمعنا رنة العيدان
يالاللي يا لالا أه يا لاللي رنة العيدان أه أسمعنا أه يالللي يا لا لا لا لا أه يالللي
و أطرب من في الحان أه و أحسبنا من ضمن الندمان
يالاللي يا لالا أه يا لاللي من ضمن الندمان أه أحسبنا أه يالللي لي لا لا لا لا أه يالللي
شعرك و الجبين أه و الوجنات كالليل و النهار
يالاللي يا لالا أه يا لاللي كالليل و النهار أه و الوجنات أه يالللي يا لا لا لا لا أه يالللي

تلك كانت فسحة في دهاليز الأدب والشعر والغناء، وما ذكر فيها من علوم وشروحات كان الفضل فيه لأبن خلدون، وللحقيقة بأن مراعاة توارد السرد لم تكن منسقة والسبب في ذلك عبور تلك المعلومات من خلال المطالعة المتقطعة حيث كنت أبحث عن معرفة ما حدث في الأندلس، فكانت بين الفينة والفينة تمر إحدى تلك اللوحات فحرصت على تجميعها تحت عنوان " الأندلسيات " لأن الأندلس كان مبعث وجودها.

يليه الجزء الثالث (لست بالغافل حتى أرى)
باريس في أواخر أيلول سنة 2010م